

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية بنات - القاهرة
قسم التفسير وعلوم القرآن

العلامة الخطيب الشربيني ومنهجه في تفسير السراج المنير

رسالة علمية لنيل درجة التخصص - الماجستير -
في التفسير وعلوم القرآن

إشراف
أ.د/ هندية أحمد محمد عامر حواس
الأستاذ المساعد بقسم للتفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنات - القاهرة

إعداد
وفاء محمود سعداوى
الطالبة بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية بنات - القاهرة

1428هـ - ٢٠٠٧ م
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ { ٤٣ } بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل: الآيتان ٤٣، ٤٤

إهداء

إلى والديّ الكريمين وفضلهما الذي لا يحد
تقديرًا عميقًا وحبًا أعمق، وأسأل الله ﷻ أن
يجعل هذا العمل في ميزان حسناتهما يوم لا
ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم،
كما أهديه إلى زوجي وأولادي وإخوتي وأهلي
وكل من مد لي يد العون في هذا البحث بتذليل
عقبة ، أو توجيه طيب ، أو نصيحة مسداة ،
أو دعوة صالحة — جزاهم الله خير الجزاء.

شكر وتقدير

الحمد لله - تعالى - دائما وأبدا، فهو الهادي إلى الصراط المستقيم،
وبنعمته تتم الصالحات، وبحمده تعم البركة، وبشكره تزيد النعم، فاللهم اجعلنا
من العابدين الحامدين الشاكرين المهتدين إلى الصراط المستقيم.

وبعد...

فأسجل الشكر الجزيل والتقدير الرفيع والثناء الصادق لأستاذتي الفاضلة
الدكتورة هندية - حفظها الله - وأدام عليها نعمه -.

فقد منحتني خلال رحلة البحث الكثير من وقتها وجهدها ، وزودتني
بتوجيهاتها العلمية وملاحظاتها القيمة، وكانت لي الأم الحنون التي شملتني
برعايتها وتشجيعها ودعائها بالسداد والتوفيق، وثلث لي بعون الله كل صعب
وعسير في طريق البحث ، ودلتني على أيسر الطرق إلى العلم الدقيق.

والحق يقال إن لساني وقلمي ليعجزان عن تقدير الدكتورة الفاضلة علما
وخلقاً، وتواضعاً، وعطفاً على تلميذاتها، وبناها فلا أملك إلا الدعاء لها ،
والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

كما أقدم خالص الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة سعاد صالح ،
والأستاذة الدكتورة عفاف النجار ، والأساتذة الفضلاء أعضاء قسم التفسير
وعلم القرآن لموقفهم النبيل ، ومساندتهم لي عند تسجيل موضوع البحث ،
وإنه لموقف يليق بأساتذة ينتمون إلى جامعة الأزهر الشريف منارة العلوم
الشرعية للأمة الإسلامية بأسرها، جزاهم الله عنى خير الجزاء ، وبارك لهم
في أعمارهم ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن اتبع هداة إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الباحث في علم التفسير يجد العلماء قد وجدوا في فهم القرآن الكريم وشرح معانيه مجالاً واسعاً، فمن كمال إعجاز القرآن الكريم أنه حملاً لوجوه عديدة من المعاني، وألوان شتى من العلوم؛ لذا فقد بذل العلماء جهدهم في فهم وكشف أسرارهِ وتجليّة خفاياه على مر العصور، وقد كان طبعاً أن تختلف اتجاهاتهم التفسيرية وتتعدد حسب ثقافتهم وتجدها في كل يوم على مر العصور.

وقد حرص المسلمون على مر العصور وفي جميع الأقطار على حفظ القرآن وفهم آياته والعمل بها، واصطفى الله - عز وجل - من الأمة رجالاً صرفوا همهم إلى العناية بتفسيره واستخراج ما حواه من كنوز.

فحكفت طائفة على استنباط أحكامه الشرعية، واهتمت طائفة أخرى ببيان معاني مفرداته، وإعراب كلماته، وإبراز جمال نظمهِ وبلاغته ووجوه إعجازه وغير ذلك مما عكف عليه أفاضل العلماء من البحوث والدراسات القرآنية التي لا حصر لها.

واهتمت طائفة من العلماء بمتابعة هذه الدراسات ومناقشتها، وأضافوا إليها ما وهبهم الله من فهم لآياته القرآنية.

ومن هؤلاء العلماء الإمام العلامة الشيخ الخطيب الشربيني الذي انتفع بعلمه خلق كثير؛ فهو مفسر ماهر واسع العلم بمختلف العلوم ، والذي اخترت منهجه في التفسير موضوعاً لبحثي.

• أسباب اختيار الموضوع:

أولاً- سبب عام: وهو مواصلة الجهود المبذولة في معرفة مناهج العلماء في التفسير التي تتبناها جامعة الأزهر الشريف من خلال رسائل التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) وبحوث الترقية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

ثانياً- سبب خاص: وهو السمات التي امتاز بها الإمام العلامة الخطيب الشربيني؛ فهو مفسر ماهر جمع بين المأثور والرأى، واسع العلم بكتب السنة، نحوي، محقق ناقد بارع في تأويل المشكل وكشف الغوامض، ملم بالقراءات وعلوم اللغة، وقد أوتي حظاً وفيراً من إيجاز العبارة، يجمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، بعبارة سهلة واضحة، يسهل على المبتدئين فهمها، ويجد طلبية العلم حاجتهم فيما احتوته من الفوائد؛ إذ جمع في تفسيره هذا جل التفاسير لمن سبقه من العلماء. هذه أهم السمات التي امتاز بها الإمام العلامة الخطيب الشربيني التي دفعتني إلى اختيار تفسير هذا العالم الجليل موضوعاً لرسالتي التي تقدمت بها إلى قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، والتي جعلت عنوانها "الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير".

خطة البحث

وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وتنتهى بالفهارس

المقدمة وتشتمل على ما يلى :

أولاً : التعريف بالموضوع وبيان أهميته .

ثانياً : أسباب اختياره .

ثالثاً : خطة البحث ومنهجى فى إعدادة .

التمهيد ويشتمل على النقاط التالية :

١- التعريف بمفردات العنوان : التفسير ، المنهج .

٢- التعريف بالمفسر ، ومنهجه وبيان مدى التزامه المنهج الذى شرطه على نفسه فى تفسيره ' السراج المنير فى معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير ' .

٣ - تأثره بمن سبقه من المفسرين .

الفصل الأول : منهجه فى التفسير ويتكون من عشرة مباحث :

المبحث الأول : ذكره للمأثور ويتكون من أربعة مطالب :

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

المطلب الثانى : تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة ويشتمل على
فرعين :-

الفرع الأول : اتجاهاته فى الاستشهاد بالسنة .

الفرع الثانى : درجة الحديث الذى يستشهد به .

المطلب الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .

المطلب الرابع : الدخيل في تفسيره .

المبحث الثاني : الأسلوب الموضوعي في تفسيره .

المبحث الثالث : منهجه في تفسير البسطة .

المبحث الرابع : منهجه في أسماء السور وفضائلها .

المبحث الخامس : تفسيره للحروف المقطعة .

المبحث السادس : عنايته بالمناسبات بين السور والآيات .

المبحث السابع : عنايته بالقرءات .

المبحث الثامن : اتجاهاته في أسباب النزول .

المبحث التاسع : منهجه الفقهي وموقفه من النسخ .

المبحث العاشر : موقفه من التفسير العلمي .

الفصل الثاني : الجانب العقائدي في تفسيره .

الفصل الثالث : توظيفه علوم اللغة في التفسير ويشتمل على ستة مباحث :-

المبحث الأول : توظيفه الدلالة المعجمية في استنباط المعنى .

المبحث الثاني : توظيفه الدلالة الصرفية في استنباط المعنى .

المبحث الثالث : توظيفه الدلالة النحوية في استنباط المعنى .

المبحث الرابع : توظيفه دلالة السياق في استنباط المعنى .

المبحث الخامس : توظيفه الدلالة الصوتية في استنباط المعنى .

المبحث السادس : كثرة استشاده بالشعر .

الخاتمة : وتشتمل على : عرض السمات العامة في تفسير الشيخ الخطيب

الشربيني ، و خلاصة موجزة لمضمون الرسالة ، وذكر أهم النتائج التي

توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : وتشتمل على الفهارس الآتية :

- ١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار .
- ٣- فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس الأشعار .
- ٥ - فهرس المراجع والمصادر .
- ٦ - فهرس الموضوعات .

منهجى فى الدراسة:

- يمكن إجمال جوانب منهجى فى إعداد هذا البحث على النحو التالى:
- ١- قراءة التفسير محل البحث لتحديد جوانب وسمات منهج المفسر الذى اتبعه فى التفسير.
 - ٢- تحديد مباحث الدراسة بناء على هذه الجوانب والسمات، ووضع كل مبحث بعنوان مستقل عن الآخر.
 - ٣- جمع الآيات الكريمة المتعلقة بكل مبحث متبعية تفسير الخطيب الشربيني لهذه الآيات لتحديد اتجاهه فى تناول مادة هذا المبحث، وتقسيم الآيات إلى مجموعات تدرج تحت عناوين خاصة بها حسب هذه الاتجاهات.
 - ٤- ضبط وتشكيل النصوص القرآنية، ووضعها بين قوسين () وتخرجها من سورها، وإذا كان النص جزء آية نُشرت إليه فى الهامش بكلمة "جزء من آية".
 - ٥- تمييز الأحاديث النبوية الشريفة بوضعها بين قوسين () وتخرجها من مظانها الأصلية، مبينة درجتها إذا اقتضى المقام، وكذا الآثار عن الصحابة والتابعين.
 - ٦- نسبت الأبيات الشعرية التى قابلتني فى البحث إلى قائلها، إلا القليل الذى لم أهدأ إلى قائله، بعد جهد فى كتب اللغة عزوته إلى كتب التفسير التى ذكرته.
 - ٧- ترجمة مختصرة فى الهامش للأعلام بما يمكن قارئ الرسالة من معرفة شيء عنهم.

٨- الرجوع إلى الكتب التي استشهد بها المؤلف للتأكد من صحة ما جاء بها ، وأثبت ما وقف عليه في الحاشية ، وما لم أعثر عليه أشرت إليه في محله.

٩- إبراز النصوص التي نقلتها من مصادر البحث ومراجعته ؛ تأييداً لرأبي أو لمناقشتها، فوضعيتها بين علامتي التنصيص " " وإذا كان المرجع يتكون من غير جزء أشرت إليه في الهامش بـ رُقم الجزء/ رقم الصفحة جـ ص' وأشرت إلى كلمة الطبعة بـ ط.

١٠- قمت بضبط بعض الألفاظ التي تحتاج إلى ذلك ، وتعريف بعض الكلمات الغريبة.

١١- حافظت قدر الإمكان على موضوعية البحث غير متأثرة بهوى ؛ حتى أصل إلى الحق الذي هو ضالة المؤمن.

ولا أقول إنني قد أحطت بكل جوانب البحث إحاطة لا يشوبها نقص ، ولا أستطيع أن أدعى لبحتي كمالاً ، إنما الكمال لله - عز وجل - وحده ، ولكني قد بذلت في إعداد هذه الرسالة قصارى جهدي ، ولم أندخر وسعاً في سبيل إخراجها في أحسن صورة ، وحاولت العناية بكل مسألة تهتم بالبحث ، فإن كنت قد أصبت فالحمد لله الذي وفقني إليه ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأسأل الله - عز وجل - أن يغفر لي تقصيري ، ويتقبل عملي خالصاً لوجهه الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيد

هذا التمهيد أتناول فيه التعريف بمفردات عنوان البحث:

أولاً: تعريف التفسير:

التفسير لغة: "الفسر: البيان: فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم، فسراً أو فسرة: أبانه، والتفسير مثله؛ قال - تعالى - ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) والفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا: أي: سألته أن يفسره لي"^(٢)

التفسير اصطلاحاً:

عرفه أبو حيان في البحر المحيط بأنه "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومثولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتنمات لذلك"^(٣) ثم خرج التعريف فقال^(٤): "قولنا: علم: هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن: هذا هو علم القراءات.

^١- سورة: الفرقان، الآية ٣٣.

^٢- تراجع: لسان العرب للعلامة ابن منظور، ط. دار صادر بيروت - لبنان، الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م مادة (ف.س.ر) ج٥ ص ٥٥، ص ٥٦، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ط. دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٩٩١م - ١٤١٢هـ، ج٢ ص ١٥٦، ومختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، عن بئر تريبه محمود خاطر، ط. دار الحديث القاهرة، ص ٥٢٨.

^٣- ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي، ط. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج١ ص ١٢١.

^٤- ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص ١٢١.

وقولنا: ومنلولاتها ؛ أى : منلولات تلك الألفاظ ، وهذا هو علم اللغة الذى يحتاج إليه فى هذا العلم . وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية ؛ هذا يشمل علم التصريف ، وعلم الإعراب ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التى تحمل عليها مالا دلالة عليه بالحقيقة، ومادلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاذاً فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز. وقولنا: وتنتمت لذلك ؛ هو معرفة النسخ ، وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما انبهم فى القرآن ، ونحو ذلك.

وعرفه الزركشى بأنه : "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"^(١)

وعرفه الزرقانى فقال^(٢) : " علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ".

وعرفه بعض العلماء بأنه : " علم نزول الآيات ، وشئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكياها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها،

^١- ينظر: البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طدار الجيل بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ ج١ ص ١٣.

^٢- ينظر: مآهل العرفان فى علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقانى - ط . دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابى الحلبي ، ج٢ ص ٣.

ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعداها ووعيدها، وأمرها ونهيها ،
وعبرها وأمثالها^(١).

" وهذه التعاريف الأربعة تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن
مراد الله - تعالى - بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه
فهم المعنى وبيان المراد "^(٢)

ثانياً : تعريف المنهج لغة :

" المنهج بفتح فسكون: الطريق الواضح البين. ونهج الطريقُ بفتح
منهاج: وضح واستبان. ونهج الطريق : أبانه وأوضحه. ونهجه أيضاً سلكه ،
وبابهما قطع.
وطريق نهج : بين واضح .
وأنهج الطريق : وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً.
والمناهج: الطريق الواضح .
والتنهج : الطريق الواضح كالمنهج والمناهج "^(٣)

^١ - ينظر: الإتيان في علوم القرآن للعلامة أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي
بكر السيوطي ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ج ٢ ص ٣٨٣ .

^٢ - ينظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ، ط. مكتبة وهبة ، القاهرة،
الطبعة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ج ١ ص ١٧، ص ١٨ .

^٣ - يراجع: لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ٣٨٣، ص ٣٨٤ ، والقاموس المحيط
للغيزوز أبيادى ج ١ ص ٤٣٢، ومختار الصحاح للرازي ص ٦٨١.

ثالثاً : المقصود بمناهج المفسرين :

المنهج التفسيري :^١ هو المسلك الذى يتبعه المفسر فى بيان المعانى، واستنباطها من الألفاظ وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيها من آثار: وإبراز ما تحتمله من دلالات وأحكام، تبعاً لاتجاه المفسر الفكرى والمنهجى، ووفق ثقافته وشخصيته، فتتنوع المناهج بحسب اختلاف المفسرين أنفسهم، وإن اتفق بعضهم فى الاتجاه .

والمقصود باتجاه المفسر فكره ونظره ومذهبه العقدى والفقهى، ووجهته التى يوليها وجهه عند التفسير، من تقليد أو تجديد، ومن اعتماد على المنقول أو المعقول أو الجمع بينهما، ويدخل فيه ميله الثقافى والعلمى، من اهتمام بالأدب، أو بالعلوم الكونية، أو الفلسفية، ... إلخ من الاتجاهات^٢

^١ - ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير للدكتور محمد بكر اسماعيل ، ط . دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ص ٣١ بتصرف .

التعريف بالمفسر

اسمه :

" هو الإمام العلامة شمس الدين، محمد بن أحمد الشربيني، القاهري،
الشافعي، الفقيه المفسر، المتكلم، النحوي، الصرفي
وهذا ما وقفت عليه في المراجع التي توفرت لي ، ما عدا شذرات الذهب فقد
ذكره باسم "محمد بن محمد"^(١).

كنيته :

كنى العلامة بـ " الخطيب الشربيني " وهذه الكنية التي عرف بها
واشتهر بين أهل العلم قديماً وحديثاً.^(٢)

مولده ونشأته :

"لم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، وقد نشأ في شربين وهي مدينة
بمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية ، وحفظ القرآن الكريم في صغره،
وتلقى العلم على يد أكابر الشيوخ في الفقه والنحو واللغة والتفسير
والبلاغة"^(٣)

١ - تراجع : شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد
الحى ابن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هـ - ط - المكتب التجارى للطباعة والنشر
والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٧٩م ج١ ص ٣٨٤، وإيضاح المكنون عن أسامي الكتب
والفنون لإسماعيل باشا البغدادي - ط - دار الفكر ١٩٨٢م، مصورة عن طبعة استانبول
١٩٤٧م ج١ ص ١٦١، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس
سركيس، مكتبة الثقافة الدينية للقاخرة ج١ ص ١١٠٨ وتاريخ الأدب العربي لكارل
بروكلمان ، العصر العثماني ، ترجمة صر صابر عبد الجليل ، المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ - القسم الثامن (١٢-١٣)
ص ١٩٠ .

٢ - المراجع السابقة بتصرف .

٣ - ينظر : كتاب الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني - ط . هيئة
الكتاب . ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ، ج١ ص ٣ .

شيوخه :

" تتلمذ الشيخ الشربيني على يد علماء أجلاء ؛ فقد أخذ عن الشيخ أحمد البرلسي والشيخ نور الدين المحلي ، والشيخ نور الدين الطهواني ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن خليل النشكى الكردي ، والبدر المشهدي ، والشيخ شهاب الدين الرملي ، والشيخ ناصر الدين الطبرلاوي ، والشيخ ناصر الدين اللقاني ، والشيخ جمال الدين السناني ، وغيرهم. وحينما وصل إلى مرتبة الإفتاء والتدريس أجازوه لذلك ؛ فأقنتي ودرّس في حياة أشياخه ، وقد تخرج من الأزهر وقام بالتدريس في الأزهر نفسه ، وانتفع به خلائق لا يحصون".^(١)

زهده وورعه :

لقد وصف الخطيب الشربيني بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة العبادة، ومع إقباله على الطاعة والزهد في الدنيا والتفرغ لدراسة العلم وتدريسه — كان كثير التواضع، شديد الحياء ، على علم جم وفضل كبير؛ فكان يؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصة ، فقد كان من عادته أن يعتكف من أول شهر رمضان فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد ، وكان إذا حج لا يركب إلا بعد تعب شديد، وكان من بداية الطريق يعلم الناس المناسك وأداب السفر ويحثهم على الصلاة وكيفية القصر والجمع ، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف ، وكان كثير الثناء على شيوخه، ولم يذكر أحدا بسوء ولا يعيب أحدا ولا يسفه رأيا، وكان لا يكثر بأشغال الدنيا ؛ فلا يسعى إلى شيء

^١ - تراجع: شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٨٤، والخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومنها وبلاها القديمة والشهيرة لعلى باشا مبارك - ط. دار الكتب والوثائق القومية ، الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ج ١٢ ص ٣٣٥، وكتاب الإقناع ج ١ ص ٣ .

فيه رئاسة، ولا يزاحم أحداً على صحبة أحد من الولاة والقضاة ، بل ربما لا يعرف أحداً منهم.

وكان كثير الزيادة لقبر رسول الله ﷺ ، يستخير ربه في الروضة الشريفة إذا هم بأمر من الأمور ، فلم يكتب حرفاً في كتابه 'مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج' إلا بعد أن ذهب إلى زيارة رسول الله ﷺ ، وصلى ركعتين بنية الاستخارة في الروضة الشريفة.^(١)

مذهبه الاعتقادي :

يتضح من تفسير " السراج المغير " أن الخطيب الشربيني يتهج منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة ، وقد تصدى عند تفسيره لبعض الآيات لتفنيد آراء المعتزلة وغيرهم ، مظهراً مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك كله^(٢).

مذهبه الفقهي :

الشيخ الخطيب الشربيني كما جاء في مقدمة تفسيره شافعي المذهب ، يعتمد في الفقه والأحكام على المذهب الشافعي بصورة رئيسية ، فإذا أتى على الآيات التي فيها أحكام ذكر أقوال أهل العلم في معناها ، وما يتعلق بها من قضايا فقهية، وهو في كل ذلك قد يحقق الأقوال ، ويرجح ولكن نلاحظ أنه يميل غالباً للمذهب الشافعي.

مصنفاته :

أجمع أهل مصر على نبوغ الخطيب الشربيني ووصفوه بالعلم والعمل. فقد ظفرت المكتبة العربية بالكثير من مصنفاته ومؤلفاته التي امتاز فيها

^١ - تراجع: سدرات الذهب جـ ١ ص ٣٨٤ ، والخطط التوفيقية الجديدة ج ١٢ ص ٣٣٥ ، وكتاب الإقناع ج ٤ ص ٣ .

^٢ - ينظر : مبحث الإلهيات ص ٢٤٦ من الرسالة.

بالبحث الدقيق والعلم الغزير، فقد لاقت قبولاً عظيماً فشرقت وغربت ،
وما زالت تدرس وتقرأ ؛ من هذه المؤلفات :

١- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع في الفقه الشافعي ، وهو الذي
يدرس على طلاب المرحلة الثانوية الأزهرية ، انتهى من تأليفه
سنة ٩٧٢هـ، وبهامشه حاشية المداغى في جزعين، بولاق
١٢٩١ هـ، وبهامشه تقريب الشيخ عوض وبعض تقارير
الباجوري - بولاق ١٢٩٣هـ، جزعين مع حاشية عليه لسليمان
البجيرمي المهيمنية ١٣٠٧هـ جزعين ٢٩٦ / ٣٣٠ (١).

٢- شرح التنبيه لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الفقيه
المتوفى ٤٧٦ هـ ، وهو كتاب في فروع الشافعية (٢) .

٣- شرح منهاج الطالبين للنووي (٣).

^١ - تراجع : هداية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون
لإسماعيل باشا البغدادي ، ط . دار الفكر ج١ ص ٢٥٠ ، والأعلام لخیرالدين
الزركلي، ط. دار العلم للملايين ، الرابعة ١٩٧٩ م ، ج٦ ص ٦ ، وتاريخ الأدب
العربي لبروكلمان القسم الثامن (١٢ ، ١٣) ص ١٩٠ ، ومعجم المطبوعات العربية
والمعربة ليوسف سرکيس ج١ ص ١١٠٨ ، وكتاب الإقناع للخطيب الشربيني ج١
ص ٤ .

^٢ - تراجع : الأعلام للزركلي ج٦ ص ٦ ، وهداية العارفين ج٦ ص ٢٥٠ ، وتاريخ
الأدب لبروكلمان القسم الثامن (١٢ ، ١٣) ص ١٩٠ ، والخطط التوفيقية الجديدة
ج١ ، ص ٣٣٥ ، وكتاب الإقناع للخطيب الشربيني ص ٤ .

^٣ - تراجع : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن
عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي ، الشهير بالملا كاتب الحلبي ، والمعروف بحاجي -
خليفة ١٠١٧هـ - ١٠٦٧ م - ط . دار الفكر ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ج٢
ص ١١٣٩ ، وهداية العارفين ج٦ ص ٢٥٠ ، وتاريخ الأدب لبروكلمان - القسم الثامن
ص ١٩٠ ، ومعجم المطبوعات ج١ ص ١١٠٩ ، والخطط التوفيقية ج١ ص ٣٣٥ .

٤- معنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، وبالهامش متن المنهاج أو منهاج الطالبين للنووي ؛ فقه شافعي - الميمنية ٣٠٨ في أربعة أجزاء^(١).

٥- مناسك الحج (فقه شافعي) بهامشه حاشية حسب الله المكي

٦- مصر (٥) وهي رسالة معدة للنشر موثقة النسب إليه.^(٢)

٧- شرح منهاج الدين في شعب الإيمان ؛ وهو للشيخ الإمام أبي عبد الله حسين بن الحسن الحلبي الجرجاني الشافعي المتوفى ٤٠٣ هـ، وهو كتاب جليل في نحو ثلاث مجلدات ، فيه أحكام كثيرة ومسائل فقهية ، وغيرها مما يتعلق بأصول الدين.^(٣)

٨- نور السجية في حل ألفاظ الأجرومية.^(٤)

٩- فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك.^(٥)

١٠- تقارير الشرييني على المطول في البلاغة للتفتازاني.^(٦)

١١- شرح شواهد قطر الندى وبل الصدى ، ويليه متن القطر في

^١ - تراجع : كشف الظنون ١١٣٩ ، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ١١٠٩ ، وكتاب الإقناع ج ١ ص ٤ .

^٢ - تراجع الإعلام للزركلي ج ٦ ص ٦ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ١١٠ ، وتاريخ الأدب لبروكلمان القسم الثامن ص ١٩٠ ، وكتاب الإقناع ج ١ ص ٥ .

^٣ - تراجع كشف الظنون ص ١١٣٩ ، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠ ، وتاريخ الأدب لبروكلمان القسم الثامن ص ١٩١ .

^٤ - راجع هدية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان القسم الثامن ص ١٩١ .

^٥ - تراجع إيضاح المكنون ج ٢ ص ١٦١ ، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥ .

^٦ - تراجع الإعلام للزركلي ج ٦ ص ٦ ، وهداية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠ ، وكتاب الإقناع للخطيب الشرييني ج ١ ص ٥ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ١١٠٨ .

النحو . (١)

- 12 - كتاب شرح البيهجة في الفقه لابن الوردي. (٢)
 - 13- رسالة في البسملة والحمد لله. (٣)
 - 14- رسالة في بر الوالدين وصلة الرحم. (٤)
 - 15- المواعظ الصفية على المناظر العلية. (٥)
 - 16- سواطع الحكم ؛ وهو شرح على حكم ابن عطاء الاسكندري. (٦)
 - 17- "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير" وهو التفسير موضوع البحث الذي بين أيدينا، ويعرف بتفسير الخطيب الشربيني ؛ وهو في أربع مجلدات، بهامشها فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للشيخ زكريا الأنصاري - بولاق ١٢٢٩هـ - ، أربعة أجزاء ، بهامشها أنوار التنزيل للبيضاوي - الخيرية ١٣/١ أربعة أجزاء.
-
- ^١ - يراجع: الأعلام للزركلي ج٦ ص ٦ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان - القسم الثامن ص ١٩١ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ١١٠٩ ، وكتاب الإقناع ج١ ص ٥ .
 - ^٢ - كتاب الإقناع للخطيب الشربيني ج ١ ص ٥ .
 - ^٣ - تاريخ الأدب لبروكلمان - القسم الثامن ص ١٩٠ .
 - ^٤ - المرجع السابق ذاته .
 - ^٥ - المرجع السابق ص ١٩١ .
 - ^٦ - المرجع السابق ذاته .

وله ذكر في الخزانة التيمورية ٣٩/١ ، وفهرست الكتب العربية المحفوظة
بالكتبخانة الخديوية ٧٨/١^(١).

وفاته :

"اختلفت المصادر حول تاريخ وفاة الخطيب الشربيني - رحمه الله -
فقد ذكرت بعض هذه المصادر التي ترجمت له أنه توفي في عصر يوم
الخميس ثاني شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة الموافق
١٥٧٠م. وذكرت مصادر أخرى أنه توفي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ؛
ولذلك حينما تشير المراجع التي كتبت عنه إلى وفاته نقول : "توفي في
حدود تتبهاً على أن تاريخ الوفاة ليس مؤكداً بالسنة " ^(٢)

التعريف بتفسير السراج المنير، ومنهج الخطيب الشربيني فيه:

الحديث عن منهج الشيخ الخطيب الشربيني في التفسير يتطلب أن أعرف
بالكتاب، ووصفه، وهل هو مطبوع أو مازال مخطوطاً؟ وعرض بعض
المسائل التي تعبر عن منهجه ؛ كحديثه في مقدمة تفسيره:

أولاً - التعريف بتفسير السراج المنير:

وصف الكتاب:

النسخة التي بين يدي هي طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت
لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م - تحقيق أحمد عزّ وعناية

^١ - يراجع : كشف الظنون ص ١١٣٩ ، وهذلية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠ ، وتاريخ
الأدب العربي - القسم الثامن ص ١٩٠ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١
ص ١١٠٨ ، وكتاب الإقناع ج ١ ص ٤ .

^٢ - يراجع : شرات الذهب ج ٨ ص ٣٨٤ ، وهذلية العارفين ج ٦ ص ٢٥٠ ،
والأعلام للزركلي ج ٦ ص ٦ وكتاب الإقناع ج ١ ص ٥ .

الدمشقي، وتتكون من ثمانية أجزاء، يبدأ الجزء الأول منها بمقدمة للمحقق يشرح فيها عمله في الكتاب ، وترجمة للمؤلف ، ولمحة عن علم التفسير وتطوره منذ العهد النبوي الشريف ، وبعض المسائل المتعلقة به كالتأويل والإسرائيليات، ثم مقدمة المؤلف التي تبين سبب وضعه هذا التفسير ، ومنهجه الذي اشترطه على نفسه، ومقصده من هذا التفسير، ويبدأ الجزء الأول بتفسير أول القرآن (الفاتحة) وينتهي مع نهاية تفسير سورة (النساء)، ويقع في ٥٥١ صفحة، ويبدأ الجزء الثاني بتفسير سورة (المائدة) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (التوبة)، ويقع في ٤٧٢ صفحة، ثم الجزء الثالث الذي يبدأ بتفسير سورة (يونس) وينتهي مع نهاية تفسير سورة (الإسراء) ويقع في ٤٩٦ صفحة، ثم الجزء الرابع ويبدأ بتفسير سورة (الكهف) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (الفرقان)، ويقع في ٤٨٥ صفحة، ويليه الجزء الخامس الذي يبدأ بتفسير سورة (الشعراء) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (الأحزاب) ويقع في ٣٩٩ صفحة، ويليه الجزء السادس ويبدأ بتفسير سورة (سبأ) لينتهي مع نهاية تفسير سورة (الجاثية) ويقع في ٤٨٨ صفحة، ويليه الجزء السابع ويبدأ بتفسير سورة (الأحقاف) وينتهي مع نهاية تفسير سورة (الطلاق) ويقع أيضاً في ٤٨٨ صفحة، ثم الجزء الثامن وهو الجزء الأخير من التفسير ويبدأ بتفسير سورة (التحریم) لينتهي بتفسير سورة (الناس) ثم خاتمة للمؤلف وأخرى لمصحح دار الطباعة، ويقع في ٤٨٥ صفحة ، وينتهي كل جزء من الأجزاء الثمانية بفهرس خاص به يعرض محتواه.

ثانياً - منهج الخطيب الشربيني في السراج المنير:

تأملات في مقدمة التفسير:

بدأ الإمام الشربيني تفسيره بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ ، وعلى جميع الأنبياء والملائكة وعلى آل النبي ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - جميعاً.

ثم أوضح منزلة القرآن الكريم وفضله وإعجازه ككتاب سماوي ؛ فيقول رحمه الله^(١): " إن الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيراً للمؤمنين ونذيراً للمخالفين ، أكمل به تبيان النبوة وختم به ديوان الرسالة، وأنزل عليه بفضله كتاباً ساطعاً نبيانه قاطعاً برهانه ، ناطقاً ببينات وحجج، قرأنا عربياً غير ذي عوج ، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية ، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية ، حسنة ظاهرة باهرة في وجه كل زمان ، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان، أعجز الخليفة عن معارضته ، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته ، ثم سهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته ، أمر فيه وزجر ، وبشر وأنذر؛ فهو كلام معجز في رقائق منطوقة وودقائق مفهومة ، لا نهاية لأسرار علومه"

ثم ذكر تخوفه من التفسير وتحري الدقة فيه ؛ فقال: " وقد ألف أئمة السلف كتباً في معرفة أحكامه ونزوله ؛ كل على قدر فهمه ، ومبلغ علمه ، فشكر الله - تعالى - سعيهم ورحمتهم كافتهم، ثم خطر لي أن أفتني أثرهم وأسلك طريقهم ؛ لعل الله أن يرزقني من مددهم ، ويعود علي من بركاتهم فترددت في ذلك مدة من الزمان ؛ خوفاً من الدخول في هذا الشأن ؛ لقوله

١- انظر : السراج المنير، ج١، ص ٢٩.

ﷺ: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)^(١) وقول سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ: (من قال في القرآن برأيه) وفي رواية بغير علم: (فليتبوأ مقعده من النار)^(٢) -

سبب وضعه هذا التفسير:

ثم ذكر الإمام الشربيني سبب وضعه لتفسيره (السراج المنير) فقال إنه استخار الله - تعالى - بعد أن صلى ركعتين في روضة النبي ﷺ، وسأله أن يشرح صدره لذلك ويبصره له ؛ فشرح الله له صدره، ولما رجع من سفره كتم ذلك في سره ، حتى قال له شخص من أصحابه: إنه رأى في المنام أن النبي ﷺ أو الشافعي يقول: قل لفلان يحمل تفسيراً على القرآن، ولم يمتص

١ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ج٥ ص ٤٤ ح ٢٩٥٢، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم ؛ ينظر ؛ سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : د. مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٠٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م . وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ج٣ ص ١٥٨٠ ح ٣٦٥٢ ؛ ينظر : سنن أبي داود للإمام الحافظ المصنف المنقح أبي داود سليمان بن الأشعث - المنجستاني الأزدي ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ شرح ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٢ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ج٥ ص ٤٣ ح ٢٩٥٠، ٢٩٥١، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في مسنده ج٢ ص ٥٠٨ ح (٢٠٦٩) وقال محققه أحمد شاكر - : إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر التلعبسي ؛ وقال أحمد وغيره : ضعيف وردوا تصحيح الترمذي ؛ ينظر : المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ شرحه وصنع فهرسه حمزة أحمد الزين ط. دار الحديث - القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م الأولى.

عليه إلا القليل حتى قرر في وظيفة مشيخة تفسير في اليمارسنان، ثم سألته بعد ذلك جماعة من أصحابه المخلصين ، وعلى اقتباس العلم مقلين ، بعد أن رأوه فرغ من شرح ' منهاج الطالبين ' أن يجعل لهم تفسيراً وسطاً بين الطويل الممل، والقصير المخل، فأجابهم إلى ذلك مقتدياً بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاءً على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ، ماطال به العهد ، وقصر للطالبين فيه الجد والجهد ، تنبيهاً للمتوقفين، وتحريضاً للمنتهطين. (١)

ذكر الامام الشريفي في مقدمة تفسيره منهجه؛ فقال: " مقتصرأ فيه على أرجح الأقوال ، و إعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، و ترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية، وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات ، فهو من السبع المشهورات ، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب نقوة مداركها أو لورودها ، ولكن بصيغة قيل ليعلم أن المرضي أولها. وسميته "السراج المثير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير" ثم قال : وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم وانتشرت مآثرهم. (٢)

وقد سأل الله - عز وجل - من فضله وإحسانه أن يجعله عملاً مقروناً بالإخلاص والقبول ، وفعلاً متقبلاً مرضياً زكياً يعد من صالح الأعمال. ثم يشرع في تفسير القرآن الكريم مبتدأً بفاتحة الكتاب إلى آخر سورة الناس .

١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٢ بتصرف.

٢ - ينظر: المرجع السابق ذاته.

٣- مصادره في التفسير:

اعتمد الخطيب الشربيني في تفسيره على مصادر كثيرة من كتب التفسير والحديث واللغة والسيرة ، والذي أبيه هنا الكشف عن بعض هذه المصادر التي رجع إليها في كل فن من الفنون وأخذ منه.

وكتب التفسير بالرأى أهم مصادره في تفسيره ؛ فقد نقل عن الزمخشري^(١) ، والرازي^(٢) ، والبيضاوي^(٣) ، والنسفي^(٤) ، وأبو حيان^(٥) ، والجلال المحلي^(٦) ، والبقاعي^(٧) ، وغيرهم.

^١ - هو أبو القاسم : محمود بن عمر بن عمر الخوارزمي ، الإمام الحنفي المعتزلي ، الملقب بجار الله ، ولد عام ٤٦٧ هـ ، توفي عام ٥٣٨ هـ ، له تصانيف بدعة في شتى العلوم ، ومن أجلها تفسيره : الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ؛ ينظر شذرات الذهب ج٤ ص ١٢١.

^٢ - هو أبو عبد الله : محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن علي ، التميمي ، البكري ، الطبرستاني ، الرازي ، الملقب بفخر الدين المتوفى ٦٠٦ هـ ، له تصانيف كثيرة ؛ من أهمها تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ؛ ينظر : شذرات الذهب ج٥ ص ٢١ .

^٣ - هو ناصر الدين أبو الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، البيضاوي ، توفي عام ٦٨٥ هـ ، تفسيره : أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير ؛ ينظر : شذرات الذهب ج٥ ص ٣٩٢.

^٤ - هو أبو البركات ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي ، له تصانيف معتبرة في الفقه والأصول وغيرهما ، تفسيره يسمى : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، توفي عام ٧٠١ هـ ؛ ينظر : كشف الظنون ج٢ ص ٢٤٨.

^٥ - هو أمير الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الأندلسي ، ولد عام ٦٥٤ هـ ، وتوفي عام ٧٤٥ هـ ، تفسيره يسمى : البحر المحيط ؛ ينظر : كشف الظنون ، ج٢ ص ١٤٥.

^٦ - هو جلال الدين ، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي ، ولد بمصر عام ٧٩١ هـ ، وتوفي عام ٨٦٤ هـ ؛ ينظر : شذرات الذهب ج٧ ص ٣٠٣.

وقد اهتم أيضاً بالتفسير النقلي ؛ فنقل عن ابن جرير الطبري^(٢)، واليغوي^(٣)، وابن كثير^(٤). كما نقل الكثير من أقوال الصحابة والتابعين ؛ مثل عائشة^(٥)، وعلي^(٦)،

١ - هو أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر الشافعي الشافعي، مؤرخ ، نبي ، أصله من النخاع في سورية ، تفسيره : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ولد عام ٨٠٩ هـ ، وتوفي عام ٨٨٥ هـ ؛ ينظر : الأعلام للزركلي ج١ ص ١٧٣.

٢ - هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري 'أبو جعفر' ، المؤرخ ، المفسر ، الإمام ، ولد في طبرستان عام ٢٢٤ هـ ، وتوفي عام ٣١٠ هـ ، تفسيره : جامع البيان في تفسير القرآن ؛ ينظر : الأعلام للزركلي ج٦ ص ٦٩.

٣ - هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالقرءاء اليغوي ، الفقيه الشافعي المحدث المفسر الملقب بمحي السنة وركن الدين ، توفي عام ٥١٠ هـ ، تفسيره هو : معالم التنزيل ؛ ينظر : كشف الظنون ج٢ ص ٢٨٥.

٤ - هو الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ، ولد عام ٧٠٠ هـ - وتوفي عام ٧٧٤ هـ ، وتفسيره هو : تفسير القرآن العظيم ؛ ينظر : شذرات الذهب ج٦ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

٥ - هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - كانت - رضي الله عنها - أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً ؛ كما قال عطاء بن أبي رباح ، توفيت عام ٥٧ هـ ؛ ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، تحقيق علي الجاوي ، ط. دار الجيل بيروت ١٩٩٢ ، ج٤ ص ٤٣٥.

٦ - هو الإمام علي بن أبي طالب ، ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنته فاطمة الزهراء - رضي الله عنهما - وأول الصبيان إسلاماً ، آخر الخلفاء الراشدين الأربعة ، استشهد عام ٤٠ هـ ؛ ينظر : الاستيعاب ج٣ ص ١٩٧.

وابن مسعود^(١)، وأبو هريرة^(٢) - رضي الله عنهم - وابن عباس^(٣)، وابن عمر^(٤)، وجابر^(٥)، ومجاهد^(٦)، وقتادة^(٧)، والسدي^(٨) - رحمهم الله -.

^١ - هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهزلي ، أول من جهر بالقرآن بمكة ، هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وشهد كل المشاهد مع الرسول ﷺ ، وروى عنه الحديث ، توفي ٣٢ هـ ؛ ينظر: الاستيعاب جـ ٣ ص ١١٠ .

^٢ - هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أسلم عام خيبر وشهدا مع النبي ﷺ ولزمه رغبة في العلم ، كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ، توفي بالمدينة عام ٥٧ هـ ؛ ينظر: الاستيعاب جـ ٤ ص ٣٣٢ .

^٣ - هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، صحابي جليل ، من أكابر العلماء بالفقه والحديث والتفسير في صدر الإسلام ، وهو ابن عم النبي ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، كان يسمى البحر لسعة علمه ، ويسمى خبير الأمة ، توفي سنة ٦٨ هـ بالطائف ؛ ينظر: الاستيعاب جـ ٣ ص ٦٦ .

^٤ - هو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي ، العدوي ، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وهاجر قبل أبيه ، روى عن النبي ﷺ فأكثر ، توفي عام ٧٣ هـ ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، ط. دار الشعب ١٩٧٠ م ، ج ٣ ص ٣٤٠ .

^٥ - هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري ، السلمي ، من بنى مسلمة ، وأحد المكثرين عن النبي ﷺ ، توفي عام ٧٤ هـ ؛ ينظر: الاستيعاب جـ ١ ص ٢٩٢ .

^٦ - هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي شيخ القراء والمفسرين ، وكان أعلمهم بالتفسير ، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس ، توفي ١٠٣ هـ ؛ ينظر: شذرات الذهب جـ ١ ص ١٢٥ .

واعتمد الخطيب الشربيني في شرح الكلمات القرآنية على كثير من علماء اللغة كالفراء^(٢) ، والأخفش^(٣) ، والزجاج^(٤) ، وسيبويه^(٥) ، وأبي البقاء^(٦).

أما مصادره في كتب الحديث فكثيرة أيضا مثل صحيح البخاري^(٧)،

^١ - هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، المفسر، حافظ ضريب، قال عنه الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة، توفي ١١٧هـ - ينظر: الأعلام للزركلي ج ٥ ص ١٨٩.

^٢ - هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو الحمد القرشي ذكره ابن حبان في الثقات، توفي عام ١٢٧هـ - ينظر: معجم المؤلفين ج ١ ص ٣٦٨.

^٣ - هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم باللغة والنحو وفتون الأدب، من مؤلفاته معاني القرآن، مشكل اللغة، توفي ٢٠٧هـ - ينظر: الأعلام للزركلي ج ٨ ص ١٤٥.

^٤ - هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى مجاشع، أخذ النحو عن سيبويه وصاحب الخليل، توفي سنة ٢٢٥هـ - ينظر: إنباء الرواة على أبناء النحاة للقطبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦ م، ج ٢ ص ٣٦.

^٥ - هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، النحوي، اللغوي، المفسر، له من الكتب: معاني القرآن، والإستقاق، والعروض ومختصر النحو، توفي سنة ٣١١هـ - ينظر: الأعلام للزركلي ج ١ ص ٤٠.

^٦ - هو عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى ابن الحارث بن كعب بن عمرو بن عتبة بن جلد ابن مالل، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، وأخذ اللغة عن الأخفش الكبير وغيره، وله كتابه المنسوب إليه في النحو - ينظر: إنباء الرواة على أبناء النحاة ج ٢ ص ٣٤٦.

^٧ - هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، البغدادي، عالم اللغة والأدب والفرائض وإعراب القراءات الشاذة، توفي ٦١٦هـ - ينظر: الأعلام ج ٨ ص ٨٠.

^٨ - هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة بن بردزبه، الإمام أبو عبد الله البخاري الحنفي مولاهم، الحافظ، العلم، صاحب الصحيح وإمام هذا الشأن والمعول على

وصحيح مسلم^(١)، والمسند لأحمد^(٢)، وسنن ابن ماجه^(٣)، وسنن الترمذى^(٤)،
وسنن النسائي^(٥)،

صحيحه في أقطار البلدان ، ولد سنة ٢٩٤ هـ ومات سنة ٣٥٦ هـ ؛ ينظر : طبقات
المفسرين للداودي ، ط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ م جـ ٢ ص ١٠١ - ١٠٤ .

^١ - هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أبو الحسين ، حافظ ، من
أئمة المحدثين ، أشهر كتبه: صحيح مسلم ، والمسند الكبير ، والجامع ، وأوهام
المحدثين ، وغيرها ، توفي عام ٢٦١ هـ ؛ ينظر : الأعلام للزركلي جـ ٧ ص ٢٢١ .

^٢ - هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني "أبو عبد الله" أحد الأئمة ، صاحب
المسند ، والزهد ، وفضائل الصحابة ، توفي عام ٢٤١ هـ ؛ ينظر : طبقات الفقهاء
للسيوطي جـ ١ ص ١٨٩ .

^٣ - هو محمد بن يزيد الربيعي القزويني ، أبو عبد الله، ابن ماجه ، أحد أئمة الحديث ، من
أهل قزوين ، من تصانيفه: سنن ابن ماجه ، وتفسير القرآن ، وتاريخ قزوين ، توفي
عام ٢٧٣ هـ ، ينظر الأعلام للزركلي جـ ٧ ص ١٤٤ .

^٤ - هو أحمد بن شعيب علي النسائي الحافظ، صاحب السنن ، شيخ الاسلام ، ناقد
الحديث، توفي عام ٣٠٢ هـ ؛ ينظر : تقريب التهذيب لأئمة الحفاظ لابن حجر
العسقلاني ، ط، دار المعرفة - بيروت - الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م ، جـ ١ ص ٨٠ .

^٥ - هو أحمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي أبو عيسى ، من أئمة الحديث وحفاظه،
من أهل ترمذ على نهر جيحون ، تتلمذ على البخاري ، توفي عام ٢٧٩ هـ ؛ ينظر:
الأعلام للزركلي جـ ٦ ص ٣٢٢ .

وسنن البيهقي^(١)، والطبراني^(٢)، وشرح صحيح البخاري لابن حجر
العسقلاني^(٣)، وغيرها .

والمتتبع لتفسير الخطيب الشربيني يقف على مصادر مختلفة أخرى
استفاد منها الشيخ ؛ مما يدل على سعة ثقافته وغزارة علمه .

مدى تطبيقه لمنهجه

يسهل على الباحث أن يضع منهجاً لبحثه وأن يشترط على نفسه ما
شاء في هذا المنهج ، وكلما كان الباحث ملماً بنقاط بحثه ومحيطاً بما اشتمل
عليه، كان مراعيًا لمنهجه وملتزماً بتطبيقه ، فيأتي البحث أكمل وأكثر نفعاً ،
وقد عرضت منهجه في التمهيد ، كما ذكره في مقدمة تفسيره ، وقد
خصصت لكل نقطة من هذه النقاط بحثاً مستقلاً ، ويبقى أن أبين مدى التزام
الخطيب الشربيني بهذا المنهج وتطبيقه له ، فبعد المطالعة الدقيقة لتفسيره
وجنته إلى حد كبير حرصاً على تطبيقه ويعنى بإبراز جوانبه في الغالب

^١ - هو أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر من أئمة الحديث ، من مؤلفاته : السنن
الكبرى والسنن الصغرى ، والترغيب والترهيب ، ومضائل الصحابة ، توفي سنة
٣٥٨ هـ ؛ ينظر : الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١١٦ .

^٢ - هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم ، من كبار
المحدثين ، أصله من طبرية الشام ، له ثلاثة معاجم في الحديث ، وله كتب في التفسير ،
توفي عام ٣٦٠ هـ ؛ ينظر : الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٢١ .

^٣ - هو أحمد بن علي بن محمد الكناشي العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن
حجر أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، ولع بالأدب والشعر ، ثم
أقبل على الحديث ، ومن تصانيفه : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، والكافي
الشافي في تخريج أحاديث الكشاف ، وألقاب الرواة ولسان الميزان ، توفي عام ٨٥٢ هـ ؛
ينظر : الأعلام للزركلي ج ٦ ص ١٧٨ .

الأعم عند تفسيره للآيات القرآنية ، إلا أن منهجه الذى اشترطه على نفسه يشتمل على الخطوط الرئيسة لطريقته فى البحث ، فعند قراءة تفسيره نجد منهجه أكثر تفصيلا لمسائل البحث المختلفة ، وقد أرسى تفسيره على أسس علمية واضحة تجمع بين المأثور والرأي الجائز ، وتدل على سعة علمه ، وإلمامه بمختلف العلوم واستيعابه لما يكتبه غيره ممن سبقه من العلماء .

فتفسير الإمام الخطيب الشربيني رغم أنه ليس بالطويل الممل إلا أنه لا يكاد يترك مبحثاً من مباحث التفسير إلا وتطرق إليها ، فقد اهتم ببيان مسائل كثيرة تتعلق بالتفسير وأجاد فى عرضها ؛ ومن أهمها تفسير البسملة تفسيراً يتناسب مع مقاصد كل سورة ، والمناسبات بين السور والآيات ، والقراءات ، وتوظيف القواعد اللغوية فى التفسير وغيرها .

وقد وفى الإمام الخطيب الشربيني بما اشترطه على نفسه فى مقدمة تفسيره ؛ فتفسيره حقا ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، ولم يقحم نفسه فيما لا يعنى المفسر من ذكر الأعراب التى لا تمت إلى التفسير بصلة .

إلا أنه اشترط على نفسه ألا يذكر من الأحاديث إلا الصحيح والحسن ، وذكر العديد من الأحاديث الضعيفة التى نبه عليها فى بعض المواضع ، وفى مواضع أخرى لم ينبّه ، وكذلك ذكر الكثير من الأحاديث الموضوعة ؛ حتى تتبع فى نهاية كل سورة ما ذكره البيضاوى تبعا للزمخشري فى فضائل السور لئنيها عليها ، وأيضا تفسيره ملئ بالاسرائيليات التى يمر عليها دون تعليق أو تضعيف .

كما اشترط الخطيب الشربيني على نفسه ألا يذكر من القراءات إلا السبعة المتواترة ، وأورد بعض القراءات الشاذة ، ولكنه نبّه عليها .

والمطالع لتفسير الإمام الخطيب الشربيني يجده يتناول السورة القرآنية بالتفسير على النحو التالي:

- يصدر السورة بذكر اسمها ، وقد يذكر اسماً آخر لها، وسر تسميتها، ويبين كونها مكية أو مدنية.
- يذكر عدد آياتها وعدد حروفها.
- يفسر البسملة حسب مقاصد كل سورة وأهدافها.
- ثم بشرع في تفسير الآيات مبيناً أسباب النزول ومعاني المفردات.
- ويعرض الناسخ والمنسوخ.
- ويلتزم المناسبات بين السور والآيات.
- ويبين القراءات السبع فيها.
- ويعرض أقوال السلف في التفسير وأقوال الفقهاء في الأحكام.
- ويذكر آراء الفرق المختلفة مظهرًا رأي أهل السنة والجماعة ، ويستفيض في ذكر القصص.
- ويختتم كل سورة بتتبع ما يذكره البيضاوي تبعاً للزمخشري من أحاديث موضوعية في فضل السورة ، ويبين ما يصح من فضائلها.

هذا على الإجمال منهج الخطيب الشربيني في تفسيره كما استقى من مطالعته له ، وفي مباحث الرسالة تفصيل له.

تأثره بمن سبقه من المفسرين

اعتمد الإمام الخطيب الشربيني في تفسيره بصورة كبيرة على من سبقه من المفسرين ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره فقال^(١): "وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة روايةً ودرايةً، عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم، واشتهرت وانتشرت مآثرهم، جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد ﷺ .

كما أوضح ذلك في خاتمة تفسيره، حيث يقول عند انتهائه من التفسير^(٢):

"قدونك تفسيراً كأنه سبكةٌ عسجد^(٣)، أو دُرٌّ منضد^(٤) جمع من التفاسير معظمها"

فالمطالع لتفسير الشيخ الخطيب الشربيني يجده قد نقل عن العديد ممن فسروا قبله بالمأثور والرأى ؛ فمن المفسرين بالمأثور الذين نقل عنهم الطبري والبغوي، ومن فسروا بالرأى ونقل عنهم الرازي والزمخشري والبيضاوي والنسفي وأبو حيان والجلال المحلي والبقاعي وغيرهم، إلا أنه كثيراً ما يعتمد على التفسير الكبير للفخر الرازي ؛ فالمطالع لتفسير الشيخ الشربيني يجده يكثر من النقل عن تفسير الفخر الرازي ، ويختار ترجيحاته، ويميل لأرائه.

١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٢ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٤٨٠ .

٣ - العسجد: هو الذهب، وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت، ينظر لسان العرب لابن منظور ، مادة "ع ، من ، ج ، د" ج ٣ ص ٢٩٠ .

٤ - ضد الشيء ؛ جعل بعضه على بعض منسجاً أو بعضه على بعض ؛ ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة "ن ، ض ، د" ج ٣ ص ٤٢٤ .

وعندما ينقل الشيخ الخطيب الشربيني عن غيره من المفسرين قد ينسب ما ينقله من أقوال، وقد لا ينسبها ، وقد يناقش ما ينقله ويرجح، وقد يتعقب هذه الآراء بالتضعيف ويردها . وسأعرض اتجاهاته في النقل عن المفسرين بالأمثلة فيما يأتي:

١- عرض الأقوال ونسبتها لقاتليها:

كثيراً ما ينسب الشيخ الخطيب الشربيني الأقوال إلى المفسرين الذين نقل عنهم:

● ومثال ذلك استدلاله بقول البقاعي عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ذُرِّيَّةٌ مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾^(١) إذ يقول الخطيب الشربيني^(٢): "قفى ذلك تذكير بإنعام الله - تعالى - عليهم وإنقاذ آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة. قال قتادة^(٣): "الناس كلهم من ذرية نوح ؛ لأنه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام ويافث، فالناس كلهم من ذرية أولئك"، قال البقاعي^(٤): "لأن الصحيح أن من كان معه من غير ذريته ماتوا ولم يعقبوا . ولم يقل ذرية نوح ليعلم أنهم عقب أولاده المؤمنين لتكون تلك مئة أخرى".

١ - سورة الإسراء : جزء من آية ٣.

٢ - ينظر: السراج المنير : ج٣ ص ٤٠٥.

٣ - ذكره الطبري في تفسيره للآية نفسها ج١٥ ص ١٥، ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط. دار الجيل - بيروت .

٤ - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٢٥ هـ - ١٩٩٥ م الأولى ج٤ ص ٣٣٤.

● وعند إنتهائه من تفسير قوله - تعالى - ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَّ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾^(١) يذكر مسألة نقلا عن الزمخشري فيقول^(٢):
 " قال الزمخشري^(٣): " فإن قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله - تعالى -
 ليسكنوا و"مبصرا" حيث كان أحدهما علة والآخر حالا؟ قلت: هو مراعى
 من حيث المعنى ، وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف ؛ لأن معنى "مبصرا"
 ليصروا فيه طرق التقلب في المكاسب".

● وأيضا عن إنتهائه من تفسير قوله - تعالى - ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
 الْمَغْفِرَةِ ﴾^(٤) لينقل تعليقا عن البيضاوى فيقول^(٥): " قال البيضاوى^(٦): و لعله
 عقب به وعيد المسيئين لئلا يياس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم
 وجوب العقاب على الله تعالى".

● وينقل عن الزمخشري والبقاعي عند تفسير قوله - تعالى - ﴿ وَلَقَدْ
 مَكَانَهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَانَكُمْ فِيهِ ﴾^(٧)

١ - سورة النمل : جزء من آية ٨٦.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ١١٤.

٣ - ينظر: للكشاف عن حقائق التنزيل وحيون الأكواويل في وجوه التأويل لأبي الفاسم
 جار الله محمود بن صمر الزمخشري الخورزمي ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ، وبآخره تنزيل -
 -الآيات على الشواهد من الآيات " للعالم المنفق محب الدين أفندي ، ط. دار الفكر
 ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الأولى ج٣ ص ١٦١.

٤ - سورة النجم : جزء من آية ٣٢.

٥ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٢٠٢.

٦ - ينظر: حاشية محيي الدين شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى الفوحوى
 الحنفى المتوفى سنة ٩٥١ هـ على تفسير القاضى البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ضبطه
 وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت -
 لبنان ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م الأولى ج٨ ص ٢١.

٧ - سورة الأحقاف : جزء من آية ٢٦.

فيقول^(١): " تنبيه: قال البقاعي^(٢): " وجعل الناقى "إن" ؛ لأنها أبلغ من "ما" لأن ما تنفى تمام الفوت، لتركبها من الميم والالف التى حقيقة إدراكها فوت تمام الإدراك. وإن تنفى أدنى مظاهر مدخولها، فكيف بما وراءه من تمامه ؟ لأن الهمزة أول مظهر لفوت الألف والنون لمطلق الإظهار - هذا إلى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار، إلى غير ذلك من بديع الأسرار " أ.هـ

وقال الزمخشري^(٣): " إن نافية ؛ أى: فيما ما مكناكم فيه ؛ إلا أن "إن" أحسن فى اللفظ ، لما فى مجامعة ما يمثلها من التكرار المستبشع ومثله مجتنب. ألا ترى أن الأصل فى مهما: ماما فليشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغت أبو الطيب فى قوله:

لعمرك ماما بان منك لضارب^(٤)

وما ضربه لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال:

لعمرك ما إن بان منك لضارب. وقد جعلت "إن" صلة مثلها فيما أنشده الأخفش رحمه الله:

يرجى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناء الخطوب^(٥)

١ - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٥.

٢ - ينظر: نظم الدرر للبقاعي جـ ٧ ص ١٣٨.

٣ - ينظر: الكشف للزمخشري جـ ٣ ص ٥٢٥.

٤ - صدر بيت للمتنبي: " يرى أن ما ما بان منك لضارب بأقل مما بان منك لعائب " ، وهو من الطويل ؛ ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمى بالثنيان فى شرح الديوان - ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م حرف الياء جـ ٦ ص ١٥٨ .

٥ - البيت من الوافر فى خزائن الأدب وثابت لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ ط. مكتبة الخانجي ، القاهرة بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، الثانية جـ ٨ ص ٤٤٠ ، وقال إن المشهور فيه يرجى المرء ما إن لا

وتؤول بأننا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول".

٢- عرض الأقوال غير منسوبة لقائلها:

● ومثال ذلك التنبيه الذي ذكره بعد انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾^(١) حيث يقول^(٢): "تنبيه: أكثر المفسرين على أن المراد بالكتاب القرآن، وقيل: إن المراد جئس الكتاب".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ النَّادِ﴾^(٣) يقول^(٤): "وقوله ﴿يَوْمَ النَّادِ﴾ أجمع المفسرون أنه يوم البعث".

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٥) يقول^(٦): "أى: بسبب إقامة الحق، وقيل: خلقهما بكلامه الحق الذي هو قوله تعالى: 'كن'".

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿أَمْ الْقُرَى﴾^(٧) يقول الخطيب الشربيني^(٨): "وسميت أم القرى لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأنًا . ولبعض المجاورين:

بلاهي^٩، وشرح شواهد الكشف ج٤ ص ٣٤٣، ٣٤٤ وقال : لشدّه الأخفش من شعر
إليس بن الأرت.

١ - سورة فاطر : جزء من آية ٣٢.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٧٨.

٣ - سورة غافر : جزء من آية ٣٢.

٤ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٣٠٨.

٥ - سورة الأنعام : جزء من آية ٧٣.

٦ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ١٤٥.

٧ - سورة الأنعام : جزء من آية ٩٢.

فَمَنْ يَنْقُ فِي بَعْضِ الْقُرَيَاتِ رَحْلَهُ فَأَمُّ الْقُرَى مُلْقَى رَحَالِي وَمُنْتَابِي^(٢)

وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها ، أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس^١.

وتلك بعض أمثلة من مواضع كثيرة لا ينسب الشيخ الخطيب الشربيني فيها الأقوال لأصحابها ؛ فتارة ينسبها إلى المفسرين بالإجماع أو أكثرهم أو بصدرها بصيغة قيل ، خاصة إذا كان الرأي عنده هو الأضعف ؛ ليبين أن المذكور أولاً هو المختار عنده.

٣- يعرض الأقوال ولا يناقشها:

والشيخ الشربيني - مع حرصه على جمع ما يستطيع من آراء تفيد في تفسير الآية وبيان المعاني المختلفة - يعرض في الغالب الأعم هذه الآراء دون مناقشتها أو ترجيح أحدها.

● ومثال ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٣) حيث يقول^(٤): "قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقال الزهري^(٥): اللطيف الرفيق بعباده، وقيل: اللطيف

^١ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ١٣٦.

^٢ - البيت من الطويل ، للزمخشري ، واستدل به عند تفسيره لسورة الأنعام (ولتذكر أم القرى)؛ ينظر: شرح شواهد الكشاف في نهاية تفسير للكشاف ج٤ ص ٣١٧ .

^٣ - سورة الأنعام : جزء من آية ١٠٣.

^٤ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ١٣٦.

^٥ - هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، وكنيته أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من زعموس الطليقة الرابعة ، مات سنة خمس وعشرين ، وقيل قبل ذلك

الموصل الشيء بالرفق واللين، وقيل: اللطيف الذي ينسى العباد ذنوبهم لئلا يخلوا^١.

● وأيضاً يعرض الآراء دون مناقشتها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾^(١)

حيث يقول^(٢): "قال ابن جريج^(٣): أى: من القرآن، وقيل: مما ألقى الشيطان على رسول الله ﷺ يقولون فما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها، وقيل: من الذين وهو الصراط المستقيم".

● وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٤) قال الخطيب الشربيني^(٥): "﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من هم؟ فقيل: هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحارث ابنا هشام، وعقبة وشيبة ابنا ربيعة، وغيرهم، وقيل: كفار قريش، وقيل: أهل الكتاب، وقيل: كل كافر؛ لأنهم سترُوا أنوار الأدلة وضلوا على علم".

بسنة أو سنتين؛ ينظر: تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني — ط — دار المعرفة بيروت، الثانية ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م، ج ٢ ص ٢٠٧.

^١ - سورة الحج: جزء من آية ٥٥.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٤ ص ٣٦١.

^٣ - هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولاهم، الأموي بالولاء، أبو الوليد وأبو خالد بفقهاء الحرم المكي، وإمام أهل الحجاز في عصره، أول مكى رتب الأحاديث ترتيباً منهجياً، قال عنه أحمد بن حنبل: كان من أوعية العلم وقال الذهبي: كان نبياً، لكنه يذلس^٤ له "تفسير القرآن" ولد سنة ٨٠ هـ ومات سنة ١٥٠ هـ ينظر معجم المفسرين لعادل تويبحص ج ١ ص ٣٣٣.

^٤ - سورة محمد: آية ١.

^٥ - ينظر: السراج المنير ج ٧ ص ٣٥.

٤- يعرض الأقوال ويختار الأظهر منها ويرد الضعيف :

● ومثال ذلك رده (تضعيفه) رأى البيضاوى عند ذكره للقراءات فى قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْحَامُ ﴾^(١)

حيث يقول^(٢): " وقرأ غير حمزة بالنصب عطفًا على "الله" — تعالى ؛ فالعامل فيه اتقوا كما قدرته أو معطوف على محل الجار والمجرور؛ كقولك: مررت بزيد وعمراء، وأما حمزة فقرأ بالجر عطفًا على الضمير المجرور، وقول البيضاوى^(٣): وهو ضعيف أى: كما هو مذهب البصريين ممنوع ، والحق أنه ليس بضعيف ؛ فقد جوزّه الكوفيون، وكيف يكون ضعيفًا والقراءة به متواترة؟ فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين، وتعليلهم عدم الجواز بكونه كبعض كلمة لا يقتضى إلحاقه به فى عدم جواز العطف ؛ إذ حذف الشيء مع القرينة جائز ومنه :

رسم دار وقفت فى طلله^(٤)

أى: ورب رسم دار وقول الشاعر:

أذهب فما بك والأيام من عجب^(٥).

● وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾^(٦) يختار رأياً يرى أنه الأظهر حيث يقول^(٧): " ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ هو الله —

^١ - سورة النساء : جزء من آية ١.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٣٦، ٤٣٥.

^٣ - ينظر: حاشية رادة على البيضاوى جـ ٣ ص ٢٤٧.

^٤ - صدر بيت لجميل بثينة ، وعجزه: (كنت أفضى الغداة من حليلة) ، وهو من الخفيف؛ ينظر: ديوان جميل ، شعر الحب العذرى ، جمع وتحقيق وشرح د. حسين نصار — ط، مكتبة مصر ، حرف اللام ص ١٨٧ .

^٥ - عجز بيت من البسيط ، وصدره " فالنوم قد صرت تهجونا وتشتمنا" ، ذكره محبى الدين شيخ زاده بلا نسبة فى حاشيته على البيضاوى جـ ٣ ص ٢٤٨ .

^٦ - سورة الرعد : جزء من آية ٤٣ .

تعالى . قال الحسن: لا والله لا يعنى إلا الله ، والمعنى كفى بالله الذى يستحق العبادة، وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح إلا هو شهيدا بينى وبينكم، وهذا أظهر كما استظهره البقاعى^(٢)، وإن كان عطف الصفة على الموصوف خلاف الأصل إذ يقال: شهد بهذا زيد الفقيه، لا زيد والفقيه؛ لأنه جائز فى الجملة، وقيل: معناه: أن علم أن القرآن الذى جئتم به معجز ظاهر وبرهان باهر؛ لما فيه من الفصاحة والبلاغة والإخبار عن الغيوب وعن الأمم الماضية ؛ فمن علمه بهذه الصفة كان شهيدا بينى وبينكم والله أعلم بمراده^١.

● وكذلك يعرض الآراء فى معنى الغرائيق ويختار ما يراه أحسنها فيقول^(٣): "وعلى القول بها قد سلك العلماء فى ذلك مسالك أحسنها أن النبى ﷺ كان يرثل القرآن فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمتها بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها، وقال البيضاوى بعد أن ذكر بعض هذه القصة^(٤): وهو مردود عند المحققين، وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه، انتهى. قال ابن الأثير^(٥) والغرائيق هنا الأصنام، وهى فى الأصل للذكور من طير الماء، واحدا غرنوق وغرنيق ، سمي به ليبيضه ، قال: وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلق إلى السماء

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٢٤٢.

^٢ - ينظر: نظم الدرر للبقاعى جـ ٤ ص ١٦٤ .

^٣ - ينظر السراج المنير : جـ ٤ ص ٣٦٠.

^٤ - ينظر حاشية زادة على البيضاوى : جـ ٦ ص ١٢٤.

^٥ - هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى أبو السعادات مجد الدين، المحدث، اللغوى، الأصولى ، ولد سنة ٥٤٤ هـ من كتبه الإتصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف فى التفسير ، أحاديث الرسول جمع فيه الكتب الستة والمختار فى مناقب الأخبار، توفى عام ٦٠٦ هـ ، ينظر: الأعلام جـ ٦ ص ٥٢ .

السماء وترتفع ، وقيل: تمنى أى: قرأ ، كقول حسان فى حق عثمان ابن عفان:

تَمْنَى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ تَمْنَى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ^(١)
أى على تأنٍ وتمهل.

هذا وقد تتبع الشيخ الخطيب الشربيني كل ما ذكره البيضاوى تبعاً للزمخشري فى فضائل السور ونبه على كونه ضعيفاً أو موضوعاً، كما رد ما ذكره غيره من الدخيل فى القصص مما يُخل بعصمة الأنبياء؛ وكذلك ناقش آراء الفرق المخالفة لأهل السنة فى العقيدة ففندها ورد عليها، وقد بينت ذلك بالأمثلة المختلفة كلا فى مبحث خاص.

^١ - البيت من الطويل ، نسبه ابن منظور فى لسانه لحسان بن ثابت - رضى الله عنه - مادة تم بن ، ي- ج- ١٥ ص ٢٩٤ ، ولم أجده فى ديوان حسان ، و بلا نسبة فى شرح- سمواهد للكتاب ج- ٤ ص ٤٩٥ ، وفى السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافى المعروفة بسيرة ابن هشام - ط. المكتبة القيمة ، القاهرة ج- ٢ ص ٩٧ ، نسبه لأبى عبيدة النحوى ، وقال تمنى كتاب الله فى الليل خالياً .

الفصل الأول

منهجه فى التفسير

ذكره للمأثور

يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والإيضاح لبعض آياته، وما نقل عن النبي ﷺ، وما نقل عن الصحابة - رضوان الله عليهم - وما نقل عن التابعين، مما هو بيان لمركب الله عز وجل من النصوص القرآنية، وتفسير الشيخ الخطيب الشربيني جمع فيه مؤلفه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية إلا أنه غلب عليه جانب الرأي؛ ولهذا عدّه الذهبي ضمن كتب التفسير بالرأي، وقد اعتمد الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير على المصادر السابقة، وسأعرض ذلك بالأمثلة من تفسيره فيما يلي:

١- تفسير القرآن بالقرآن:

المصدر الأول للتفسير هو القرآن نفسه، فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل من مكان فسر وبين في مكان آخر، وما أوجز من مكان بسط في مكان آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في أخرى.

لذلك كان لابد لمن يفسر القرآن أن يرجع إلى القرآن نفسه أولاً، وأن يكون لديه القدرة على جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، ومقابلة بعضها ببعض ليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، ويفهم ما جاء مجملًا بما جاء مبينًا، وبهذا يفهم مراد الله - عز وجل - لأن صاحب الكلام أعلم بمعاني كلامه^(١)

وقد اعتمد المفسرون في تفسيرهم للقرآن على القرآن نفسه كمصدر من مصادر التفسير التي استندوا إليها، ومنهم من أفرد تصنيفاً يقتصر فيه على

^١ - مستقى من : التفسير والمفسرون للذهبي ج١ ص ٤٢، ٤٣، ٢٨١.

تفسير القرآن بالقرآن - وهو الشيخ محمد الشنقيطي^(١) الذي جمع تفسيراً في تسعة مجلدات أسماه "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن".

والإمام الخطيب الشربيني من المفسرين الذين اهتموا بتفسير القرآن بالقرآن؛ فالمطالع لتفسيره يجده قد أكثر من هذا اللون من التفسير، ومن أهم الموضوعات والأهداف التي تطرق إليها من خلال تناوله لتفسير الآيات بآيات أخرى - توضيح معاني المفردات القرآنية وتفسير مجمل آية بأخرى، وحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، والجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، وسأتناول كلا منها بالأمثلة فيما يلي:

١ - بيان معاني المفردات:

يهتم الشيخ الخطيب الشربيني بشرح مفردات الآية القرآنية، ويعتمد في شرح الكلمات القرآنية أولاً على القرآن نفسه، ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٢) يشرح معنى الهدى في الآية الكريمة ويقابله بالمواضع الأخرى التي وردت في القرآن الكريم ؛ فيقول^(٣) : " تنبيه: هدى : أصله يتعدى باللام أو بالي ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْ هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الاسراء: ٩] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] فعومل معاملة 'اختار' في قوله - تعالى - : ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ [الاعراف: ١٥٥] وقد يتعدى بنفسه كما هنا أي: في آية الفاتحة وهو حينئذ

^١ - هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي مفسر، باحث، من علماء شنقيط بموريتانيا ولد وتعلم بها، واستقر مدرّساً في المدينة وتوفي بمكة ١٣٩٣هـ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض جـ ٢ ص ٤٩٦ .

^٢ - سورة الفاتحة: آية ٦.

^٣ - ينظر: السراج المميز جـ ١ ص ٣٣.

محتمل لإضمار الحرف ولعدم إضماره . وهداية الله - تعالى - تتنوع أنواعا لا يحصيها عدد كما قال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤] [النحل: ١٨] ولكنها تنحصر في أجناس مرتبة : الأول : إفاضة القوى التي يتمكن بها المؤمن من الاهتداء إلى مصالحة : كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني : نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد ، وإليه أشار - تعالى - إذ قال : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] أى : طريق الخير والشر . وقال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [قصص: ١٧] ، والثالث : الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عني بقوله - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الاسراء: ٩] والثرايع : أن يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام والمنامات الصادقة ، وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عني - تعالى - بقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ ائْتَدَوْا ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] "

● وأيضاً عند تفسيره لمعنى الكتاب فى قوله - تعالى - : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ^(١) ينتبع المعنى فى الآيات القرآنية الأخرى ؛ فيقول ^(٢) : " ليعلم أن هذا الكتاب المنزل هو ذلك الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ ، والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة ، أو فعال بنى للمفعول كاللباس ، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب ؛ لأنه مما يكتب ، وأصل الكتب الضم والجمع ، سمي الكتاب كتاباً ؛ لأنه جمع حرف إلى حرف . والكتاب جاء فى القرآن على وجود ؛ أحدها : الفرض ؛ قال - تعالى - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

^١ - سورة البقرة: آية ٢ .

^٢ - ينظر : السراج المميز ج ١ ص ٤٠ .

الْقِصَاصُ» [البقرة: ١٨٧] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ﴿إِنْ
الصَّلَاةُ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] وثانيها: الحجة
والبرهان ؛ قال - تعالى - : ﴿فَلْتَأْتُوا بَكْتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
[الصافات: ١٥٧] أى: برهانكم، وثالثهما: الأجل ؛ قال - تعالى - : ﴿وَمَا
أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] أى أجل، ورابعها: بمعنى
مكانية السيد رقيقه، قال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوا لَهُمْ﴾ [النور: ٣٣] "

● وعند شرحه لمعنى المقام فى قوله - تعالى - : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ
مَقَامِي﴾^(١) يقول^(٢) : " أى: موقفى وهو موقف الحساب؛ لأن ذلك الموقف
موقف الله الذى يوقف فيه عباده يوم القيامة، ونظيره ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ
رَبِّهِ﴾ [النازعات: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾
[الرحمن: ٤٦] وقيل: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ [إبراهيم: ١٤] أى : خافنى؛
فالمقام مقحم مثلما يقال: سلام على المجلس العالى ، والمراد السلام على
فلان".

● وكذلك عند تفسيره للصدع فى قوله - تعالى - : ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتِ
الْصَّدْعِ﴾^(٣) يقول^(٤) : " أى: التى تتصدع عن الثبات والشجر والثمار
والأنهار والعيون، نظيره: قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾
[عبس: ٢٦] الآية "

١ - سورة إبراهيم: آية ١٤.

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٢٥٤.

٣ - سورة الطارق: آية ١٢.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٣١١.

٢ - تفسير مجمل الآية بأخرى:

كثيراً ما يشرح الإمام الخطيب الشربيني الآية القرآنية بآيات قرآنية أخرى مطابقة لها ومؤكدة لمضمونها ؛ فيسوق من الآيات الأخرى ما يبرزها ويوضحها فيما ترمى إليه في مجال الشرح والاستشهاد ؛ ومن أمثلة ذلك:

• عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾^(١) يقول^(٢) : " أى : استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ، وهى ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية " .

• وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾^(٣) يقول^(٤) : " أى : يسهل عليكم أحكام الشرع ، وقد سهل كما قال تعالى : ﴿ وَيُضَعِّفْ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] " .

• وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٥) يقول الشيخ الخطيب الشربيني^(٦) : " أى : لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها ﴿ وَأَنْتُمْ مَكَارِي ﴾ من الشراب ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ بأن تصحوا ؛ منه كقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الاسراء: ٣٢] ، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] " .

١ - سورة البقرة: آية ٣٧ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٨٦ .

٣ - سورة النساء: آية ٢٨ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٦٤ .

٥ - سورة النساء: آية ٤٣ .

٦ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٧٧ .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾^(١) يقول^(٢) : " أى : أردتم القيام إليها ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ٩٨] عير عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها ؛ للإيجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة "

٣- الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف:

من تفسير القرآن بالقرآن: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف ، وقد عنى الشيخ الخطيب الشربيني بالجمع بين ما يبدو أنه مختلف ، ونفى الاختلاف بين الآيات القرآنية، وإبراز الوحدة بينها ويتضح ذلك من النماذج الآتية:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾^(٣) يقول^(٤) : "أى: مما عملوه؛ لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقال الحسن: إنها مواطن ؛ ففى مواطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا، وفى مواطن يتكلمون وبكذبون ويقولون: ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء، وفى مواطن يسألون الرجعة، وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم؛ وهو قوله - تعالى - ' وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ' وقال سعيد بن جبیر: قال رجل لابن عباس: إني أجد فى القرآن شيئا يختلف على ؛ فقال: هات ما اختلف عليك قال: قال الله - تعالى - : ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الطور: ٢٥] وقال - تعالى - : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ وقال: ﴿ وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الانعام: ٢٣] فقد كنتموا، وقال - تعالى - : ﴿ أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾

١ - سورة المائدة: آية ٦.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٧٧.

٣ - سورة النساء: آية ٤٢.

٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٧٦.

[النازعات: ٣٠] فذلك خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ إلى ﴿ طَائِعِينَ ﴾ [قصص: ١١] فنذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ، وقال - تعالى - : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفتح: ١٤] وقال: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ١٩] فكانه كان قد مضى - فقال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما: " فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون " فى النقطة الأولى . قال: ﴿ وَتَفْخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿ فَمَا أَنْسَابُ ﴾ عند ذلك ﴿ وَلَمَّا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فى النقطة الأخيرة ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفافات: ٥٠] وأما قوله: " والله ربنا ما كنا مشركين " ، " ولا يكتُمون الله حديثا " فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ؛ فقال المشركون: تعالوا نقل: لم نك مشركين ، فيختم على أفواههم فتتطرق أيديهم وأرجلهم ؛ فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتُم حديثا ، وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ، وخلق الأرض فى يومين ، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين ، ثم دحا الأرض فى يومين ، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والأكام وما بينهما فى يومين آخرين ؛ فقال: خلق الأرض فى يومين ، فخلقت الأرض وما فيها من شيء فى أربعة أيام وخلقت السموات فى يومين . وكان الله غفورا رحيمًا ؛ أى: لم يزل كذلك ؛ فلا يختلف عليك القرآن ؛ فإن كلا من عند الله " .^(١)

^١ - أخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : التفسير بتفسير سورة النساء مج- ٢ ص ٣٣٦ ح ٣١٩٨ وتفسير سورة المؤمنون ج- ٢ ص ٤٢٨ ح ٣٤٨٩ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه - ووافقه الذهبي ؛ ينظر : المستدرک على الصحيحين للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى مع تضمينات الإمام الذهبي فى التلخيص والميزان والعرقى فى أماليه والمناوى فى قبض القدير وغيرهم من العلماء -

● وبعد انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ
فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾^(١) قال^(٢) : " فإن قيل: قد حكى الله -
تعالى - عن فرعون أنه تاب في آخر الأمر ولم يقبل توبته، وحكى عن قوم
يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم ؛ فما الفرق بين الحالين؟ أجيب: بأن فرعون
إنما تاب بعد أن شاهد العذاب وهو وقت اليأس من الحياة، أما قوم يونس
فإنهم تابوا قبل ذلك؛ فإنهم لما ظهرت أمارات تلت على قرب العذاب تابوا
قبل أن ينزل بهم ولم يباشروهم، فكاثروا كالمريض يخاف ويرجو العافية، وإن
الله - تعالى - قد علم صدق نياتهم في التوبة ؛ فقبل توبتهم ، بخلاف
فرعون فإنه لم يصدق في إيمانه ولا أخلص ؛ فلم يقبل منه "

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ
مِّنْ حَمَإٍ مَّسْتُورٍ ﴾^(٣) يقول^(٤) : " من صلصال' أى: من الطين الشديد اليابس
الذى لم تصبه نار ، إذا نقرته سمعت له صلصلة ؛ أى: صوتاً. وقال ابن

-الأجلاء ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الثانية .

١ - سورة يونس: آية ٩٨ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج٣ ص 58 .

٣ - سورة الحجر: آية ٢٦ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

عباس^(١): هو الطين إذا نضب عنه الماء تشقق ، فإذا حرك تقعقع. وقال مجاهد: هو الطين المنتن ، واختاره الكسائي^(٢).

وقال الفراء^(٣): هو طين خلط برمل فصار له صوت عند نقره. وقال الرازي^(٤): قال المفسرون: خلق الله - تعالى - آدم من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين ، فصار صلصالاً ، لا يدرى أحد ما يراد به ، ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح. "من حمأ" أي: طين أسود منتن "مسنون" أي: مصور بصورة الأدمي. وقال ابن عباس: هو التراب المبتل المنتن. وقال مجاهد: هو المنتن المتغير^(٥). قال البغوي^(٦): وفي بعض الآثار أن الله - تعالى - خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيراً أسود ثم خلق منه آدم - عليه السلام - قال الخازن^(٧): والجمع بين هذه الأقوال على ما ذكره بعضهم أن الله - تعالى - لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض ؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثم إن ذلك التراب بله بالماء وحمأ حتى اسود وأنتن ريحه وتغير ؛ وإليه الإشارة بقوله - تعالى - "من حمأ مسنون" ثم إن ذلك الطين الأسود المتغير صورته الله صورة إنسان

^١ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره مجامع البيان عن تأويل آي القرآن - سورة الحجر، قوله - تعالى - : "من حمأ مسنون" جـ ١٤ ص ٦١ وهذا الأثر ضعيف، رواه كلهم ضعفاء .

^٢ - ينظر: معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ للدكتور عيسى شحاتة عيسى - ط. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٨ م ص ١٧٥ .

^٣ - ينظر: معاني القرآن للفراء جـ ٢ ص ٨٨ .

^٤ - يراجع: التفسير الكبير للرازي جـ ١٩ ص ١٤٢، ١٤٣ .

^٥ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جـ ١٤ ص ٦١ .

^٦ - ينظر: تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن جـ ٣ ص ٦٤ .

^٧ - ينظر: تفسير الخازن جـ ٣ ص ٦٤، ٦٥ .

أجوف ، فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح ؛ فيسمع له صلصلة ؛ وإليه الإشارة بقوله - تعالى - : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفُخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤] وهو الطين اليابس يفخر في الشمس ثم نقخ فيه الروح ؛ فكان بشراً سوياً .

● وبعد إنتهائه من تفسير - قوله تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١) يقول^(٢) : " فإن قيل : - قوله - تعالى - : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ ﴾ [الزمر: ٤٢] يدل على أن المتوفى هو الله - تعالى - ويؤيده قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملئك: ٢] وقوله - تعالى - عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقال - تعالى - في آية أخرى : ﴿ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام: ٦١] فكيف الجمع ؟ أجيب : بأن المتوفى في الحقيقة هو الله - تعالى - إلا أنه تعالى فوض كل نوع إلى ملك من الملائكة ؛ ففوض قبض الأرواح إلى ملك الموت وهو الرئيس وتحتة أتباع وخدم ؛ فأضيف التوفى في آية إلى الله - تعالى - وهي الإضافة الحقيقية، وفي آية إلى ملك الموت ؛ لأنه الرئيس في هذا العمل ، وفي آية إلى أتباعه .

٤ - حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص :

من تفسير القرآن بالقرآن أيضا تقييد المطلق، وتخصيص العام، وقد عني الخطيب الشربيني بهذا الوجه من وجوه تفسير القرآن بالقرآن ؛ ويتضح ذلك من النماذج الآتية :

^١ - سورة الزمر : آية ٤٢ .

^٢ - ينظر : السراج المميز : ج ١ ص 264 .

● تقييده إحباط العمل بالردة - بالموت على الكفر عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ^(١) ﴾ إذ يقول ^(٢): " أى: بطلت 'أعمالهم' أى: الصالحة 'فى الدنيا والآخرة' فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله كما هو مذهب الشافعى - رضى الله - تعالى - عنه - خلافاً لأبى حنيفة - رضى الله - تعالى - عنه - حيث قال: إن الردة تحبط الأعمال مطلقاً ؛ لقوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ^(٣) ﴾ [المائدة: ٥] وأجيب: بأنه محمول على المقيد عملاً بالدليل ؛ فلا يجب عليه أن يعيد الحج الذى أتى به قبل الردة ؛ كذا غيره، لكن يبطل ثوابه كما نص عليه الشافعى - رضى الله - تعالى - عنه - وإن خالف فيه بعض المتأخرين ."

● ومثال ذلك أيضاً تقييده تحريم الدم بالمسفوح فى سورة المائدة حملاً على تقييده فى سورة الأنعام ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ^(٤) ﴾ يقول ^(٥): " أى: المسفوح ؛ قال - تعالى -: ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ^(٦) ﴾ وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها ."

● ومثال حملة المطلق المقيد أيضاً تقييده الرقبة بالمؤمنة فى كفارة الظهار ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ^(٧) ﴾ يقول ^(٨): " رقبة"

^١ - سورة البقرة: آية ٢١٧.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٢٢، ٢٢٣.

^٣ - سورة المائدة: آية ٣.

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٨.

^٥ - سورة الأنعام: آية ١٤٥.

^٦ - سورة المجادلة: آية ٣.

^٧ - ينظر: السراج المنير ج ٧ ص ٣٣٥.

مؤمنة؛ فلا تجزيء كافرة؛ قال - تعالى - في كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وألحق بها غيرها قياساً عليها بجامع حرمة سببهما من القتل والظهار - أو حملاً للمطلق على المقيد؛ كما في حمل المطلق في قوله - تعالى -: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] على المقيد في قوله - تعالى -: ﴿وَاشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].

● ومثال حملة العام على الخاص تخصيصه عدة المطلقة غير المدخول بها عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١) فيقول بعد انتهائه من تفسيرها^(٢): "قال البيضاوي^(٣): ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الإقراء تضمن معنى الكثرة، فحسن بناء الكثرة ووجوب ذلك في المدخول بهن، أما غيرهن فلا عدة لهن؛ لقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وفي غير الآية والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن؛ كما في سورة الطلاق^(٤)."*

وأيضاً تخصيصه عدة الحامل المتوفى عنها زوجها عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٥) يقول^(٦): "وهذا في غير الحوامل أما هن فعدتهن أن يضعن حملهن بأية الطلاق".*

١ - سورة البقرة: آية ٢٢٨.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٣٣.

٣ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي ج ٢ ص ٥٤٨.

٤ - يقصد قوله تعالى: "واللاتي يمسن من المحيض من نساكنم إن أربنتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن..." الآية ٤ من سورة الطلاق.

٥ - سورة البقرة: آية ٢٣٤.

٦ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٤٢.

٢ - تفسير القرآن بالسنة

السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتفسير بعد القرآن الكريم ؛ فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يلجأون إلى النبي ﷺ إذا أشكلت أية من كتاب الله فيبين لهم ما خفى عليهم ، وإذا رجعنا إلى كتب السنة النبوية المطهرة وجدناها قد أفردت أبواباً للتفسير بين الأبواب التي اشتملت عليها، ذكرت فيها كثيراً من التفسير المأثور عن النبي ﷺ .

فكما فسر القرآن بعضه ببعض فكذلك جاءت السنة مفسرة لكثير من القرآن، وقد شهد القرآن الكريم بهذا ؛ إذ يقول - عز وجل - :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١)
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٢)

وقد أكثر المفسرون من الاستدلال بما ورد في السنة من إيضاح ما أبهم وتفصيل ما أجمل وبسط ما أوجز في القرآن الكريم ، وحاولوا جمع ما تيسر مما نقل عن النبي ﷺ لبيان وتوضيح مراد الله - تعالى - من نصوص كتابه الكريم.

وقد أكثر الشيخ الخطيب الشربيني من الاستدلال بالسنة ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ اهتمامه الشديد بتفسير الآيات الكريمة بالمأثور عن النبي ﷺ ، ويتضح ذلك من اتجاهاته التي استخلصتها من كتابه 'السراج المنير' والتي أعرضها فيما يلي بالأمثلة:

١ - سورة النحل: آية ٤٤.

٢ - سورة الحشر: آية ٧.

١ - بيان معنى كلمة أو متعلقها:

أكثر الشيخ الخطيب الشربيني من استقصاء المعاني اللغوية لمفردات القرآن الكريم وبيان غريبها ، واستند إلى الحديث الشريف لبيان معاني الكلمات في الآيات القرآنية وإيضاح ما ترمى إليه ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لمعنى "الفوقية" في قوله - تعالى - : ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾^(١) يقول^(٢) : "أى: ما زاد على البعوضة في الجنة كالثياب والعنكبوت ، والمعنى أنه لا يستحيى من ضرب المثل بالبعوضة فضلاً عما هو أكبر منه ، أو المعنى الذى جعلت فيه مثلاً وهو الصغر والحقارة كجناحها ؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - ضرب جناحها مثلاً للدنيا بقوله في خير الترمذى : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء)^(٣) ، ونظيره في احتمال الفوقية للجنة و للمعنى ما روى البخارى وغيره: أن رجلاً يميناً خر على طنب فسطاط ؛ فقالت عائشة - رضى الله - تعالى - عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه خطيئة)^(٤)

^١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٦.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٧٢.

^٣ - أخرجه الترمذى في سننه - كتاب: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله - عز وجل - ج٤ ص ٢٩٢ وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، وأخرجه الترمذى أيضاً في سننه - كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا ج٢ ص ١٣٧٦-١٣٧٧ ح ٤١١٠ وأخرجه الطبرانى في المعجم الكبير ج٦ ص ١٧٨ ح ٥٩٢١؛ ينظر: المعجم الكبير للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ٢٦٠ - ٣٦٠ هـ ، حقه وخرج أحاديثه: حمذى عبد المجيد السلفى، الثانية، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب: الرقاق ج٤ ص ٣٤١، ٣٤٢ ح ٧٨٤٧ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

^٤ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: المرضى ،باب : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر -

فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الألم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها في القلة كقرصة النملة . والطنب : حبل الخباء ، والفسطاط : بيت من شعر .

● وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ الَّذِينَ يَرْتُدُّونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾^(١) يقول^(٢): "وهو أعلى الجنة ؛ عن عيادة بن الصامت — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : (فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون عرش الرحمن ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس) (٣) ."

● وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾^(٤) يقول^(٥): " وفى المراد بالقوة أقوال : الأول: الرمي ، وقد جاءت

=العسقلانى شيخ الإسلام قاضى القضاة أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد المولود ٧٧٣ — ٨٥٢ هـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهرسه: طه عبد الرؤوف سعد ، ط . دار الخد العربى — القاهرة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م الأولى ج٤ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ ح ٥٦٤٨ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه — كتاب : البر والصلة والآداب ن باب : ثواب المؤمن من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها ج٤ ص ٢٩٧ ح ٣٥٧٢ ؛ ينظر : صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ — ٢٦١ هـ حققه ورفعه ووضع فهرسه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . دار الحديث — القاهرة ١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م الأولى .

١ - سورة المؤمنون: جزء من آية ١١ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٢٨ .

٣ - أخرجه الترمذى فى سننه — كتاب : الجنة ، باب : ما جاء فى صفة درجات الجنة ج٤ ص ٣٨٧ ح ٢٥٢٩ وسكت عنه ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک — كتاب : الإيمان ج١ ص ١٥٣ ح ٢٦٧ من حديث أبى هريرة ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبى .

٤ - سورة الأنفال: آية ٦٠ .

٥ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٤٧ .

مفسرة به عن النبي ﷺ فيما رواه عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم ألا إن القوة الرمي ثلاثاً)^(١) أخرجه مسلم، وعن أبي أسيد - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففتا لقريش وصفوا لنا: (إذا كثبوكم فعليكم بالنبل)^(٢) وفي رواية: (ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه ، وملاعبة أهله، ورميه بقوسه ؛ أى: نبهه، فإنهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه ، فإنها نعمة تركها أو كفرها)^(٣) أخرجه الترمذى .

● وكذلك تفسيره الحساب اليسير بالعرض ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿فَسَوْفَ يَحْصِبُ حَسَابًا بِسِيرًا﴾^(٤) يقول^(٥) : " هو عرض عمله عليه ؛ كما فسر في حديث الصحيحين ، وفيه : (من نوقش الحساب هلك) وفي رواية : (من حوسب عذب) وقالت عائشة: أليس يقول تعالى : فسوف

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الإمارة ، باب فضل : الرمي و الحديث عليه و قد من علمه ثم نسي جـ ٣ ص ٣٨٣ ح ١٩١٧ .

^٢ - أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب الجهاد ، جـ ٢ ص ١٠٥ ح ٢٤٧١ بلفظ: إذا كثبوكم فارموا بالنبل واستبقوا نبلكم " وصححه الحاكم على شرط الشيخين وقال : أخرجه البخارى ، ووافقه الذهبي .

^٣ - أخرجه الترمذى في سننه - كتاب : فضائل الجهاد ، باب : ما جاء في فضل الرمي في سنن الله جـ ٣ ص ٥٧٤٢ ح ١٦٣٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب : الجهاد ، باب : فى الرمي جـ ٣ ص ١٠٨٨، ١٠٨٩ ح ٢٥١٣ ؛ ينظر : سنن أبى داود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م ، وأخرجه النسائي في سننه - كتاب : الخيل ، باب : تأديب الرجل فرسه جـ ٣ ص ٥٧٤ ح ٣٥٨٠ ؛ ينظر : سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطى والسندى ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م الأولى .

^٤ - سورة الإنشقاق : آية ٨ .

^٥ - ينظر : السراج المميز جـ ٨ ص ٢٩٤ .

يحاسب حساباً يسيراً" فقال: (إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب عذب)^(١) وإنما حوسب حساباً سهلاً ؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة إلا ذهولاً؛ فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسناتها ويعفى عن سيئها".

● ومن ذلك أيضاً تفسير الكوثر في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾^(٢) يقول^(٣): " الكوثر: أى؛ نهراً في الجنة هو حوضه ﷺ ترد عليه أمته؛ لما روى عن أنس أنه قال: (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبسماً؛ فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزل على أنفا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ إلى آخرها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: فإنه نهـر وعذبه ربي خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، أتيتـه عند النجوم، فيختلج العبد منهم؛ فأقول ربي إنه من أمتي؛ فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك)^(٤)".

ثم يذكر سبعة أحاديث أخرى عن الحوض ، ويبين أن أحاديث الحوض كلها صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ،

^١ - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب : العلم ، باب : من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه وكتاب : التفسير سورة إذا السماء انشقت باب فسوف يحاسب حساباً يسيراً وكتاب : الرقاق باب : من نوقش الحساب عذب ؛ ينظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ج ١٠٣ ، ج ١ ص ١٤٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ج ٤٩٣٩ ، ج ١٧ ص ٣٩٤ ح ٦٥٣٧ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : صفة الجنة - باب : إثبات الحساب ج ٤ ص ٥١٠ ، ٥١١ ح ٢٨٧٦ بنحو رواية البخارى التى فى العلم .

^٢ - سورة الكوثر : آية ١ .

^٣ - ينظر : السراج المنير ج ٨ ص ٤٤٢ .

^٤ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الصلاة ، باب : حجة من قال بالبسملة آية من أول كل سورة براءة ج ١١ ص ٣٠٠ ح ٤٠٠ .

وأنه على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه ، وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة .

وهكذا يفعل الشيخ الخطيب الشربيني عند تفسيره لكل آية كريمة ، يكاد لا يترك من السنة شيئاً ورد في معنى كلمة من كلماتها إلا ذكره.

٢- تأكيد معنى الآية:

للسنة النبوية فوائد متعددة ؛ منها : التأكيد ؛ وذلك بأن تأتي السنة موافقة لما جاءت به الآية ؛ فتكون السنة مؤكدة لما جاءت به ومقوية له ؛ ومن ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَبِكُلِّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي هُوَ لَهُمْ ﴾^(١) يقول^(٢) : " فقالوا: حبة في شعرة ، ودخلوا يزحفون على أَسْنَاهُمْ مخالفة في الفعل ، كما بدلوا القول.

روى معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: (قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةً فَبَدَلُوا ؛ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْنَاهُمْ ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ)^(٣) وفي رواية : في شعيرة " .

● وبعد انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٤) يذكر حديثين شريفيين يبينان كيفية الخلق في الرحم؛

١ - سورة البقرة: آية ٥٩ .

٢ - ينظر: السراج المميز ج١ ص ١٠٣ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : التفسير سورة البقرة " وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً... الآية ، وسورة الأعراف، باب: قوله حطة؛ ينظر: فتح الباري ج١٢ ص ٤٧٠ ح ٤٤٧٩ ، ج١٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ح ٤٦٤١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : التفسير ج٤ ص ٦١٩ ح ٣٠١٥ .

٤ - سورة آل عمران: آية ٦ .

فيقول^(١): قال عبد الله بن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك، أو قال: يبعث إليه الملك، بأربع كلمات: فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد، وقال: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب: فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب: فيعمل بعمل أهل الجنة؛ فيدخلها^(٢).

وروى أنه ﷺ قال: (يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم أربعين أو خمسا وأربعين ليلة فيقول: يارب، شقى أم سعيد؟ فيكتبان؛ فيقول: أي رب، ذكر أو أنثى؟ فيكتبان؛ فيكتب عمله وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف؛ فلا يزاد فيها ولا ينقص)^(٣).

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(٤) يقول^(٥): "أي: متكبراً على الناس من أقاربه وأصحابه وجيرانه وغيرهم ولا يلتفت إليهم فخوراً" أي: يتفاخر عليهم بما آتاه الله.

١ - ينظر: السراج المميز جـ ١ ص ٣٠٩.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم ونزله، وكتاب: القدر، باب: رقم ١؛ ينظر: فتح الباري جـ ٩ ص ٥٩٥ ح ٣٣٣٢، جـ ١٧ ص ٤٨٨ - ٥٠٣ ح ٦٥٩٤، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الأدنى في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته جـ ٤ ص ٣٤٠ ح ٢٦٤٣.

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الأدنى في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله جـ ٤ ص ٣٤١ ح ٣٦٤٤.

٤ - سورة النساء: جزء آية ٣٦.

٥ - ينظر: السراج المميز جـ ١ ص ٢٧٢، ٢٧٣.

روى أنه ﷺ قال: (بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه ؛ خسف به الأرض ؛ فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة) ^(١) وفي رواية: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء) ^(٢) .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ لَتَنْذِرُ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٣) يقول ^(٤) : " أى: ليكون حالهم في مجارى العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة ، وأما التوحيد فلا عذر لأحد فيه مع إقامة الله - تعالى - من حجة العقل ومع ما أتقنه الرسل - عليهم الصلاة والسلام - آدم فمن بعده من أوضح النقل بأثار دعواتهم وبقايا دلائلهم ؛ ولذلك قال ﷺ لمن سأله عن أبيه: (أبى وأبوك في النار) ^(٥) وغير ذلك من الأدلة الدالة على أن من مات قبل دعوته على الشرك فهو في النار" . ● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِّي الصَّدَقَاتِ ﴾ ^(٦) يقول ^(٧) : " يمحق الله الربا" أى: يذهب بركنه ويهلك المال الذى

١ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : اللباس ، باب : تحريم للتبختر في المشى مع إعجابه بشأبه جـ ٣ ص ٥١٩ ح ٢٠٨٨ .

٢ - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب : اللباس ، باب : قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، بنظر : فتح البارى جـ ١٦ ص ٨٣ ح ٥٧٨٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : اللباس ، باب : تحريم جر الثوب خيلاء جـ ٣ ص ٥١٦ ح ٢٠٨٥ .

٣ - سورة السجدة: جزء من آية ٣ .

٤ - بنظر : السراج المميز جـ ٥ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

٥ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين جـ ١ ص ٢٠٠ ح ٢٠٣ .

٦ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٧٦ .

٧ - بنظر : السراج المميز جـ ١ ص ٢٩١ .

الذى يدخل فيه، وعن ابن مسعود : "الربا وإن كثر قل"^(١) "ويربى الصدقات"
أى: يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه.

روى الشيخان أنه ﷺ قال: (إن الله - تعالى - يقبل الصدقة ويربها كما
يربى أحكم فلوله)^(٢) .

٣- بيان أحكام زائدة سكت عنها القرآن:

استند الخطيب الشربيني في تفسيره إلى السنة لبيان أحكام جديدة ليست
في القرآن، ولذلك أمر الله - عز وجل - بطاعة رسوله مع الأمر بطاعته
في كثير من الآيات، وقد أمر رسول الله ﷺ معاذاً أن يرجع إلى السنة إذا لم
يجد الحكم في الكتاب، ولو لم يكن فيها زيادة على ما في الكتاب ؛ لما كان
هناك فائدة من الرجوع إليها ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم مِّنكُمْ وَيَذَرُونَ
أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾^(٣) يقول^(٤):

١ - أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤٣، ٤٤ ح ٢٢٦٢ وقال هذا حديث صحيح
الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه ابن ماجه بنحوه ج ٢ ص ٣١٠ ح ٢٢٧٩ ؛ ينظر: سنن
ابن ماجه للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٧ - ٢٧٥ هـ تحقيق : محمد
مصطفى عبد الباقي ، ط، دار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة من كسب طبيب
لقوله "ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم" ؛ ينظر: فتح البارى ج ٤
ص ٥٧٧، ٥٧٦ ح ١٤١٠، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الزكاة ، باب: قبول
الصدقة من الكسب الطبيب وتربيتها ج ٢ ص ١٣٠ ح ١٠١٤.

٣ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٤.

٤ - ينظر: السراج المميز ج ١ ص ٢٤٢.

" وفي غير الإماماء فإنهن على النصف من ذلك بالسنة " (١).

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ (٢) يقول (٣) : " وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب، فقد رهن رسول الله ﷺ درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير أخذه لأهله (٤) فالتقييد بما ذكر؛ لأن التوثق به أشد. وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا في السفر؛ أخذا بظاهر الآية".

١ - روى الترمذي في سننه - كتاب : الطلاق واللعان ، باب : ما جاء أن طلاق الأمة تطليقتان ، ج ٣ ص ٣١٧ ح ١١٨٢ ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال " طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان " وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا عن حديث مظاهر بن أسلم ، والدارمي في سننه - كتاب : الطلاق ، باب : في طلاق الأمة ج ٢ ص ١٧ ح ٢٢٩٤ وقال أبو عاصم : سمعته من مظاهر ؛ ينظر سنن الدارمي للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي ١٨١ - ٢٥٥ هـ ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م الأولى ، وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب الطلاق ، باب : في سنة طلاق العبد ، ج ٢ ص ٩٣٩ ح ٢١٨٩ وقال أبو داود : هذا حديث مجهول ، وابن ماجه في - كتاب : الصلاة ، باب : في طلاق الأمة وعدتها ج ٢ ص ٢٣٨ ح ٢٠٧٩ ، والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٢٢٣ ح ٢٨٢٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

٢ - سورة البقرة : جزء من آية ٢٨٣ .

٣ - ينظر : السراج الملبير ج ١ ص ٢٩٩ .

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : الجهاد ، باب : ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب عن عائشة رضي الله عنها ، وفي كتاب المغازی باب رقم ١٧٩ عن عائشة رضي الله عنها قالت : " توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير . " ينظر : فتح الباری ج ٩ ص ٥٤ ، ٥٥ ح ٢٩١٦ ، ج ١٢ ص ٤٤٥ ح ٤٤٦٧ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾^(١) يقول^(٢): "ويلحق بذلك بالسنة باقى السبع؛ لخبر الصحيحين:

(يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة)^(٣)، وفي رواية: (حرّموا من الرضاعة ما يحرم من الولادة) وفي رواية: (حرّموا من الرضاعة ما يحرم من النسب) ".

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾^(٤) يقول^(٥): "ويلحق بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من نسب أو رضاع ولو بواسطة، قال ﷺ: (لا تتكح المرأة على عمتها ، ولا العمة على بنت أخيها، ولا المرأة على خالتها ، ولا الخالة على بنت أخيها ؛ لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى)^(٦) رواه الترمذى وغيره

^١ - سورة النساء: جزء من آية ٢٣.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص٤٥٦.

^٣ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: التفسير سورة الأحزاب آيات قوله إن تدوا شيئاً أو تكفوه فإن الله كان إلى قوله تعالى "شهاداً" الآية بلفظ حرّموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب وهو من قول عائشة رضى الله عنها بكتاب: الأب باب قول النبى ﷺ تربت يمينك وعفري حلفى بالرواية السابقة نفسها ؛ ينظر: فتح البارى ج١٣ ص٤٨٢ ، ٤٨٣، ج١٦ ص٤٤٣ ، ٤٤٤ ح ٦١٥٦ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب: الرضاع ، باب: يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة ج٢ ص١٠٦٨ ح١٤٤٤ عن عائشة: مرفوعاً بلفظ أن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة، وفى رواية: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، وفى الباب بنفس رواية البخارى.

^٤ - سورة النساء: جزء من آية ٢٣.

^٥ - ينظر: السراج المنير ج١ ص٤٥٩.

^٦ - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب: النكاح ، باب: ما جاء لا تتكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ج٣ ص٢٨٢ ، ٢٨٣ ح ١١٢٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود فى سننه - كتاب النكاح باب ما يكره أن يجمع بينهما من النساء =

وصححوه. ولما فيه من قطيعة الرحم، وإن رضيت بذلك، فإن الطبع، يتغير وإليه أشار ﷺ في خبر النهي عن ذلك بقوله: (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامهم)^(١) كما رواه ابن حبان وغيره . وضابط تحريم الجمع ابتداء ودواما هو: كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع ولو فرضت إحداهما ذكرا حرم الجمع بينهما بِنكاح أو وطء بملك اليمين .

● ومثال ذلك أيضا بيانه حكم الزاني المحصن عند تفسيره لقوله — تعالى —: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ»^(٢) فيقول^(٣): " ثم إنه — تعالى — ذكر في السورة أحكاما كثيرة ؛ الحكم الأول: قوله — تعالى — : "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي" أي: المحصنين لرجعهما بالسنة ، وأل فيما ذكر موصولة ، وهو مبتدأ ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو "فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدَةٍ" أي: ضربة ؛ يقال: جلده إذا ضرب جلده، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام^(٤)، والرقيق على النصف مما ذكر،

جـ ٢ ص ٨٨٣ ح ٢٠٦٥ ، وأخرجه أحمد في مسنده — مسند علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — بلفظ آخر جـ ١ ص ٤١٣ ح ٥٧٧ وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

١ - أخرجه أبو داود في المراسيل — كتاب : النكاح ، باب نما جاء في النكاح ص ٨٦ ح ٢١٧ بسنده عن عيسى بن طلحة قال : نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على قرابتها مخافة القطيعة ، والطبراني في المعجم الكبير جـ ١١ ص ٣٣٧ ح ١١٩٣١ بسنده عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ أن تزوج المرأة على العمة، وعلى الخالة وقال : إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم .

٢ - سورة النور: جزء من آية ٢.

٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٣٦٥.

٤ - روى مسلم في صحيحه — كتاب: الحنود جاب: حد الزنا جـ ٣ ص ١٨١، ١٨٢ ح ١٦٩٧، ١٦٩٨ عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني، أنهما قالا (إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أتشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله فقال الخصم الآخر، وهو أقره منه نعم، فاقض بيننا بكتاب الله ، وأذن لي فقال =

ولا رجم عليه + لأنه لا ينتصف^(١) .

٤ - بيان المجمل وتقييد المطلق وتخصيص العام:

المطالع لتفسير الخطيب الشربيني يجده يستند إلى السنة النبوية الشريفة عند تفسيره للمجمل في القرآن الكريم ، خاصة ما ورد في السنة لبيان ما أجمل من العبادات ؛ فقد قال ﷺ : (خذوا عني مناسككم)^(٢) وقال ﷺ : (وصلوا كما رأيتموني أصلي)^(٣) ، ومن المواضع التي بين فيها المجمل ما يلي:

رسول الله ﷺ قال : إن ابني كان صبيفاً على هذا فزني بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فالتفت منه بمائة شاه ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني، إنما على ابني جلد مائة وتعزيب عام، وإن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم ردة، وعلى ابنك جلد مائة، وتعزيب عام، واعد يا أيها الرجل امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها. قال : فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت .

^١ - روى مسلم في صحيحه - كتاب : الحدود ، باب : رجم اليهود أهل الذمة في الزنا جـ ٣ ص ١٨٥ ح ١٧٠٢ ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " إذا زنت أمة أحدكم فتيبن زناها فليجلدها الحد ، ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت ، فليجلدها الحد ، ولا يثرب عليها ، ثم إن زنت الثالثة فتيبن زناها فليطبعها ، ولو بحبل من شعر " . وأجمع العلماء على أن الأمة إذا زنت فحدها خمسون جلدة لقوله - تعالى - : " فإذا أحصن فإن أنسن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب " ؛ ينظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبى، ط. دار المعرفة - بيروت لبنان ، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م جـ ٤ ص ٢٧٦ .

^٢ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الحج ، باب : استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً وبين قوله ﷺ : (لتأخذوا مناسككم) جـ ٢ ص ٣٨٠ ح ١٢٩٧ .

^٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : أبواب الأذان ، باب : الأذان للمسافرين جـ ٦٣١ ، ينظر : فتح الباري جـ ٢ ص ٥٧٣ .

• عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾^(١) يستدل بالسنة على أنه ركن ؛ فيقول^(٢) : " والاجتماع على أن السعي بين الصفا والمروة مشروع في الحج والعمرة ، وإنما الخلاف في وجوبه ؛ فعن أحمد أنه سنة ، وبه قال أنس وابن عباس ؛ لقوله - تعالى - "فلا جناح عليه" فإنه يفهم منه التخيير. قال البيضاوي^(٣) : "أوهو ضعيف ، لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه ، وعن أبي حنيفة أنه واجب يجبر بدم ، وعن مالك والشافعي أنه ركن لقوله ﷺ : (اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّهَ - تعالى - كتب عليكم السعي)^(٤) رواه البيهقي وغيره ، وقال ﷺ : (ابدؤوا بما بدأ الله به)^(٥) يعني الصفا ، رواه مسلم ."

- ١ - سورة البقرة: جزء من آية ١٥٨.
- ٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٦٩.
- ٣ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي : ج٢ ص ٣٩٧ .
- ٤ - أخرجه أحمد في مسنده ، مسند حبيبة بنت أبي تجرأة - رضي الله عنها ج٨ ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ح ٢٧٢٤٠ ، وقال محققاه أحمد شاكر وحزرة الزين : إسناده حسن ، وأخرجه الدارقطني في مسنده - كتاب : الحج ، باب : المواقيت ج٢ ص ٢٢٤ ح ٢٥٦٠ ، ينظر : سنن الدارقطني للإمام الحافظ علي بن صر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ علق عليه وخرج أحاديثه مجدى بن منصور بن سيد السجورى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م الثانية ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب : معرفة باب ذكر حبيبة بنت أبي تجرأة - رضي الله عنها - ج٤ ص ٧٩ ح ٦٩٤٣ وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي لم يصح ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج٢٤ ص ٢٢٦ ح ٥٧٣ ، ح ٥٧٤ .
- ٥ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الحج ، باب : حجة النبي ﷺ في حديث طويل عن محمد بن علي بن حسين ج٢ ص ٣٢٢ - ٣٢٨ ح ١٢١٨ بلفظ (بدأ بما بدأ الله به) ، وأخرجه الترمذي في مسنده - كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة =

● كما يستند إلى السنة لبيان كيفية التيمم عند تفسيره لقوله - تعالى- : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١) فيقول^(٢) : " مع المرفقين منه بضربتين ؛ كما ثبت في الحديث . وقال الزجاج^(٣) : الصعيد وجه الأرض ترابا كان أو غيره وإن كان صخرًا لا تراب عليه ، لو ضرب التيمم يده عليه ومسح ؛ لكان ذلك طهوره ، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة - رحمه الله - تعالى - وأجاب عن قوله - تعالى - في آية المائدة : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦] أي: بعضه وهو لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه بأن من لا ابتداء الغاية . قال الزمخشري^(٤) : وقولهم إنها لا ابتداء الغاية فيه تعسف ، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل : مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض ، قال : والإذعان للحق أحق من المراء ، والتيمم من خصائص هذه الأمة .

روى حذيفة - رضى الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء)^(٥) .

عن جابر بن عبد الله يلفظ (نبدأ بما بدأ الله) جـ ٥ ص ٥٣ ح ٢٩٦٧ وقال : أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

١ - سورة النساء: جزء من آية ٤٣ .

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٧٨ .

٣ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري المنوفي سنة ٣١١ هـ شرح وتحقيق : د. عبد الجليل شلبي خراج أحاديثه : الأستاذ علي جمال الدين محمد ، طدار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م جـ ٢ ص ٤٥ .

٤ - ينظر: الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٥٢٩ .

٥ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : المساجد ، باب : أول كتاب المساجد - ١ ص ٣٧١ ح ٥٢٢ .

● وأيضاً يبين أحكام التيمم بالسنة النبوية الشريفة عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾^(١) فيقول^(٢): "فتيمموا" أى اقصدوا "صعيداً" أى: تراباً طيباً" أى: طهوراً خالصاً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم مع المرفقين "منه" بضريرتين ، والباء للإلصاق ، وبينت السنة^(٣) أن المراد استيعاب العضوين بالمسح . وتقدم مثل هذه الآية في النساء في البيضاوى^(٤) . ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة .

● ومثال ذلك أيضاً بيانه لمواقيت الصلاة بالسنة عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ الْوَسْطَىٰ﴾^(٥) فيقول^(٦): "موقوتاً" أى: مقدراً وقتها لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه، قال ﷺ: (أمنى جبريل عند البيت ؛ مرتين فصلى بى الظهر حين زالت الشمس ، والعصر حين كان ظله - أى : الشئ مثله - والمغرب حين أفطر الصائم - أى: دخل وقت إفطاره - والعشاء حين غاب الشفق الأحمر ، والفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بى

^١ - سورة المائدة: جزء من آية ٦.

^٢ - ينظر: السراج المميز ج ٢ ص ١٨.

^٣ - روى مسلم في صحيحه - كتاب : الحيض ، باب : التيمم ج ١ ص ٢٩١ ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال : إني أجتيت فلم أجد ماء ، فقال : لا تصل ، فقال عمار : أما تذكر ، يا أمير المؤمنين ! إذ أنا وأنت فى سرية ، فأجبتنا ، فلم نجد ماء ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمعكت فى للشراب و صليت ، فقال النبى ﷺ : إنما كان بكفك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفك فقال عمر : لى الله يا عمار قال : إن شئت لم أحدث به .

^٤ - ينظر : حاشية زادة على البيضاوى ج ٣ ص ٣٢٦ : ٣٣٢ .

^٥ - سورة النساء: جزء من آية ١٠٣ .

^٦ - ينظر : السراج المميز ج ١ ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

الظهر حين كان ظله مثله، والعصر حين كان ظله مثليه، والمغرب حين أفطر الصائم ، والعشاء إلى ثلث الليل، والفجر فأسفر وقال: هذا وقت الأنبياء من قبلك^(١) رواه أبو داوود ، وغيره ، وصححه الحاكم وغيره . وقوله ﷺ: (فصلى الظهر حين صار ظله مثله) أى : فرغ منها حينئذ ، كما شرع فى العصر فى اليوم الأول حينئذ؛ قاله الشافعى - رضى الله - تعالى - عنه - نافيا به اشتراكهما فى وقت ويندل له خير مسلم وقت الظهر إذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر^(٢) .

● وكذلك يبين مقدار ما يمسح من الرأس فى الوضوء بالسنة العملية عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^(٣)

فيقول^(٤) : " أى: بعضه؛ لما روى مسلم: (أنه ﷺ مسح بनावيته على عمامته)^(٥) " .

● وأيضا بيانه لمناسك الحج بالسنة العملية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(٦)

١ - أخرجه أبو داوود فى سنته - كتاب: الصلاة ، باب: فى المواقيت جـ ١ ص ٢٠٤، ٢٠٣ ح ٣٩٣، وأخرجه الترمذى فى سنته - كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فى مواقيت الصلاة عن النبي ﷺ جـ ١ ص ٢٧٨-٢٨١ ح ١٤٩ وقال هذا حديث حسن - صحيح ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب: الصلاة جـ ١ ص ٣٠٦، ٣٠٧ ح ٦٩٣.

٢ - رواه مسلم فى صحيحه - كتاب : المساجد ، باب: أوقات الصلوات الخمس ح ١٧٣ جـ ١ ص ٤٤٢ ح ١٧٣ .

٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٦.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ١٦.

٥ - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الطهارة ، باب: المسح على الناصية والعمامة جـ ١ ص ٢٤٠ ح ٢٧٤.

٦ - سورة البقرة: جزء من آية ١٩٨.

فيقول^(١): "وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة ؛ لأن إذا تدل على أن المذكور بعدها محقق لأبد منه ؛ فكأنه قيل : بعد إفاضتكم من عرفات التي لأبد منها اذكروا الله. والإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها؛ فوجب أن يكون الوقوف بها واجبا ، وعن النبي ﷺ : (الحج عرفة ؛ فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج)^(٢) فانكروا الله : بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والندوات، وقيل بصلاة المغرب والعشاء 'عند المشعر الحرام' وهو جبل في آخر المزدلفة ، يقال له: قزح، وفي الحديث (أنه ﷺ وقف به يذكر الله - تعالى - ويدعو حتى أسفر جذا)^(٣) رواه مسلم، وقال جابر: دفع رسول الله ﷺ حتى أتى بالمزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام استقبل القبلة ، فدعا وكبر وهلل ووحد ، ولم يزل واقفا حتى أصبح جذا " .

● كما يستند إلى السنة في تقييد المطلق ومثال ذلك تقييد اليد باليمين في حد السرقة ، فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾^(٤)

١ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

٢ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : التفسير ، باب : من سورة البقرة ، قوله تعالى : " فمن يعجل في يومين ... الآية ج٥ ص ٥٧ ح ٣٩٧٥ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب : المناسك ، باب : من لم يدرك عرفة ج٢ ص ٨٣٨ ح ١٩٤٩ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب : المناسك ، باب : من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ج٣ ص ٥٨ ح ٣٠١٥ .

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ج٢ ص ٣٢٧ ح ١٢١٨ .

٤ - سورة المائدة: جزء من آية ٣٨ .

يقول^(١): " أى: يمين كل واحد منهما من الكوع كما بينت السنة، كما بينت أنه لابد أن يكون المسروق ربع دينار فصاعداً^(٢) من حرز مثله من غير شبهة له فيه وأنه إذا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم بعد ذلك يعزر^(٣) ".

● وكذلك يستند إلى السنة في تخصيص العام ؛ ومثال ذلك تخصيصه عدة الأمة التي يتوفى عنها زوجها عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾^(٤) فيقول^(٥): " وهذا في غير الحوامل ؛ أما هن فعنتين أن يضعن حملهن بآية

^١ - ينظر: السراج المميز جـ ١ ص ٥٠٧.

^٢ - أخرج البخاري في صحيحه - كتاب: الحدود ، باب: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما، عن عائشة: " قال النبي ﷺ: تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً "؛ ينظر: فتح الباري جـ ١٨ ص ١٥٨، ١٥٩ ح ٦٧٨٩، وأخرج مسلم الحديث نفسه في صحيحه جـ ٣ ص ١٦٨ ح ١٦٨٤.

^٣ - أخرج النسائي في سننه - كتاب: قطع السارق ، باب: قطع الرجل من السارق بعد اليد جـ ٤ ص ٤٢٤ ح ٤٩٩٣، عن الحارث بن حاطب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلص فقال: "اقتلوه" فقالوا يا رسول الله ، لما سرق ، فقال: "اقتلوه" قالوا يا رسول الله ، لما سرق ، قال: "اقطعوا يده" قال: ثم سرق ، فقطعت رجله ثم سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه حتى قطعت قوائمها كلها ، ثم سرق أيضا الخامسة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : كان رسول الله أعلم بهذا حين قال: "اقتلوه" ثم دفعه إلى فتية من قريش ليقتلوه منهم عبدالله بن الزبير وكان يحب الامارة، فقال: أمروني عليكم؛ فأمروه عليهم ، فكان إذا ضرب ، ضربوه ، حتى قتلوه" مؤخرجه أبي داود في سننه - كتاب: الحدود ، باب: في السارق يسرق مزاراً جـ ٤ ص ١٨٨٦ ح ٤٤١٠ عن جابر بن عبدالله بزيادة في النص .

^٤ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٤.

^٥ - ينظر: السراج المميز جـ ١ ص ٢٤٢.

الطلاق^(١)، وفي غير الإمام فإنهم على النصف من ذلك بالسنة^(٢).

● كما خصص عدة الأمة المطلقة عند تفسيره لقوله - تعالى - :
﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٣) فيقول بعد انتهائه من
تفسيرها^(٤): " قال البيضاوي^(٥): ولعل الحكم لما عمّ المطلقات ذوات الإقراء
تضمن معنى الكثرة؛ فحسن بناء الكثرة، ووجوب ذلك في المنحول بهن، أما
غيرهن فلا عدة لهن؛ لقوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وفي غير
الآيسة والصغيرة فعنتين ثلاثة أشهر، والحوامل فعنتين أن يضعن حملهن
كما في سورة الطلاق، والإمام فعنتين قرآن بالسنة^(٦).

وهكذا نلاحظ قوة الارتباط بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة،
ونلاحظ حرص الخطيب الشربيني على إبراز وبيان هذا الارتباط من خلال
الاستدلال بالسنة في تفسيره، وتلك بعض أمثلة لأهم الاتجاهات التي استشهد
فيها بما ورد في السنة، وثمة أحاديث كثيرة أوردتها في أمور عديدة أخرى
تضمنتها الآيات القرآنية ؛ ويتضح ذلك من خلال المباحث الأخرى التي
تناولتها كتجاهاته في النسخ^(٧)، والأحكام الفقهية^(٨) وغيرها.

^١ - يقصد قوله تعالى : " والثلاثي ينس من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعنتين ثلاثة
أشهر والثلاثي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ... الآية؛ من
سورة الطلاق .

^٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٨.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٣٣.

^٤ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي ج ٢ ص ٥٤٨ .

^٥ - ينظر: ص ٢٠٨-٢٢٦ من الرسالة.

^٦ - ينظر: ص ١٩٣-٢٠٧ من الرسالة.

درجة ما يستشهد به من السنة

اشترط الخطيب الشربيني على نفسه ألا يذكر من الأحاديث إلا صحيحها^(١) وحسنها^(٢) دون ذكر الضعيف^(٣) أو الموضوع^(٤)، وحين تتبعنا تخريج الأحاديث التي استشهد بها أثناء البحث وجدته قد استشهد ببعض الأحاديث والآثار الضعيفة التي ينبه عليها:

● كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾^(٥) فيقول^(٦): "تنبيه: بين سبحانه وتعالى بهذه الآية معاملة المنافقين مع المؤمنين والكفار، روى الواحدى وغيره ولكن بسند ضعيف (أن ابن أبي وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه : انظروا كيف أُرِدَّ هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر رضى الله عنه وقال: مرحباً بالصديق ، سيد بنى نعيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله ﷺ فى الغار، الباذل نفسه وماله لرسول

^١ - هو ما سلم لفظه من ركابة ومعناه من مخالفة آية أو خير متواتر أو إجماع وكان راويه عدل وفى مقابله السقيم، ينظر التعريفات للجرجاني ص 113 .

^٢ - هو ما كان راويه مشهوراً بالصدق والأمانة ، غير أنه لم يبلغ درجة الحديث الصحيح ، لكونه فاصراً فى الحفظ والوثوق ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من دونه، ينظر التعريفات للجرجاني ص ١١٨ .

^٣ - هو ما كان أدنى مرتبة من الحسن وضعفه بكون تكرار لضعف بعض الروايات عدم العدالة أو سوء الحفظ أو تهمة فى العقيدة ونارة بعل أخرى مثل الإرسال والإنقطاع والتدليس ينظر التعريفات للجرجاني ص 180 .

^٤ - هو الحديث المخلوق المصنوع ، ينظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلانى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ط دار الفكر بيروت، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م ، ص ١٣٠ .

^٥ - سورة البقرة : آية ١٤ .

^٦ - ينظر السراج المنير : ج ١ ص ٥٣ .

الله ﷺ ، ثم أخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال: مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوي في دينه البازل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ، ثم أخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه فقال: مرحبا بابن عم رسول الله ﷺ وخنته ، أي زوج ابنته عند العامة وعند العرب كل من كان من قبل المرأة ، وكل منهما صحيح هنا، سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فنزلت (١) .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢) يختم بتنبية يقول فيه (٣) : "اختلف في سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية فذهب قوم أنه يسجد عندها، وهو قول عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس، وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود وقول البيضاوي (٤) ولقوله ﷺ : (فضلت سورة الحج بسجدة من لم يسجدها فلا يقرأها) حديث ضعيف رواه الترمذي وضعفه (٥) .

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٦)

١ - ذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسير آية ١٤ من سورة البقرة ج١ ص ٦٩ وقال : أخرجه الواحدى والثعلبي بسنده عن ابن عباس ، وذكره الواحدى في سبب نزول الآية نفسها ولم يذكر سببا غيره ص ١٩ ، ٢٠ .

٢ - سورة الحج : آية ٧٧ .

٣ - ينظر : السراج المميز ج١ ص ٣٢٠ .

٤ - ينظر : حاشية زادة على البيضاوي ج٦ ص ١٣٩ .

٥ - أخرجه الترمذي في - كتاب : الجمعة ، باب : ما جاء في السجدة في الحج ج٢ ص ٣٦٣ ح ٥٧٨ وقال أبو عيسى : هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي وقال محققه أحمد شاكر بل هو حديث صحيح فإن ابن لهيعة ومشرح بن هاشم ثقتان .

٦ - سورة الحج : جزء من آية ٧٨ .

ينبه على ضعف رواية فيقول "وقول البيضاوي^(١)" وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"^(٢). حديث رواه البيهقي وضعف إسناده، وقال غيره: لأصل له^٣.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤) ينبه على ضعف أحد الروايات فيقول^(٥): "قال الزمخشري^(٦): سأل عثمان النبي ﷺ عن تفسير قوله - تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال: (يا عثمان ما سألتني أحد عنها قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير)^(٧) وروى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزي في الموضوعات^٨.

- ١ - ينظر: حاشيته زاده على البيضاوي ج ٦ ص ١٤٠.
- ٢ - أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه في ترجمة وأصل بن حمزة ج ١٣ ص ٤٩٣ ينظر: تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هـ، ط: دار العربي بيروت - لبنان .
- ٣ - سورة الزمر : جزء من آية ٦٣.
- ٤ - ينظر السراج المنير : ج ٦ ص ٢٧٥.
- ٥ - ينظر الكشاف للزمخشري: ج ٣ ص ٤٠٧.
- ٦ - أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير في ترجمة مخط أبو الهزيل عن عبد الرحمن المدني ج ٤ ص ٢٣١-٢٣٢ وقال : لا يتابع عليه إلا من طريق يقاربه ؛ ينظر : الضعفاء للحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ، حققه ووثقه: د. عبد المعطي أمين قلجعي ، ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م الأولى.

وهكذا يتتبع الخطيب الشربيني الأحاديث الموضوعة فنجدته تجنب الأحاديث الموضوعة في فضائل السور وبعض الآيات بل أشار في نهاية كل سورة إليها خاصة ما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري وقد أوضحت هذا بالأمثلة التفصيلية في مبحث خاص عن فضائل السور القرآنية. ولكن تفسيره ملئ بالدخيل الذي يمر عليه دون تعقيب أو تصحيح إلا ما يخل بعصمة الأنبياء فهو يردّه، كما ذكرت في مبحث الدخيل في تفسيره، وهناك أحاديث واثار ضعيفة وموضوعة لم ينبه عليها، ويتضح ذلك من تخريج الأمثلة التي استعنت بها في البحث.

● كما استشهد بأثار لم أجدها في كتب الحديث التي وقفت عليها وكذا كتب التفسير؛ ومثال ذلك ما أورده في تفسير قوله - تعالى -: ﴿الم﴾^(١) سورة البقرة؛ إذ يقول^(٢) : وقال عليّ رضي الله عنه: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي^(٣).

● وقد نسب الشيخ الشربيني لبعض الروايات إلى من لم أجده قد أخرجها من أصحاب الكتب ومثال ذلك ما نسبته للشيخين " البخاري ومسلم " عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] ولكن عوقب بترك التحفظ عن أسباب النسيان؛ إذ رفع الإثم بالنسيان من خصائص هذه الأمة؛ كما ثبت في الأخبار الصحيحة؛ كخير الشيوخ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)

١ - سورة البقرة: آية ١.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٨.

٣ - لم أقف على تخريجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث الضعيف منها والصحيح، وكذا كتب التفسير.

فهذا الخبر الذي نسبته للشيخين لم أجده في صحيحيهما بل وجنته إسناده ضعيف.^(١)

والمطالع لتفسير الخطيب الشربيني يجده يستشهد كثيراً بالحديث النبوي الشريف فيكاد لا يترك آية إلا ويستند في تفسيرها إلى السنة بل يذكر عدة روايات في المسألة الواحدة ويتضح هذا من خلال مباحث الدراسة المختلفة.... لكنه في كل هذا لا يذكر درجة الحديث ولا يذكر له تخريجاً غالباً.

● فقد يذكر الصحابي فقط من السند ومثال ذلك قوله^(٢): "وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم)"^(٣)

● وقد يذكر الحديث مجرداً من السند ويشير إلى من خرجه من أصحاب الكتب ومثال ذلك عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

^١ - أخرجه ابن ماجه في - كتاب : الطلاق ، باب : طلاق المكره والناسي جـ ٢ ص ٢٢٤ بلفظ (إن الله تجاوز عن أمئتي) ح ٢٠٤٣ ولفظ (إن الله وضع عن أمئتي) ح ٢٠٤٥ وقال محققه محمد فؤاد عبد الباقي : (قال البوصيري في الزوائد : إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي).

^٢ - ينظر : السراج المنير جـ ١ ص ٢٣٣، ٢٣٤.

^٣ - أخرجه أبو داود في سننه - كتاب : السنة ، باب : الدليل على زيادة الإيمان وتقصانه جـ ٤ ص ٢٠٠ ح ٤٦٨٢ ، وأخرجه الدارمي في سننه - كتاب : الرقاق ، باب : تحسن الخلق جـ ٢ ص ٢٠٩ ح ٢٧٩٢ ، وأخرجه الترمذي في سننه - كتاب : الرضاع ، باب : ما جاء في حق المرأة على زوجها جـ ٣ ص ٣٠٤ ح ١١٦٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب : الإيمان جـ ١ ص ٤٣ ح ١ وسكت عنه الحاكم وصححه الذهبي.

فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴿١﴾ يقول^(١): "وعلى هذا فالنهي عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله فى أرضه محارمه ، فمن رتّع حول الحمى يوشك أن يقع فيه)"^(٢) رواه الشيخان

● وقد يذكر الشيخ الشرييني الحديث بالمعنى كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾^(٣) إذ يقول^(٤): ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ وهو شعلة من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البريق يشبه شهاب النار فلا يخطئ أحدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله . ومنهم من يخلبه فيصير غولا فيضل الناس فى البوادي . روى أبوهريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا قضى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض . ووصف سفيان بكفه فحرفها ويد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقياها إلى من تحته ثم يلقياها الآخر إلى من تحته حتى يلقياها إلى لسان الساحر أو الكاهن ، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقياها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها

^١ - ينظر السراج المنير ج١ ص ٦٩٧ .

^٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : فضل من استبأ لدينه ، وكتاب : النبوع ، باب : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ؛ ينظر : فتح البارى ج١ ص ٢٢٧ - ٢٣١ ح ٥٢ ، ج٢ ص ٤-٥ ح ٢٥٠١ . وأخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : المساقاة ، باب : أخذ الحلال وترك الشبهات ج٣ ص ١٢١٩-١٢٢٠ ح ١٥٩٩ .

^٣ - سورة الحجر : آية ١٨ .

^٤ - ينظر : السراج المنير ج٣ ص ٢٨٧ .

مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعها من السماء)^(١)

فهذه الرواية التي ذكرها الشيخ الخطيب الشربيني بمقارنتها بالرواية نفسها في كتب الحديث المعتمدة نجده ذكرها بالمعنى .

● وقد يذكر متن الحديث فقط دون إشارة إلى سند أو كتب تخريج ومثاله ما فعله عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾^(٢) يقول^(٣) : " وفي الآية دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن إذا تدل على أن المذكور بعدها محقق لابد منه ، فكأنه قيل بعد إفاضة من عرفات التي لابد منها اذكروا الله ، والإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف بها ، فوجب أن يكون الوقوف بها واجبا ، وعن النبي ﷺ : (الحج عرفة فمن أترك عرفة فقد ترك الحج)^(٤) " .

● وقد يذكر المعنى الإجمالي للحديث دون سند أو متن مشيرًا إلى أن ما ذكره من السنة ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ

^١ - ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري - كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى " إلا من استرق السمع فليتبعه شهاب مبيّن " جـ ١٣ ص ٢٤٣ ح ٤٧٠١ .

^٢ - سورة البقرة : جزء من آية ١٩٨ .

^٣ - ينظر : السراج المنير جـ ١ ص ٢٠٨ .

^٤ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : التفسير ، باب : من سورة البقرة قوله تعالى " فمن يعجل في يومين " جـ ٥ ص ٥٧ ح ٣٩٧٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب : المناسك ، باب : من لم يدرك عرفة جـ ٢ ص ٨٣٨ ح ١٩٤٩ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب : المناسك ، باب : من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع جـ ٣ ص ٥٨ ح ٣٠١٥ ، وأخرجه الدارمي بنحوه في سننه - كتاب : الحج باب بما يتم الحج جـ ١ ص ٥١٥ ح ١٨٨٧ .

كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانَ مِقْبُوضَةً^(١) إِذْ يَقُولُ^(٢): "وَبَيَّنْتَ
السَّنةَ جَوَازَ الرِّهْنِ فِي الْحَضَرِ وَمَعَ وَجُودِ الْكَاتِبِ، فَقَدْ رَهَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
دِرْعَهُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ يَهُودَى بَعْشَرِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَخَذَهُ أَهْلُهُ"^(٣).

● وقد يشير إلى معنى الحديث ولا يذكر مثله نصًّا أو معنى كما فعل
عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤) إِذْ يَقُولُ^(٥):
"بَلْ إِنَّمَا تَحْمِلُ وَزْرَهَا فَقَطْ. فَإِنْ قِيلَ: وَرَدَّ أَنَّ الْمَظْلُومَ يَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِ
الظَّالِمِ - فَإِذَا لَمْ يَوْفَ يَأْخُذُ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ وَتَطْرَحُ عَلَى الظَّالِمِ ؟ أَجِيبُ:
بِأَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِهِ فَهُوَ كَفَعْلِهِ. فَإِنْ قِيلَ: قَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمَيِّتَ يَعْذِبُ بِكِبَاءِ أَهْلِهِ؟
أَجِيبُ بِأَنَّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا أَوْصَى بِذَلِكَ."

فقد أشار هنا إلى حديثين شريفيين :

الأول : عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : (أتكرونها ما المفلس؟) قالوا :
المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: "إن المفلس من يأتى يوم القيامة
بصلاة و صيام و زكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا، وأكل مال هذا،
وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ،
فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ،
ثم طرح في النار).^(٦)

١ - سورة البقرة : جزء من أية ٢٨٣.

٢ - ينظر السراج المنير : ج ١ ص ٢٩٩.

٣ - سبق تخريجه ص ٦١ .

٤ - سور الإسراء: جزء من أية ١٥.

٥ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٤١٤ ، ٤١٥.

٦ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : القبر والصلاة والآداب ، باب : تحريم الظلم
ج ٤ ص ٣٠٢ ح ٢٥٨١ .

والثاني: عن عمر عن النبي ﷺ قال : (الميت يعذب في قبره بما نسيح عليه)^(١).

● وقد يصدر الحديث بصيغة روى كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى:- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^(٢) فيقول^(٣): "وقال بعضهم : هي آيات الكتاب و هي أحكام يدل عليها؛ ما روى عن صفوان أن يهوديا قال لصاحبه : تعال نسأل هذا النبي فقال الآخر : لا تقل نبي ، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه قسألاه عن هذه الآية : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقال: (لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرى إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تغذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلوا بده، وقالوا :نشهد أنك نبي.قال: فما منعكم أن تتبعوني ؟ قالوا :إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإنما نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود)^(٤) .

● ونادرا ما يذكر الشيخ الخطيب الشربيني شرحا لغريب الألفاظ بالحديث بعد أن يستدل به ، ومثاله ما ذكره في أول سورة التحريم بعد ذكر روايتي حديث شرب الرسول ﷺ للعسل فيقول^(٥):

١ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الجنائز ، باب : الميت يعذب ببكاء أهله عليه ج ٢ ص ٦٤ ح ٩٢٧ .

٢ - سورة آل عمران : آية ٢ .

٣ - ينظر : السراج المميز ج ٣ ص ٤٨٧ .

٤ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : الاستئذان والآداب ، باب : ما جاء في قبلة اليد والرجل ج ٤ ص ٤٩٧، ٤٩٦ ح ٢٧٣٣ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه النسائي في مسنده - كتاب : تحريم الدم ، باب : المسحرج ج ٣ ص ٢٨، ٢٩، ٣٠ ح ٤٠٨٩ .

٥ - ينظر : السراج المميز ج ٨ ص ٦ .

" تنبيه : شرح غريب الحديثين وما يتعلق بهما قولها : كان رسول الله يحب الحلوى بالمد والقصر قاله في - المصباح^(١) - وهو على كل شيء يحلو ، وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا في جملة الحلوى تنبيهاً على شرفه و مرتبته ، وهو من باب الخاص بعد العام . وقولها : فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية ، وأصله فتوطأت بالهمز ، أى : اتفقت أنا وحفصة . وقولها : إنى لأجد منك ريح مغاير ، هو بعين معجمة وفاء بعدها ياء وراء ، وهو صمغ حلو كالناطف وله لاريح كريهة ينضحه شجر يقال له : العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز ، وقيل : العرفط نبات له ورق يفرش على الرض له شوك وثمره خبيث الرائحة .

وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاء ، وهو كل شجر له شوك . وقيل راحته كرائحة النبيذ ، وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة .

قولها : جرس نحل العرفط بالجيم والراء وبالسین المهملتين ، ومعناه : أكلت نحل العرفط فصار منه العسل " .

^١ ينظر : المصباح المنير في غريب الشرح للكبير للرافعي للعالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفى ٧٧٠ هـ مطبوع في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج ١ ص ١٤٩ مادة " حلا " .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

"الصحابة هم أدرى الناس بالتفسير؛ فقد شرح لهم النبي ﷺ معاني القرآن، وبيّن لهم ما خفى عليهم، فشرح لهم مجمله وأزال مشكله، وقد شاهدوا القرائن والظروف والملابسات التي أحاطت بالقرآن وقت نزوله؛ فكان تفسيرهم أقرب إلى السنة، بل بعده بعض العلماء من السنة مادام ليس للرأى فيه مجال؛ فيرى بعض الباحثين أن تفسير الصحابة للقرآن يلى بالمكانة تفسير رسول الله ﷺ؛ وذلك لكونهم شهود عيان لأحوال نزول الوحي وأسبابه وقرائنه.

ولكونهم أهل اللسان العربى وأصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.

ولكونهم الجيل الذى لم يشهد التاريخ مثيلاً لهم فى علمهم وإدراكهم وسعة نظرهم لأموال الحياة والكون والإنسان.

وقد اشتهر عدد قليل من الصحابة بتفسير القرآن الكريم بما سمعوه عن النبي ﷺ وبما فتح الله به عليهم من رأى واجتهاد، وقد عدّهم السيوطى - رحمه الله - وسماهم؛ وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير - رضى الله عنهم -.

وهناك من تكلم فى التفسير من الصحابة غير هؤلاء - كأنس بن مالك؛ وأبى هريرة، وعائشة، وغيرهم إلا أن ما نقل عنهم فى التفسير قليل جداً. وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير اشتهر أيضاً أعلام من التابعين بالتفسير والرجوع إليهم فى استجلاء ما خفى من كتاب الله - عز وجل.

وقد اعتمد هؤلاء المفسرون فى فهمهم للقرآن الكريم على ما جاء فى الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن النبي ﷺ، وتفسير الصحابة أنفسهم، وعلى ما أخذوه من كتب أهل الكتاب، وعلى اجتهادهم.

وممن اشتهر بالتفسير من التابعين سعيد بن جبير^(١)، ومجاهد بن جبر^(٢)، وعكرمة^(٣)، وعطاء بن أبي رباح^(٤)، وغيرهم^(٥).
وقد روت لنا كتب التفسير كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، سواء بطريق النقل عن النبي ﷺ أو بطريق الرأي والاجتهاد. والخطيب الشرييني من المفسرين الذين عنوا عناية كبيرة بما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ حرصه على الاستعانة بأقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات الكريمة، فهذا منهجه في تناوله لكل آية من آيات القرآن الكريم، ويتضح ذلك من النماذج التي سأعرضها فيما يلي من تفسيره:

^١ - هو سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي ثقة ثبت ففيه من الثالثة يوروايته عن عائشة و أبي موسى و نحوهما مرسله. يفل بين يدي الحجاج سنة خمس و تسعين، ولم يكمل الخمسين، ينظر: تقريب التهذيب ص ١٧٤.

^٢ - هو مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة إحدى س أو اثنين أو ثلاث أو أربع س مئة، وله ثلاث و ثمانون، ينظر: تقريب التهذيب ص ٤٥٢.

^٣ - هو عكرمة أبو عبد الله، مولى بن عباس، أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر و لا تثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة أربع و مئة يوفيل بعد ذلك، ينظر: تقريب التهذيب ص ٣٣٦.

^٤ - هو عطاء بن أبي رباح بفتح الراء و الموحدة، واسم أبي رباح: أسلم، القرشي مولاهم، المكي ثقة ففيه فاضل لكنه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة أربع عشرة، على المشهور يوفيل: إنه تغير بأخرة، ولم يكثر ذلك منه؛ ينظر: تقريب التهذيب ص ٣٣١.

^٥ - مستقى من البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٥٧ - ١٥٩، والإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ١، والتفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٦٢ - ٦٩.

● عند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوُتُّوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ^(١) يقول ^(٢) : "وكان تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين. وقول البيضاوي ^(٣) : وقد صلى بأصحابه في مسجد بنى سلمة وأنه تحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم ، فسمى المسجد مسجد القبلتين فيه تحريف ؛ فإن ظاهره أنه ﷺ كان إماماً في قصة بنى سلمة وأنه تحول في الصلاة وليس كذلك ؛ فقد روى البخاري عن ابن عمر أنه قال : 'بينما الناس يصلون في صلاة الصبح إذا أتاهم أى : من بنى سلمة فقال : إن النبى ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة؛ فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام ؛ فاستداروا إلى الكعبة " ^(٤)

● وعند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ^(٥) يقول ^(٦) : وعن ابن مسعود أنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله : " وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؛ فبكى رسول الله ﷺ ؛ وقال : "حسبك" ^(٧).

١ - سورة البقرة جزء من آية ١٤٤ .

٢ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ١٦٠ .

٣ - ينظر : حاشية زادة على البيضاوي ج ٢ ص ٣٦٦ .

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه — كتاب : الصلاة ، باب ما جاء في للقبلة ح ٤٠٣ وفي كتاب : التفسير ، باب "ولئن أثبت للذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك " الآية ح ٤٤٩٠ ؛ ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٤٢ وج ١٢ ص ٤٨٥ ، ٤٨٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه — كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ح ٥٢٦ ج ١ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

٥ - سورة النساء : آية ٤١ .

٦ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٤٧٦ .

٧ - أخرجه البخاري في صحيحه — كتاب : فضائل القرآن ، باب : قول المقرئ للقارئ : حسبك ح ٥٠٥٠ ، وفي كتاب : التفسير ج ١ : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ح ٤٥٨٢ ؛ ينظر : فتح الباري بشرح صحيح =

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(١) يقول^(٢) : "التي نحتوها واتخذوها أرباباً من دون الله ؛ طمعاً في شفاعتها والانتفاع ؛ بها ويدل لذلك قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه ، أو حجارة الكبريت ، كما رواه الطبراني عن ابن مسعود^(٣) ، والحاكم ، والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله - تعالى - عنهما - وعليه أكثر المفسرين - وإن قال البيضاوي^(٤) : إنه تخصيص بغير دليل ؛ لأن مثل هذا التفسير الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم المرفوع. وأيضاً حجارة الكبريت أشد حرّاً وأكثر التهاباً ، وتزيد على غيرها من الأحجار سرعة الايقاد وتنتج الريح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان. وقيل : جميع الحجارة ."

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ

- البخاري ج ١٢ ص ١٠٩ ، ١٠٤ وج ١٤٤ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ج ٨٠٠ ص ١٠٧٣ .

١ - سورة البقرة : جزء من آية ٢٤ .

٢ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٦٦ .

٣ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ٩ ص ٢١٠ - ٢١١ ح ٩٠٢٦ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب : التفسير ، باب : من سورة البقرة ج ٢ ص ٢٨٧ ح ٣٠٣٤ وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

٤ - حاشية زادة على البيضاوي ج ١ ص ٤١٠ ، ٤١١ ، وتعليل البيضاوي مختلف عما نسب إليه ؛ إذ عُلّق بأن الغرض تهويل شأنها وتقادم لديها بحيث تنقد بما لا يتقد به كل نار ، والكبريت يتقد به كل نار وإن ضعفت ، فإن صح هذا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قلعله أراد به أن الأحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران .

ما كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴿١﴾ يَقُولُ (٢): "تَنْكِحُوهُنَّ" لجمالهن أو دمايتهن ؛ قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها إذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها وإن كانت مرغوباً عنها في قلة المال والجمال تركها (٣) .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ (٤)
يقول (٥): "قال ابن عباس : " لكفور : جحود لنعم الله تعالى " (٦) ."

كانت هذه بعض نماذج من أمثلة كثيرة (٧) استدل فيها الشيخ الخطيب الشربيني بآراء وأقوال الصحابة والتابعين ؛ فلا يكاد يترك آية إلا ويستند إلى أقوالهم في تفسيرها، وإن كانت أكثر الاسماء الواردة في تفسير الصحابة والتابعين في تفسيره من نصيب الصحابي الجليل ابن عباس ؛ وذلك لما اشتهر به من دراية ورواية وسعة علم في التفسير والتأويل ، وهو من سمي ترجمان القرآن، فلا عجب من إكثاره، بل لا عجب من أن نجد نقوله عن

١ - سورة النساء : جزء من آية ١٢٧ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٥٢٦ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: التفسير، باب: قوله " ويستقونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما ينلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء ح ٤٦٠٠ ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٣٥ ، ومسلم في صحيحه - كتاب: التفسير ح ٣٠١٨ ج ٤ ص ٦٢٢ .

٤ - سورة العاديات: آية ٦ .

٥ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

٦ - أخرجه البخاري في صحيحه - عن مجاهد في كتاب : التفسير سورة العاديات والقارعة ج ١٤ ص ١٥١ .

٧ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٦ ، ٦٦ ، ١٠١ ، ١٥٠ ، [٤٤٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٤٦ ج ٣ ص ٥٨ ج ٥ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ج ٧ ص ٣٣٨ ، ج ٨ ص ٢٤٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

الصحابة مسبوقة في أحيان كثيرة باسم ابن عباس ، ثم من سواه من
الصحابة.

الدخيل في تفسيره

تعريف الدخيل:

الدخيل لغة^(١): " الدَّخَلَ ما داخل الإنسان من فساد في عقل أو جسم ،
والغدر والمكر والذاء والخديعة ، والشجر الملتف ، والقوم الذين ينتشون إلى
من ليسوا منهم ، وداء وحب دخيل داخل ، ودخل أمره كفرح ، فسد داخله ،
وهو دخيل فيهم أى من غيرهم ، ويدخل فيهم ، والدخيل كلمة أدخلت في
كلام العرب وليست منه.

والدخيل الداء ، والعيب ، والريبة ، وما دخل من الكلا في أصول الشجر ،
وما دخل بين الظهران والبطنان من الریش ، والمنخول : المهزول ومن في
عقله دخل".

قال صاحب المصباح المنير^(٢): "وفلان دخيل بين القوم أى ليس من
نسبهم بل هو نزيل بينهم، ومنه قيل : هذا الفرع دخيل ، ومعناه أنه ذكر
استطراداً ومناسبة لا يشتمل عليه عقد الباب".

وهكذا يتضح لنا أن كلمة "الدخيل" تفيد العيب والفساد المعنوي وأيضاً
المحسوس ، كما تطلق على الغرابة بإدخال المختلف بين المؤلف.

^١ - تراجع : لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ مادة د ، خ ، ل ،
والقاموس المحيط ، مادة ، د ، خ ، ل " ج ٣ ص ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ومختار الصحاح
ص ٢٠٠ مادة د ، خ ، ل .

^٢ - ينظر : المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، المتوفى
سنة ٧٧٧ هـ ، ط . المطبعة الأميرية مصر ، الثانية ١٩٠٩ هـ ، ج ١ ص ٢٩٣ ،
مادة د ، خ ، ل .

الدخيل اصطلاحاً:

”هو التفسير الذى لا أصل له فى الدين ، على معنى أنه تسلسل إلى رحاب القرآن الكريم على حين غرة وعلى غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ“.(١)

خطورة الدخيل :

كان للدخيل أثره السيئ فى التفسير؛ فالإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها القرآن الكريم تُفسد على المسلمين عقائدهم بما تتطوى عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه، ووصفه بما لا يليق بجلاله وكماله، وربما فيها من نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين، وتصويرهم فى صورة من استبدت بهم شهواتهم ، ودفعتهم إلى ما لا يليق بإنسان عادى

فضلاً عن أن يكون نبياً ، وهى تصور الإسلام فى صورة دين خرافى يُعنى بترهات و أباطيل لا أصل لها ، كما أنها تكاد تذهب بالثقة فى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين ؛ فقد أسند من هذه الإسرائيليات شيء ليس بالقليل إلى نفر من السلف الصالح ، وكانت تصرف الناس عن الغرض الذى أنزل القرآن الكريم من أجله وتلهيهم عن التدبر فى آياته ، والانتفاع بعبارة وعظائمه ، إلى تفاصيل الاشتغال بها مُضيعة للوقت(٢).

١ - ينظر: الدخيل فى التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد - ط . المطبعة الأميرية مصر، ج ١ ص ١٣.

٢ - الإسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي ، المشوفى سنة ١٩٧٧ - ط . مكتبة وهبة القاهرة ، الرابعة سنة ١٤١١ هـ - سنة ١٩٩٠ م ، ص ٢٩ - ٣٤ بتصرف.

وقد تناول الدكتور الذهبي واجب المفسرين تجاه هذه الإسرائيليات عند تفسيره القرآن الكريم ؛ فنكر عدة نقاط يجب أن ينتبه إليها المفسر وهي :

"أن يكون يقظا إلى أبعد الحدود حتى يستطيع أن يستخلص من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن الكريم ويتفق مع النقل الصحيح.

وَألا ينقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنة نبينا ﷺ بيان لمجمل القرآن أو تعيين لمبهمه.

وَألا يذكر شيئا من الإسرائيليات الموثوق بها إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال وما يكفي أن يكون حجة على من خالف وعاند من أهل الكتاب.

وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل ولا يضع أمام القارئ من الأقوال ما يسبب له الحيرة والاضطراب^(١).

"وأغلب كتب التفسير ذكرت بعض الإسرائيليات ، وإن تفاوت ذلك قلة وكثرة وتعقيبا عليها وسكوتا عنها، فمنها ما تعرض للإسرائيليات مع إسنادها إلى رواتها إسنادا تاما تاركين مهمة نقدها عملاً بالقاعدة المقررة لدى علماء الحديث: "من أسند لك فقد حملك " ، ومنها ما يتعقبونها بالنقد ، ومن هذه الكتب ما يذكر الإسرائيليات ولا يسندها ، ومنها ما لا يسندها لكن ينبّه على الضعيف منها ، ومنها ما ينبّه أحيانا وأحيانا أخرى بمر عليها دون تضعيفها رغم ما فيها من باطل قد يصل إلى حد نفي العصمة عن الأنبياء ، ومنهم من يحمل على من سبقه من المفسرين ممن ذكروا هذه الإسرائيليات في تفاسيرهم^(٢).

^١ - الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص ١٦٦، ١٦٥ ينصرف.

^٢ - المرجع السابق ص ٩٦، ٩٥ ينصرف.

والإمام الخطيب الشربيني الذي نحن بصدد تفسيره ، زلّ كغيره من المفسرين، في بعض المواضع التي دخلتها الإسرائيليات ، خاصة القصص الذي يغلب عليه ، فتفسيره ملئ بالأسرائيليات التي يمر عليها مروراً مع غرايتها من غير أن يتعقبها بتصحيح أو تضعيف أو بيان منشئها ، وغالب ذلك فيما يحتمل الصدق والكذب من أخبار بني إسرائيل ، لكن الشيخ الخطيب إن مر على مثل هذه القصص بدون أن يعلق عليها لا يفوته أن يعلق على قصة تخل بمقام النبوة فيبين بطلانها.

ويتضح اتجاه الشيخ الشربيني في عرضه لما ذكره من الدخيل في تفسيره بالأمثلة فيما يلي :

١ - يذكر الدخيل ولا يعلق عليه:

● ومثال ذلك ما ذكره في محو آية الليل عند تفسيره لقوله تعالى:-
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانًا تَفْصِيلًا﴾^(١)

فقد ذكر الشيخ الخطيب الشربيني كغيره من المفسرين حديثاً برواية عن ابن عباس أثناء تفسيره لمحو آية الليل حيث يقول^(٢): ﴿ فَمَحَوْنَا ﴾ أى: بعظمتنا الباهرة ﴿ آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ أى: طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجعلناها لا يبصر فيها بالضوء فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور إلى ظلمة ومن الظلمة إلى النور كما أن الإنسان بعجلته اتى يدعو إليها طبعه وتأنيبه الداعي إليه عقله من انتقال من نقصان إلى كمال ومن كمال إلى نقصان، كما أن القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك، قال ابن عباس:

^١ - سورة الإسراء : آية ١٢.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٤١٢، ٤١١.

جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر كذلك ، فمحي من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس. وحكى أن الله - تعالى - أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور، وسأل ابن ذكوان علياً - رضى الله عنه - عن السواد الذى فى القمر قال هو أثر المحو".

الرد عليه :

بالرجوع إلى سند الحديث ومثته وجدت الإمام السيوطي^(١) قد ذكره فى كتاب المبتدا من لآلئه المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة:

" قال أبو الحسين بن المنادى فى الملاحم. حدثنا هارون بن على بن الحكم حدثنا أحمد بن عبد العزيز بن مرداش الباهلى حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد القرشى حدثنا محمد بن موسى الشيبانى، حدثنا مسلمة بن الصلت، حدثنا أبو على حازم بن حازم بن المنذر العنزى، حدثنا عمر بن صبيح عن مقاتل بن حبان عن شهر بن الأعمش عن سليمان بن موسى عن القاسم بن مخيمرة عن على بن أبى طالب وحذيفة وابن عباس أنهم كانوا جلوساً ذات يوم فجاء رجل فقال إني سمعت العجب فقال له حذيفة وما ذاك؟ قال سمعت رجالاً يتحدثون فى الشمس والقمر فقال: وما كانوا يتحدثون؟ فقال زعموا أن الشمس والقمر يجاء بهما يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم. فقال على وابن عباس وحذيفة: كذبوا الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته ألم تر إلى قوله - تعالى - : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٣] يعنى دائبين فى طاعة الله فكيف يعذب الله

^١ - هو محمد بن سابق الدين الخصيرى الميوطى، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ، أديب له من مؤلفاته الإتيقان فى علوم القرآن والدر المنثور فى التفسير المأثور، توفى عام ٩١١هـ، ينظر: الأعلام للزركلى ج ٣ ص ٣٠١، ٣٠٢.

عبدین یثنی علیهما أنهما ذاتبان فی طاعة؟ فقالوا لحذیفة: حدثنا رحمك الله؟ فقال حذیفة: بینما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ سئل عن ذلك فقال: إن الله لما أبرم خلقه إحكاماً فلم یبق من خلقه غیر آدم خلق شمسین من نور عرشه، فأما ما كان فی سابق علمه أنه یدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا علی قدرها، وأما ما كان فی سابق علمه أنه یطمسها ویحولها قمراً فإنه خلقها دون الشمس فی الضوء، ولكن إنما یرى الناس صغرها لشدة ارتفاع السماء وبُعدها من الأرض، ولو تركهما الله كما خلقهما فی بدء الأمر لم یعرف اللیل من النهار، ولکان الأجیر لیس له وقت یستريح فيه ولا وقت يأخذ فيه بأجره، ولکان الصائم لا یدری متى یصوم ومتى یفطر، ولكانت المرأة لا تدری کیف تعتد، ولکان النیان لا یدرون متى نحل دیونهم، ولکان الناس لا یدرون أموال معایشهم ولا یدرون متى یسكنون لراحة أجسامهم، ولكانت الأمة المضهدة والمملوك المقهور والبهیمة المسخرة لیس لهم وقت راحة؛ فكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم؛ فأرسل جبریل فأمر بجناحه علی وجه القمر ثلاث مرات وهو یومئذ شمس؛ فمحا عنه الضوء وبقي فيه النور؛ فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّیْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّیْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فالسواد الذی ترونه فی القمر شبه الخیوط إنما هو أثر المحو^(١).

ویرى الأکوسی أن الأحسن عند من عز علیه وقته عدم الالتفات إلى مثل هذه الخرافات وتضييع الوقت فی ردّها^(٢).

^١ - ينظر: اللائح المصنوعة فی الأحادیث الموضوعة للإمام جلال الدین عبد الرحمن السیوطی، المتوفی ٩١١هـ - ط. دار المعرفة، بیروت لبنان، ج ١ ص ٤٥، ٤٦.

^٢ - روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی للعلامة أبی الفضل شهاب الدین السید محمود الأکوسی البغدادی، المتوفی سنة ١٢٧٠هـ - ط. دار الکتب العلمیة، بیروت لبنان، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، المجلد الثامن ج ١٥ ص ٢٩ بتصرف.

ومما يشهد بهذا أن النبي ﷺ ما كان يتعرض للكونيات بهذا التفصيل، وعندما سئل عن الهلال لم يندو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر؟ أجاب الله - عز وجل - سائله بالفائدة فقال: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنَ اتَّقَى»^(١).

والشيخ الخطيب الشربيني نفسه ذهب إلى هذا عند تفسيره لهاتين الآيتين؛ فقال^(٢): "وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنهم سألوا عن الحكمة في اختلال حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من غير أبوابها ، أو أنه - تعالى - لما ذكر أنها مَوَاقِيتُ الْحَجِّ - وهذا أيضاً من أفعالهم في الْحَجِّ - ذكره للاستطراد ، وأنهم لما سألوا عما لا يعنيه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيه وهو معرفة الحلال والحرام ، ويختص بعلم النبوة، عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيهاً على تعكسهم السؤال و تمثيلهم بحال من ترك باب البيت ، ودخل من ورائه . والمعنى : وليس البر أن تعكسوا في مسائلكم ولكن من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله".

● وذكر الشيخ الخطيب الشربيني قصة أصحاب الكهف وفصل ما أبهمه القرآن عن أسماء أصحاب الكهف وسبب مصيرهم إلى الكهف وعندهم واسم كلهم ولونه وكلامه ، كما أورد الروايات المختلفة التي تعرض لوقائع أصحاب الكهف ، كل ذلك في نحو خمس صفحات من تفسيره حيث يقول^(٣):

١ - سورة البقرة: جزء من آية ١٨٩.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١٩٩.

٣ - السراج المنير ج ٤ ص ٢١ - ٢٥ باختصار.

" تنبيه: اختلف في السبب الذي عرّف الناس واقعة أصحاب الكهف ،
فقال محمد بن إسحاق: إنّ ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له:
تندوسيس'....

ثم إنّ الله - تعالى - الذي يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية
أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أنّ
الساعة آتية لا ريب فيها....

أذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتي للفتية أن يجلسوا بين
ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم
على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا
من ليلتهم، ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في
وجوههم ولا في ألوانهم شيء يكرهونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أنّ
ملكهم "دقيانوس" في طلبهم، فلما قضاوا صلاتهم قالوا "تمليخا" صاحب
نفقتهم: انتنا بما قال الناس في شأننا عشية أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم
رقدوا كبعض ما كانوا يرقنون....

فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلاً منهم فقال: يعني بهذا
الورق طعاماً، فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها
ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم إلى آخر، ثم جعلوا
يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون
بينهم ويقول بعضهم لبعض: إنّ هذا أصاب كنزاً مخبأ في الأرض منذ زمان
ودهر طويل. فلما رأهم تملخا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديداً، وجعل
يرتعد ويظنّ أنهم فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى
ملكهم "دقيانوس" ، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه فقال لهم وهو شديد

الفرق: أفضّلوا علىّ قد أخذتم ورقى فأمسكوها، وأمّا طعامكم فليس لى حاجة به....

وقال: اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم علىّ صبراً، وأولج معى روحاً منك تؤيدنى بها عند هذا الجبار. وجعل يقول فى نفسه: فرق ما بينى وبين إخوتى، يا ليتهم يعلمون ما لقيت ، ويا ليتهم يأتونى فنقوم جميعاً بين يدى هذا الجبار، فإننا كنا توافقنا على الإيمان بالله — سبحانه وتعالى — وأن لا نشرك به شيئاً ، ولا نفرق فى حياة ولا موت. فلما انتهى به إلى الرجلين الصالحين ورأى أنه لم يذهب به إلى "دقيانوس" أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ "أريوس وأسطيوس" الورق فنظروا إليها....

فلما رأى الفتية أصحاب الكهف "تمليخا" قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم "دقيانوس"....

وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا "تمليخا" فإنه الآن بين يدى الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذا هم بـ "أريوس" وأصحابه وقوف على باب الكهف ، فسبقهم "تمليخا" ودخل وهو يبكى ، فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره ، فقص عليهم الخبر كله ؛ فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله تعالى ذلك الزمن الطويل، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث ويعلم الناس أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على أثر "تمليخا" "أريوس" فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة؛ فقام بباب الكهف ثم دعا رجالاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم، فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما : "مكسليمينا ومكسليمينا وتمليخا ومطرونس وكشطونس وببيرونس وببطونسط كانوا فتية

هربوا من ملكهم "دقيانوس" الجبار؛ مخافة أن يفتتهم عن دينهم ، فدخلوا هذا الكهف ؛ فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة ، وإنما كتبنا أسماءهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم . فلما قرعوه عجبوا وحمدوا الله - تعالى - الذى أراهم آية البعث فيهم....

فلما أتى الملك الخبر قام ورجع إليه عقله وذهب همه، فقال: أحمد الله رب السماوات والأرض وأعبذك وأسبح لك ، تطولت على ورحمتنى فلم تطفئ النور الذى جعلته لأبائى وللعبد الصالح "قسطيطنوس" الملك فلما نبئ به أهل المدينة ركبوا إليه و ساروا معه حتى أتوا مدينة "أفسوس" فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه نحو الكهف....

الرد عليه :

ماذكره الإمام الخطيب الشربيني في هذه الرواية لا ثقة فيه ؛ إذ أنه من الدخيل الذى لا يتوقف عليه تفسير ولا تأويل ، وخاصة أنه من رواية ابن إسحاق صاحب المغازى ، وقد قال عنه النسائي وغيره : ليس بالقوى . وقال الدارقطني : لا يحتج به . وقال أبو داود : قدرى معتزلى . وقال سليمان التيمي : كذاب . وقال مالك : دجال^(١).

ولا شك أن تلك الأقوال من أعلام الجرح والتعديل نقد وتذهب الثقة في هذا الخبر الذى رواه ابن اسحق .

وأيضاً اختلاف الروايات التى ذكرها المفسرون فى شأن أهل الكهف (أسمائهم...عندهم...مكان الكهف ...لون الكلب.....الح) يقتضى ألا ننق بشيء منها وألا نطمئن لصحة أى منها .

^١ ينظر: ميزان الاعتدال فى نقد الرجال لأبى عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى ٧٤٨ هـ ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط. عيسى الحلى وشركاه ج ٣ ص ٤٦٩.

" وقد أنكر ابن كثير على المفسرين الذين خاضوا في مكان الكهف وعده تكلفاً ؛ لأن الله - عز وجل - أخبرنا بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أى البلاد من الأرض ؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعى ، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله - تعالى - ورسوله إليه فأعلمنا بصفته ولم يعلمنا بمكانه ، وكذلك أنكر اختلاف القصاص والمفسرين في لون الكلب وأسماء أهل الكهف على أقوال لا حاصل ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها ، بل هي مما ينهى عنه لأن مسندها رجم بالغيب ، ونبه على أن في صحة كل ذلك نظراً ؛ لأن غالبه متلقى من أهل الكتاب"^(١).

كما أنكر على من خاض في عددهم فقال ^(٢): " ولما كان النزاع في مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده ، أرشد نبيه ﷺ إلى الأدب في مثل هذا الحال إذا اختلف الناس فيه أن يقول : الله أعلم ؛ ولهذا قال : [قل ربى أعلم بعديهم] ، وقوله [ما يعلمهم إلا قليل] ، أى من الناس ، [فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً] ، أى سهلاً ، ولا تتكلف أعمال الجدل في مثل هذا الحال ولا تستفت في أمرهم أحداً من الرجال ؛ ولهذا أبهم - تعالى - عديهم في أول القصة ، فقال : [إنهم فتية آمنوا بربهم] ، ولو كان في تعيين عديهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة " . وعلق أبو حيان على هذه

^١ - مستقى من تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، المتوفى ٧٧٤هـ — ط - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي ، ج ٣ ص ٧٥ - ٧٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير أيضاً - كتاب : أخبار الماضين من بنى إسرائيل قصة أصحاب الكهف - ط - دار النقوى ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

^٢ - ينظر : البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٨ .

الروايات عند تفسيره لسورة الكهف فقال^(١) : "وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط ، والسند في معرفتها ضعيف ، والرواة مختلفون في قصصهم ، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم ، ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم ، ومن أراد تطلب ذلك في كتب التفسير " .

ويقول الشنقيطي في تفسيره عند تناوله للقصة^(٢) : " واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم ، وفي أي محل من الأرض كانوا ، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن ، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها " .

وأرى أن الأفضل للمسلم أن يتدبر القصة ليعتبر بما ساقه الله - عز وجل - فيها من العبرة والموعظة الحسنة ، ويقتدى بأهل الكهف في الفرار بالدين وهجر الدنيا وطلب الآخرة والحرص عليها .

وحول هذا المعنى ذكر القرطبي في جامعه مسأله عند تناوله لقصة أهل الكهف بقول فيها^(٣) : " هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة ، وقد خرج النبي ﷺ فاراً بدينه ، وكذلك أصحابه ، وجلس

^١ - ينظر : تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بابي حبان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، قرطبه : د. عبد الحى الفرماوى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٣ هـ - ١٩٩٤ م الأولى ج ٦ ص ٥ .

^٢ - ينظر : تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الحكي الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، ط. دار الفكر بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ ت ١٩٩٥ م ج ٣ ص ٢٠٦ .

^٣ - ينظر : الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ط. دار الحديث - القاهرة ، الثانية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ج ١٠ ص ٣٦٨ .

في الغار وقد نص الله - تعالى - على ذلك في 'براءة' وقد تقدم ، وهجروا
أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم ،
رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين ، فسكنى الجبال ودخول
الغيران ، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق ، و جواز الفرار من الظالم
هى سنة الأنبياء - صلوات الله عليهم - والأولياء. وقد فضل رسول الله ﷺ
العزلة ، وفضلها جماعة العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس ، وقد
نص الله - تعالى - عليها فى كتابه فقال: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾.

● وكذلك ما ذكره فى شأن الدابة التى يخرجها الله تعالى قرب قيام
الساعة عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ
دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(١)

يقول الإمام الشربيني^(٢): " وعن على رضى الله تعالى عنه: أنها
تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها، وروى أنه ﷺ سئل :
من أين تخرج الدابة ، فقال : (من أعظم المساجد حرمةً وأكرمها على الله
فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين
الخارج من المسجد فقوم يهربون «قوم: يقفون نظاراً») وقيل تخرج من
الصفا، ولما كان التعبير بالدابة يفهم بأنها كالحوانات العجم لا كلام لها قال
﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أى: بالعربية كما قاله مقاتل بكلام يفهمونه بلسان طلق ذلق فتقول:
﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أى: أن الناس كانوا لا يوقنون
بخروجي ؛ لأن خروجها من الآيات ، وتقول : ألا لعنة الله على الظالمين ،
وعن السدّي: تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام ، وعن ابن
عمر: تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم
اليمن فتفعل مثل ذلك ، وروى أنها تخرج من أجناد ، روى بينما عيسى -

^١ - سورة النمل : آية ٨٢.

^٢ - ينظر: السراج المبرق ج ٥ ص ١٦٢.

عليه السلام - يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلي المسعى ، فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتتكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو تترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن ، وتتكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ، وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم : يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار".

الرد عليه :

ما ذكره الشيخ الشربيني في صفة الدابة و مكان خروجها وطولها الخ ، لم يثبت بخبر صحيح عن النبي ﷺ ، ومن الواضح أن كل هذه الأخبار من الإسرائيليات خاصة أن من رواها ابن جريج ، وقد قال عنه يحيى بن سعد : أخباره شبه الريح^(١)، وإن كان ثقة عند البعض من علماء الرجال إلا أنه كثير النقل من كتب الإسرائيليات كما قال الحافظ الذهبي^(٢)، وابن جريج وابن منبه^(٣) وأمثالهما من مسلمي أهل الكتاب معروفون

^١ - ينظر: تهذيب التهذيب للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن خليل بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ - ط - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكني ١٣٢٥ هـ، ج ٦ ص ٤٠٤.

^٢ - ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ج ٤ ص ٣٥٢ .

^٣ - هو وهب بن منبه الأتباعي الصنعاني أبو عبد الله ، مؤرخ ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، من كتبه قصص الأخيار وقصص الأتبياء ، وذكر الملوك المتوكة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج ٨ ص ١٢٥ ، ٢٦ .

بالإكثار من رواية الإسرائيليات ، وعلى ذلك ينبغي أن تكون على حذر فيما يروى عنهما من الغيب الذي استأثر الله بعلمه .

وقد أنصف الإمام الرازي حين قال تعقيباً على ما ذكر^(١) : " واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور ؛ فإن صح الخبر فيه عن رسول الله ﷺ قبل وإلا لم يلتفت إليه " .

والإمام على كرم الله وجهه أعقل من أن ينقل مثل هذا الهراء الإسرائيلي .

والحافظ ابن كثير أورد ما جاء من روايات في شأن الدابة في تفسيره وعقب عليه بقوله^(٢) : " رواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً فإنه أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً ، وأن ذلك في زمان عيسى عليه السلام ، وهو يطوف بالبيت ، ولكن إسناده لا يصح " . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه للطبراني عن حذيفة بن أسيد وقال^(٣) : " فيه طلحة بن عمرو وهو متروك " .

وقد أنكر أبو حيان على من خاض في هذه التفاصيل فقال عن الدابة عند تفسيره لهذه الآية : " واختلفوا في ماهيتها ، وشكلها ، ومحل خروجها

١ - ينظر : مقاتب الغيب للرازي ج ٢٤ ص ١٨٧ .

٢ - ينظر : تفسير ابن كثير ٣ ص ٣٧٥ .

٣ - ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧ هـ ، تحرير : الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر - ط . مكتبة القدسي - القاهرة ، ج ٨ ص ٧ .

ويكذب بعضه بعضاً، فاطر حنا ذكره ؛ لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح،
وتضييع لزمان نقله^(١)

● وكذلك زلّ الشيخ الخطيب الشربيني في بعض المواضع التي
دخلتها الإسرائيليات مما يتعلّق بقصص الأنبياء، وذلك كما حدث له في سورة
الأحزاب، قصة زيد بن حارثة، وذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ
تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي
فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ
مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ
إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾^(٢) فيذكر الخطيب الشربيني
هنا رواية في غفلة ظاهرة حيث انساق وراء الإسرائيليات المكذوبة على
رسول الله ﷺ وراح يرددّها وراءهم - غفر الله له - حيث يقول^(٣) : " وأخرج
ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان قال : " جاء رسول الله ﷺ بيت
زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد يقال له : زيد بن محمد ، فربما فقد رسول
الله ﷺ الساعة فيقول أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وتقوم إليه زينب
بنت جحش زوجته فضلاً، فأعرض رسول الله ﷺ عنها فقالت : ليس هو ههنا
يا رسول الله فادخل ، فأبى أن يدخل ، فأعجبت رسول الله ﷺ فولى وهو
بهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن بسبحان الله العظيم سبحان
مصرف القلوب ، فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى
منزله ، فقال زيد : ألا قلت له أن يدخل، فقالت : قد عرضت ذلك عليه فأبى ،
قال فسمعت شيئاً منه ، قالت : سمعته حين ولّى تكلم بكلام لا أفهمه ، وسمعته
يقول : سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب ، فجاء يزيد حتى أتى

^١ - ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ، ج ٧ ص ٩١ .

^٢ - سورة الأحزاب : آية ٣٧ .

^٣ - ينظر : السراج المنير ج ٥ ص ٣٦١ .

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهل دخلت يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال رسول الله ﷺ: (أمسك عليك زوجك) ففارقها زيداً واعتزلها وانقضت عدتها ، فبينما رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة إذ أخذته غشية ، فسرى عنه وهو يبتسم ويقول: من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله زوجها من السماء ، وقرأ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي ﴾ الآية قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد ؛ لما يبلغنا من جمالها وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها زوجها الله من السماء وقلت: هي تفخر علينا بهذا^(١).

وقد ذكر الشيخ الشربيني هذه الرواية الباطلة التي دسها أعداء الإسلام وغفل عن بطلانها بعض المفسرين ، فنسب للنبي ﷺ محبة طلاق زيد لزينب ليتزوجها هو ، ومعنى الآية الصحيح : "وانكر إذ تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بهداية الإسلام ، وأنعمت عليه بالتربية والعنق : أمسك عليك زوجك " زينب بنت جحش " واتق الله فيها ، واصبر على معاشرتها ، وتخفى في نفسك ما الله مبهره من أنه سيطلقها ، وأنت ستتزوجها ، وتخاف أن يعيرك، والله هو الجدير بأن تخافه ، ولو كان في ذلك مشقة عليك"^(٢).

^١ - أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى في ترجمة زينب بنت جحش - رضى الله عنها - ج ٨ ص ٨٢ ، ينظر : كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ومشمئ على السيرة النبوية ، غنى بتصحيحه وطبعه انوار سخوب ، طبع مصوراً عن كتاب طبع في مدينة ليندن المحروسة بمطبعة بريل ١٢٢١ هـ - من منشورات مؤسسة النصر - طهران . وأخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب : معرفة الصحابة - باب : ذكر زينب بنت جحش - رضى الله عنها - ج ٤ ص ٢٥ ح ٦٧٧٥ موسكت عنه الحاكم والذهبي .

^٢ - ينظر : تفسير المنتخب في القرآن الكريم ، لجنة القرآن والسنة - ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص ٦٢٨ .

وبهذا يتضح أن المقصود بقوله - تعالى - : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أن الذي يخفيه النبي ﷺ هو ما أعلمه الله - عز وجل - إياه من تقديره زواجه ﷺ من زينب ، وأن هذا هو ما سيبيده الله - عز وجل - وليس كما جاء في الرواية التي ذكرها الإمام الشرييني ، وهذا ما يدل عليه التعليل في الآية.

ولا داعي أصلاً لقبول مثل هذه الروايات ، بل نرتضى فيها وفي أمثالها من الموضوعات موقف العلماء المحققين أمثال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فقد أشار إلى هذه الأكذوبة عند تفسيره للآية فقال^(١) : "ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا أثراً عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها".

ولا يوجد مثل هذه الروايات في كتب الحديث المعتمدة ، والذي جاء في الصحيح بخالف ذلك ، وليس فيه هذه الرواية المنكرة ؛ روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن هذه الآية ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ، واقتصر على هذا القدر وليس فيه شيء من هذا الخلط ، وقال الحافظ ابن حجر : "ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، وما أوردته هو المعتمد" والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه. وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه ، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً،

^١ - ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤٩١ .

ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم ، وإنما وقع الخطب في تأويل متعلق الخشية^(١).

وهكذا يسرد الشيخ الشربيني الرواية دون التعقيب عليها بتصحيح أو تضعيف.

● وعند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾^(٢) يذكر الإمام الشربيني رواية واهية عن هدية بلقيس لسليمان عليه السلام وما كان من امتحانها له، دون أن يعقب عليها؛ فيقول^(٣) : " وذلك أن بلقيس " كانت امرأة كيسة قد سميت وساست فقالت للملأ من قومها: إني مرسلّة إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكي فأخبره بها أملك هو أم نبي ؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن يكن نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضها منا إلا أن نتبعه على دينه [.....]، فأهدت إليه وصفاً ووصائف، [.....]، واختلف في عددهم: فقال ابن عباس: مائة وصيف ومائة وصيفة، وقال مجاهد ومقاتل: مائة غلام ومائتا جارية، وقال قتادة: أرسلت إليه بلقيات من ذهب في حرير وديباج، وقال ثابت البناني: أهدت إليه صفائح الذهب في أوعية الديباج، وقيل: كانت أربع لبئات من ذهب، وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الأقيية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب وفي آذانهم أقراطاً وشُئِنوا مرصعات بأنواع الجواهر

^١ - ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى " وتختفي في نفسك ما الله مبديه وتختفي الناس والله أحق أن تخشاه " ٤٧٨٧ جـ ١٣ ص ٤٧١، ٤٧٣، ينصرف.

^٢ - سورة النمل: آية ٣٥.

^٣ - ينظر: السراج المميز ج ٥ ص ٨٧ - ٨٩.

وغواشيتها من الدجاج الملونة، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة من فضة وناجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع ، وأرسلت المسك والعنبر، وعمدت إلى حقة فجعلت فيها ذرة ثمينة غير متقوبة ، وجذعة لعلها متقوبة معوجة الثقب ، ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل ، وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية....

فانطلق الرسول بالهدايا ، وأقبل الهدد مسرعا إلى سليمان فأخبره الخبر كله ؛ فأمر سليمان ، عليه السلام الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة، ففعلوا ، ثم أمرهم أن يسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميادين حائطا شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ، ثم قال أيّ الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر قالوا يا نبي الله إنا رأينا دواب في بحر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص ، قال على بها الساعة ، فأتوا بها، فقال : شئوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة ، وألقوا لها علوفتها فيها، ثم قال للجن : على بأولادكم ؛ فاجتمع خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي على يمينه ومثلها على يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوا فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا صفوا فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره.

فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا ما معهم من الهدايا. وفي بعض الروايات أن سليمان لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا على قدر

موضع اللبانات التي معهم ؛ فلما رأى الرسل موضع اللبانات خاليًا وكل الأرض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك ، فطرحوا ما معهم في ذلك الموضع الخالي. فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففرعوا، فقالت لهم الشياطين جُوزوا فلا بأس عليكم، فكانوا يمشون على كروم من الجن والإنس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان، فنظر إليهم سليمان نظرًا حسنًا بوجه طلق وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاءوا له وأعطاه كتاب الملكة... ثم ردَّ سليمان الهدية^(١).

وهكذا يذكر الشيخ الشربيني الرواية دون التعليق عليها بالبطلان، رغم أن نسجها يبدو منه أنه مبنى على الخيال؛ فما ذكره في بيان نوع الهدية التي أرسلتها ملكة سبأ إلى نبي الله سليمان — عليه السلام — سبقه إليه ابن جرير الطبري في تفسيره حيث روى في ذلك روايات عديدة منسوبة للضحاك وابن جريج ووهب بن منبه^(٢)، والسيوطي في الدر المنثور عن السدي ووهب بن منبه^(٣)، والتعليق في قصصه عن وهب بن منبه^(٤)، وفي ذلك دلالة على أنها من الإسرائيليات التي يذكرها الرواة عن أهل الكتاب .

وحين روى ابن كثير هذا الخبر في تفسيره عقب عليه تنبيهًا على بطلانه بعد أن بين اختلاف المفسرين في نوع الهدية ؛ فقال: " والله أعلم أكان ذلك أم لا، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان — عليه السلام — لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به ؛ بل أعرض عنه ؛ وقال منكراً عليهم: أتمدونني بمال؟^(٥) .

^١ - ينظر: تفسير جامع البيان جـ ١٥ ص ١٣٠ - ١٣٥ .

^٢ - ينظر: تفسير الدر المنثور جـ ٤ ص ٣٨٤ - ٣٨٩ .

^٣ - ينظر: قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس لأبي اسحق النخعي - ط . عيسى الحلبي ص ٢٨١ .

^٤ - ينظر: تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٦٣ .

وأنكر الألوسى الروايات التي وردت في بيان نوع الهدية فقال^(١): " وكلُّ ذلك أخبار لا يُدرى صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه والله أعلم."

وهكذا في مواضع أخرى يذكر الإمام الخطيب الشربيني بعض القصص الإسرائيلية ويمر عليها دون تنبيه عليها أو تضعيفها، إلا أن ما ذكره في تفسيره ليس فيه طعن في عصمة الأنبياء.

٢- يصحح ما لا يليق (ما يخل) بعصمة الأنبياء:

إذا كان تفسير الشيخ الخطيب الشربيني ملتبساً بالإسرائيليات التي لا يعقب عليها بتصحيح أو تضعيف إلا أنه لا يفوته أن يعلق على قصة تخل بمقام النبوة فيعلق عليها بما يُظهر بطلانها، وهذه بعض الأمثلة من تفسيره:

● فعند تفسيره للآية الكريمة ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾^(٢) يرد ما ورد في تفسيرها من روايات باطلة تخل بعصمة سيدنا يوسف عليه السلام فقال^(٣): " وأما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بأن حل الهميان وجلس بها مجلس المُجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها، ومن تفسير البرهان بأنه سمع صوتاً: إياك وإياها فلم يكثر له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمعه ثالثاً أعرض عنها فلم يقجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أناملته، وقيل: ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقيل: كل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين هم، وقيل: صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر

١ - ينظر: تفسير روح المعاني للألوسى ج ١٩ ص ١٣٤.

٢ - سورة يوسف: جزء من آية ٢٤.

٣ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ١٤٧.

كان له ريش فلما رُنا قعد لا ريش له، وقيل: بدت كف فيهما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ {١٠} كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الأنفطار: ١٠، ١١] فلم ينصرف ثم رأى فيها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الأسراء: ٣٢] فلم ينته ثم رأى فيها ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فلم ينجع فيه ؛ فقال الله - تعالى - لجبريل - عليه السلام - : أدرك عبيد قبل أن يدرك الخطيئة، فانحط جبريل وهو يقول: يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟ وقيل: رأى تمثال عزيز. وقيل: قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت: أستحي أن يرانا، فقال يوسف: استحييت مما لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع العليم بذات الصدور - فلم^(١) يصح منه شيء عن أحد منهم ، مع أن هذه الأقوال التي وردت عنهم إذا جمعت تناقضت وتكاذبت. قال الزمخشري^(٢): " وهذا ونحوه ممن يورده أهل الجبر والحشو الذين دينهم بهت الله وأنبيائه . فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله - تعالى - فيما ذكروه . وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل . وأطال في رد ذلك، وكذا فعل الرازي^(٣) . "

● وأيضا عند إنتهائه تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَهَلْ أُنَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ {٢١} إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ {٢٢} إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أُكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ {٢٣} قَالَ

١ - جواب "أما" في أول كلام الشيخ الشربيني .

٢ - ينظر: الكشاف للزمخشري : ج ٢ ص ٣١٢ .

٣ - ينظر : التفسير الكبير للرازي ج ١٨ ص ٩٣ ، ٩٤ .

لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى تَعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ
وَلَقَدْ دَاوُودُ إِنَّمَا فُتِنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ {٢٤} فَغَفَرْنَا لَهُ
ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ {٢٥}.

نقل الإمام الشرييني ما ذكره الرازي في تفسيره عن الإسرا ئيليّات
في قصة داود وردّه عليها ؛ فقال^(١) :

" قال الرازي^(٢) : " وللناس في هذه القصة ثلاثة أحوال ؛ أحدها : أن هذه
القصة دلت على صدور الكبيرة منه ، وثانيها : على الصغيرة ، وثالثها : لا
تدل على كبيرة ولا صغيرة ، فأما القول الأول فقالوا : إن داود - عليه
السلام - أحب امرأة أوريا فاحتال في قتل زوجها ثم تزوج بها ، ثم أرسل
الله - تعالى - ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعة
وعرضاً تلك الواقعة عليه ، فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنّباً ،
ثم تنبه لذلك واشتغل بالتوبة....

قال الرازي : والذي أدّين الله - تعالى - به وأذهب إليه أن ذلك باطل
لوجوه.

الأول : أن هذه الحكاية لا تناسب داود.... فكيف يليق بالعاقل نسبة
المعصية إلى داود - عليه السلام - .

١ - سورة ص : ٢١ - ٢٥ .

٢ - السراج المنير ج ٦ ص ١٩٩ - ٢٠١ باختصار .

٣ - التفسير الكبير للرازي ج ٢٦ ص ١٦٥ : ١٦٩ باختصار .

ثانيها: أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السعى في قتل رجل مسلم بغير حق ، وإلى الطمع في زوجته، أما الأول: فأمر منكراً... وأما الثاني: فمنكر أيضاً....

ثالثها: إن الله - تعالى - وصف داود - عليه السلام - بصفات تنافي كونه - عليه السلام - موصوفاً بهذا الفعل المنكر.

الصفة الأولى: أنه - تعالى - أمر محمداً ﷺ أن يقتل داود - عليه السلام - في المصابرة على المكاره....

الصفة الثانية: أنه وصفه بكونه عبداً له . وقد بينا أن المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في وصف العبودية في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات....

الصفة الثالثة: وهي قوله - تعالى - : ﴿ ذَا الْأَيْدِ ﴾ أي : ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين....

الصفة الرابعة: كونه أواباً كثير الرجوع إلى الله فكيف يليق هذا الوصف بمن قلبه مشغول بالفسق والفجور .

الصفة الخامسة: قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ ﴾ أفترى أنه سخرت له الجبال ليتخذ سبيل القتل والفجور؟! .

الصفة السادسة: قوله - تعالى - : ﴿ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ ﴾ قيل: إنه كان محرماً عليه صيد شيء من الطير فكيف يعقل أن يكون الطير أمناً منه ولا يجوز أمن الرجل المسلم على روحه ومنكوحه.

الصفة السابعة: قوله — تعالى —: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ ... والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ، ومن لم يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك.

الصفة الثامنة: قوله — تعالى —: ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً... فهذه الصفات التي وصف بها قبل شرح القصة ، وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة.

فأولها: قوله — تعالى —: ﴿ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا نَزْلُقْهُ وَحَسُنَ مَا يَفْعَلُ ﴾ وقوله — تعالى —: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ فكيف أن الله — تعالى — يجعله خليفة ويقع منه ذلك؟!....

فإن قيل: قد ذكر هذه القصة كثير من المحدثين والمفسرين. أجيب: بأنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الأحاد كان الرجوع إلى الدلائل القطعية واجبا. والمحققون يردون هذا القول ويحكمون عليه بالكذب.

وأما القول الثاني: فقالوا: تحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لا على حصول الكبيرة ، وذلك من وجوه: الأول: أن هذه المرأة خطبها "أوريا" فأجابوه، ثم خطبها داود — عليه السلام — فأثره أهلها ؛ فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه. الثاني: قالوا: إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب البتة ... الثالث: أنه كان أهل زمان داود — عليه السلام — يسأل بعضهم بعضا أن يطلق زوجته حتى يتزوجها... فاتفق أن عين داود — عليه السلام — وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأله النزول عنها ... وإن كان جائزا في ظاهر الشريعة إلا أنه لا يليق بك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين....

وأما القول الثالث: فقال : تحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه إيجاب كبيرة ولا صغيرة لداود - عليه السلام - بل يوجب أعظم أنواع المدح والثناء له؛ وهو أنه قد روى أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود - عليه السلام - وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويستغل فيه بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب ، فلما دخلوا عليه وجنوا عنده أقواما تمنعهم منه ؛ فخافوا ووضعوا كذبا ... فإن قيل: ههنا أربعة ألفاظ يمكن أن يحتج بها في إلحاق الذنب بـ داود - عليه السلام - أحدها: قوله - تعالى -: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ ﴾ وثانيها: قوله - تعالى -: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ﴾ وثالثها: قوله - تعالى -: ﴿ وَأَنَابَ ﴾ ورابعها: قوله - تعالى -: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾. أجيب: بأن هذه الألفاظ لا يدل شيء منها على ما ذكر؛ لاحتمال أن تكون الزلة إنما حصلت من باب ترك الأفضل والأولى كما مر ... ”.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾^(١) يرد ما ورد عن وهب بن منبه من روايات باطلة تتنافى مع عصمة النبي سليمان - عليه السلام - فيقول^(٢): ” قال محمد بن إسحاق: عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر وكان الله - تعالى - قد أعطى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحملته الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فأخذها وقتل ملكها وسب ما فيها ، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها ”جرادة“ لم ير مثلاً حسناً وجمالاً ؛ فاصطفأها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه ، وأحبها حباً لم يحبه

^١ - سورة ص: آية ٣٤.

^٢ - السراج المنير: ج٦ ص ٢٠٩-٢١١ باختصار.

شينا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها ،
 فشق ذلك على سليمان — عليه السلام — فقال لها: ويحك ما هذا الحزن؟ ...
 قالت: إن ذلك كذلك ، ولكن إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن ، فلو أنك
 أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشيا لرجوت أن
 يذهب ذلك حزني ، فأمر سليمان — عليه السلام — الشياطين ، فمثلوا لها
 صورة أبيها ، فعمدت إليه حين صفعوه ، وأبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان
 يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان — عليه السلام — تذهب إليه مع ولاتها
 فتسجد له ويسجدن معها له تبعاً لها كما كانت تصنع في ملكه ، وسليمان —
 عليه السلام — لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً ، فبلغ ذلك "أصف بن
 برخيا" وكان صديقاً لسليمان — عليه السلام — وكان لا يُرد عن أبواب
 سليمان — عليه السلام — أي ساعة أراد دخول شيء من بيوت سليمان —
 عليه السلام — حاضراً كان سليمان — عليه السلام — أو غائباً.... وكانت له
 أمٌ ولد يقال لها: الأمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه
 عندها ، وكان ملكه فيه فوضعه عندها يوماً ، فأتاها الشيطان صاحب البحر
 واسمه "صخر" على صورة سليمان — عليه السلام — قال لها: يا أمينة
 خاتمي فناولته الخاتم وتختم به وجلس على كرسي سليمان — عليه السلام —؛
 فعكف عليه الطير والجن والإنس وتغيرت صفة سليمان عليه السلام ، فأتى
 الأمينة يطلب الخاتم فأذكرته ، فعرف أن الخطيئة قد أدركته ، فكان يدور
 على البيوت يتكفف ، وإذا قال : أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه . وأخذ
 ينقل السمك للسماكين فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحداهما
 بأربعة وشوى الأخرى فأكلها . فمكث كذلك أربعين صباحاً مدة ما كان عبد
 الوثن في داره ، فأنكر أصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان..

وسأل أصف نساء سليمان عليه السلام فقلن: ما يدع امرأة في دمها ،
 ولا يختسل من جنابة ؛ فقال أصف : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إن هذا لهو
 البلاء المبين ، ثم خرج على بني إسرائيل فقال: ما في الخاصة أعظم مما في

العامّة. فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر قابضته سمكة فأخذها بعض الصيادين ، وقد عمل له سليمان عليه السلام بسمكتين صدر يومه ذلك ، حتّى إذا كان العشيّ أعطاه سمكتيه فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم ... فبقرها ليشويها فاستقبله الخاتم في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ورجع إلى ملكه ، وأخذ ذلك الشيطان وحبسه في صخرة ، وألقاه في البحر هذا ملخص حديث وهب . وقال الحسن: ما كان الله يسلط الشيطان على نساءه.

ويذكر الشيخ الخطيب الشربيني روايات أخرى للسدي وسعيد بن المسيب، ثم برّد على هذه الروايات الباطلة ؛ فيقول: (١) " قال الرازي (٢): واستبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه ؛ الأول: أن الشيطان لو قدر على أن يشتبه في الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من ذلك ؛ ففعل هؤلاء الذين رأهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى — عليهم السلام — ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الإغواء والإضلال، وذلك يُبطل الدين بالكلية.

الثاني: أن الشيطان لو قدر أن يعامل نبي الله تعالى سليمان — عليه السلام — بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلهام مع جميع العلماء والزهاد ؛ وحينئذ يجب أن يقتلهم ويمزق تصانيفهم ويخرب ديارهم، ولما بطل ذلك في حق أحاد العلماء فلأن يبطل في حق أكابر الأنبياء أولى.

١ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٢١١، ٢١٢.

٢ - ينظر: التفسير الكبير الرازي ج٦ ص ١٨٢.

الثالث: كيف يليق بحكمة الله - تعالى - وإحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج سليمان - عليه السلام - ولا شك أنه قبيح . أى: على غير رأى الحسن كما مر .

الرابع: لو قلنا إن سليمان - عليه السلام - أن تلك المرأة في عبادتها تلك الصورة فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله - تعالى - سليمان - عليه السلام - بفعل لم يصدر منه أى : وقد يقال: إنما لو أخذ بذلك لكونه كان سبباً في عملها.

قال: فأما أهل التحقيق فقد ذكروا وجوهاً الأول: أن فتنة سليمان - عليه السلام - أنه ولد له ابن فقالت الشياطين : إن عاش صار مسلطاً علينا مثل أبيه؛ فسبيلنا أن نقتله، فعلم سليمان - عليه السلام - ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو يشتغل بمهماتِه إذ ألقى ذلك الولد ميتاً على كرسيه ففتنه على خطيئته في أنه لم يثق ولم يتوكل على الله تعالى فاستغفر ربه وتاب.

الثاني: روى عن النبي ﷺ أنه قال: (قال سليمان لأطوفنَّ لليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله تعالى، فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . والذي نفسى بيده لو قال: إن شاء الله - تعالى - لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين^(١) فذلك قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ [ص: ٣٤].

١ - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب: قوله - تعالى - :
وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعِلْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ " ، ينظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى
جـ ١٠ ص ١٧٩ - ١٨٥ ح ٣٤٢٤ . وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الإيمان ،
باب : الاستثناء جـ ٣ ص ١٣٠ ، ١٣١ ح ١٦٥٤ .

الثالث: أنه أصابه مرض فصار يجلس على كرسيه وهو مريض ؛
فذلك قوله - تعالى - : ﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ وذلك لشدة المرض ،
والعرب تقول في الضعيف: إنه لحم على وضم وجسم بلا روح ﴿ ثُمَّ أَنَلِبْ ﴾
أى: رجع إلى حال الصحة أى: وهذا أظهر ما قيل كما قال البيضاوى^(١).

الرابع: لا يبعد أيضاً أن يقال: إنه ابتلاه الله - تعالى - بتسليط وقوع
خوف أو وقوع بلاء توقعه من بعض الجهات حتى صار بقوة ذلك الخوف
كالجسد الضعيف الخفى على ذلك الكرسي ، ثم إن الله تعالى أزال عنه ذلك
الخوف وأعادته إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب ؛ فاللفظ محتمل لهذه
الوجوه ولا حاجة إلى حمله على تلك الوجوه الزكية، فإن قيل: لولا تقدم
الذنب، لما ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ ، أجيب: بأن الإنسان لا ينفك عن ترك
الأفضل وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة ؛ لأن حسنات الأبرار سيئات
المقربين، ولأنه أبداً في مقام هضم النفس وإظهار الندم والخضوع كما قال
ﷺ: (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً)^(٢) مع أنه ﷺ
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلا يبعد أن يكون المراد من هذه الكلمة
هذا المعنى .

١ - لم أحد القاضى البيضاوى قد ذكر هذا الرأى عند تفسيره لهذه الآية ، بل إنه اعتبر
الرأى الثانى " أظهر ما قيل " ينظر: حاشية زاده على البيضاوى جـ ٧
ص ٢٠٢، ٢٠١.

٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: الدعوات ، باب : استغفار النبى ﷺ فى
اليوم واللييلة ، ينظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٧ ص 30 ، ح ٦٣٠٧ .

عنايته بالأسلوب الموضوعي في التفسير

من أساليب تفسير القرآن الكريم، الأسلوب الموضوعي، ومعناه أن "يلتزم المفسر موضوعاً قرآنياً واحداً يجمع الآيات الواردة فيه ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك - حسب جهده - إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي تناوله".^(١)

والشيخ الخطيب الشربيني من المفسرين الذي اهتموا بهذا الجانب في تفاسيرهم؛ فالقارئ لتفسيره يلحظ أنه رغم جمعه بين المأثور والرأى إلا أنه يلجأ أحياناً إلى الربط الموضوعي بين الآية ونظائرها في القرآن الكريم ، فيهتم بالربط الموضوعي بين الآية التي هو بصدد تفسيرها وبين نظائرها في جميع القرآن، مما يجتمع معها في الموضوع أو يشترك في الهدف.

واهتم الخطيب الشربيني بجمع الآيات التي تكشف ما لم تدل عليه الآية الأولى ؛ فتصبح الآيات مجتمعة في نسيج واحد ، تجلو إبهام وتوضح غموض الآية التي يفسرها:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدَّارَ الْآخِرَةَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) يقول^(٣) : " في قولكم وذلك أن اليهود ادعوا دعوى باطلة ؛ مثل قولهم ﴿ لَنْ نَمْسِكَ النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] فكذبهم الله - عز وجل - وألزمهم الحجة ؛ فقال: قل لهم يا محمد ذلك ؛ لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار

^١ - ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي - ط ، مكتبة الرائد - الرياض ، الرابعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ٣ ص ٨٦٢.

^٢ - سورة البقرة: آية ٩٤.

^٣ - ينظر: السراج المبرج ج ١ ص ١٢٤.

ذات الشوائب. كما روى عن المبشرين بالجنة - رضى الله - تعالى - عنهم - فقد كان على - رضى الله - تعالى - عنه - يطوف بين الصفيين فى غلاله ؛ فقال له ابنه الحسن: ما هكذا نرى المحاربين؛ فقال له: يا بنى لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت".

● وأيضاً عن انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿إِنْ رِئُوسُ الثَّغَالِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) يقول^(٢): "قال البيضاوى^(٣): وتحقيق الآية - والله أعلم - أن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فبين الله - تعالى - لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله - تعالى - لأنه الذى له الخلق والأمر؛ فإنه - تعالى - خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم ؛ فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وعمد إلى إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة، ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال ؛ وأشار إليه بقوله - تعالى -: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] أى: ما فى جهة السفلى فى يومين ، ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة كما قال - تعالى - بعد قوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًّ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاطَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠] أى مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما السموات والأرض ؛ لقوله - تعالى -: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤] ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره كالمملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة ؛ فندبر الأمر من السماء إلى الأرض؛ بتحريك الأفلاك،

^١ - سورة الأعراف: آية ٥٤.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٢٠٥.

^٣ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى جـ ٤ ص ٢٣٥، ٢٣٦.

وتسيير الكواكب ، وتكوين الليالي والأيام ، ثم صرح بما هو نتيجة ذلك ؛ فقال: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

● وكذلك عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾^(١) يذكر نظائرها من الآيات الأخرى؛ فيقول^(٢): " ونظيره قوله - تعالى -: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ [القصص: ٨٥] وقوله - تعالى -: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ [الأنبياء: ١١] قبين - تعالى - أن عذابه ليس مقصوراً على من تقدم، بل الحال في أخذ كل الظالمين يكون كذلك ."

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾^(٣) يقول^(٤): " فأوسعنا على مؤمن وقتلنا على مؤمن آخر، وأوسعنا على كافر وقتلنا على كافر آخر، وبين - سبحانه وتعالى - وجه الحكمة في التفاوت في سورة الزخرف بقوله - تعالى -: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال - تعالى - في آخر سورة الأنعام: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ."

● وعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾^(٥) يقول^(٦): " لمن خاف مقامي أي: موقفي وهو موقف الحساب؛ لأن ذلك الموقف موقف الله الذي يوقف فيه عباده يوم القيامة ، ونظيره

١ - سورة هود: آية ١٠٢.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ١١٤.

٣ - سورة الاسراء: جزء من آية ٢١.

٤ - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٤٢٠.

٥ - سورة إبراهيم: جزء من آية ١٤.

٦ - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٢٥٤.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقيل: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ [إبراهيم: ١٤] أى: خافنى ؛ فالمقام مقحم ، مثل ما يقال: سلام على المجلس العالى ، والمراد السلام على فلان.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(١) يجمع بينهما وبين قوله - تعالى - فى سورة البقرة : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) وبين وجه الاختلاف بينهما ؛ فيقول^(٣) : " وقال - تعالى - 'للمحسنين' إشارة إلى أن رحمة الله قريب من المحسنين فإنه - تعالى - قال فى البقرة : " ذلك الكتاب " ولم يقل الحكيم ، وههنا قال : 'الحكيم' ؛ لأنه لما زاد ذكر وصف فى الكتاب زاد ذكراً من أحواله ؛ فقال: 'هدى ورحمة' وقال : 'هدى للمتقين' " فقوله - تعالى - 'هدى' فى مقابلة قوله - تعالى - 'الحكيم' ، ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذى الحكمة كقوله - تعالى - فى عيشة راضية ؛ أى : ذات رضا ، وقوله - تعالى - هناك : 'للمتقين' " وقوله - تعالى - هنا 'للمحسنين' لأنه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال 'للمتقين' أى: يهذى به من يتقى الشرك والعناد ، وههنا زاد قوله - تعالى - 'ورحمة' فقال 'للمحسنين' ؛ لأنه لما ذكر أنه لم يذكر شيئاً آخر قال 'للمتقين' أى: يهذى به من يتقى الشرك والعناد، وههنا زاد قوله - تعالى - 'ورحمة' فقال 'للمحسنين' كما قال - تعالى - : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " [يونس: ٢٦] فناسب زيادة قوله - تعالى - 'ورحمة' ولأن المحسن يتقى وزيادة " .

١ - سورة لقمان: الآيتين ٣٠، ٣١.

٢ - سورة البقرة: آية ٢.

٣ - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٢٦٠ .

● وعند تكرار الآية في عدة سور يذكر الخطيب الشربيني عدد المرات التي ذكرت فيها والسور التي تكررت فيها ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿أَنذَا كُنَّا تَرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١) يقول^(٢) : " فائدة جميع ما في القرآن من ذلك أحد عشر موضعاً في تسع سور ، والأحد عشر مكررة فتصير اثنين وعشرين ، في هذه السورة موضع [الرعد] ، والثاني والثالث في سورة [الاسراء] ، والرابع في [المؤمنون] ، والخامس في [الزمر] ، والسادس في [العنكبوت] ، والسابع في [السجدة] ، والثامن والتاسع في [الصافات] ، والعاشر في [الواقعة] ، والحادي عشر في [النازعات] . وأذكر إن شاء الله — تعالى — في كل سورة من السور المذكورة مذهبهم في محله .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾^(٣) يقول^(٤) : " تنبيه : هذا هو المرة الخامسة من قصة آدم في القرآن أولها في [البقرة] ، ثم في [الأعراف] ، ثم في [الحجر] ، ثم في [الكهف] ، ثم ههنا ، وقوله — تعالى — : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ تقدم الكلام على ذلك مفصلاً في سورة البقرة ، وقوله — تعالى — : " أبى " جملة مستأنفة ؛ لأنها جواب سؤال مقدر ؛ أي : ما منعه من السجود ؟ فأجيب بأنه أبى ، ومفعول الإباء يجوز أن يكون مراداً ، وقد صرح به في الآية الأخرى في قوله — تعالى — : ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر : ٣١] ، وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصلة ، ويجوز أن يراد أصلاً ، وأن المعنى : أنه من أهل الإباء والعصيان من غير نظر إلى متعلق الإباء ما هو .

^١ - سورة الرعد : جزء من آية ٥ .

^٢ - ينظر : السراج المنير ج ٣ ص ٢١٥ .

^٣ - سورة طه : آية ١١٦ .

^٤ - ينظر : السراج المنير ج ٤ ص ٢٠٤ .

كما يهتم الخطيب الشربيني في جمعه بين الآيات بتأويل المشكل ؛
أي: التوفيق بين الآيات التي قد يوهم ظاهرها التناقض.

● كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾^(١) يقول^(٢) : " فإن قيل: أليس قال - تعالى - : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤] فكيف قال هنا: ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم: ١٠] ؟ أجيب: بأن الأجل على قسمين: معلق ومبرم".

● وأيضاً بعد إنتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾^(٣) قال^(٤) : " تنبيه: قال - تعالى - هنا " مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ " وقال - تعالى - في الحجر ﴿ مِنْ حَمِإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ وقال - تعالى - في الصافات: ﴿ مَنْ طِينٍ لَّزِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] وقال - تعالى - في آل عمران: ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩] وكله متفق المعنى؛ وذلك أنه أخذ من تراب الأرض، فعجنه بالماء فصار طيناً، ثم ترك حتى صار حمأ مسنوناً، ثم منقناً ، ثم صورّه كما يصور الإبريق وغيره من الأواني، ثم أيسه حتى صار في غاية الصلابة ؛ فصار كالخزف الذي إذا نقر صوت صوتاً يعلم منه هل فيه عيب أو لا ؛ فالمذكور هنا آخر تخليقه وهو أنسب بالرحمانية. وفي غيرها تارة مبدؤه وتارة أثناؤه، فالأرض أمة والماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذي هو من فيح جهنم، فمن اقتراب جسده ونفسه، ومن الماء روحه وعقله ، ومن النار غوايته وحدثه، ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامه، فالغالب في جبلته التراب ؛

١ - سورة إبراهيم: جزء من آية ١٠.

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٢٥٢.

٣ - سورة الرحمن: آية ١٤.

٤ - ينظر السراج المنير: جـ ٧ ص ٢٤٥.

فلهذا نسب إليه وإن خلق من العناصر الأربع ، كما أن الجان خلق من العناصر الأربع لكن الغالب في جبلته النار؛ فنسب إليها .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ ^(١) يجمع بينها وبين قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) فيقول ^(٣) : "فإن قيل: كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله - تعالى - "وما يعلم تأويله إلا الله"، أجيب: بأن إن قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر، وإن قلنا بالوقوف على الله ويبدأ بقوله - تعالى - : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ فلأن من علم كتاباً عظيماً فيه مواضع مشكلة قليلة وتأملها يقدر الإمكان فإنه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني، وإن كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين في تلك المواضع القليلة، وكذا القول في تعليم القرآن، أو يقال : المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه، بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر ."

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ^(٤) يقول ^(٥) : " فإن قيل: قد قال الله - تعالى - : ﴿ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ فكيف الجمع في ذلك؟ أجيب: بأن المراد بالحسب هنا الشهيد ؛ أي: كفى بشخصك اليوم شاهداً عليك أو أن القيامة مواقف مختلفة ؛ ففي موقف بكل الله - تعالى - حسابهم إلى أنفسهم وعلمه محيط بهم ، وفي آخر يحاسبهم هو "

١ - سورة الرحمن: آية ٢.

٢ - سورة آل عمران: جزء من آية ٧.

٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٣٩.

٤ - سورة الاسراء: آية ١٤.

٥ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٤١٤.

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَزَرَ أُخْرَى ﴾^(١) يقول^(٢) : " بل إنما تحمل وزرها فقط. فإن قيل: ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم - فإذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم؟ أجيب: بأن ذلك بسببه فهو كفعله. فإن قيل: قد ورد أن الميت يعذب بيكاه أهله؟ أجيب بأن ذلك محمول على ما إذا أوصى بذلك وكان ذلك الفعل، كقول طرفة ابن العبد :

إِذَا مِتُّ فَاتَّعَيْتَنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشَقَى عَلَى الْجَنِّبِ يَا ابْنَةَ مَعْبِدٍ^(٣)

وعليه حمل الجمهور الأخبار الواردة بتعذيب الميت على ذلك. فإن قيل: ذنب الميت فيما إذا أوصى أو أمر بذلك فلا يختلف عذابه بامتثالهم وعدمه؟ أجيب: بأن الذنب على السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده (من سن سنة سيئة)^(٤) إلخ. وقال الشيخ أبو حامد: إن ما ذكر محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ."

^١ - سور الإسراء: جزء من آية ١٥.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٤١٤، ٤١٥.

^٣ - البيت من الطويل ، لطرفة بن العبد في كتاب الحماسة البصرية، للعلامة صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري المتوفى ٦٥٦ هـ - تحقيق د/عادل جمال سليمان - ط. وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ج ١ ص ٢٧١ ، وقال صاحب الحماسة: " فإن " بدلا من " إذا " .

^٤ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ج ٢ ص ١٣٣، ١٣٤ ح ١٠١٧، بلفظ " من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، وينحوه في - كتاب: العلم، باب: من سن في الإسلام سنة حسنة أو سيئة ج ٤ ص ٣٦٤ برقمه نفسه في كتاب الزكاة.

اتجاهه في تفسير البسملة

يختلف تفسير الخطيب الشربيني للبسملة من سورة إلى أخرى؛ إذ يفسرها في كل سورة بنمط جديد يقتاسب مع موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها حسبما يترأى له، فهو يستفيد من تفسير البسملة في كل سورة من موضوعها، ويعتمد في معرفة موضوع السورة ومقاصدها على ما صكّرت به، و يلتمس موضوعها من افتتاحها، ويتضح هذا من خلال الأمثلة الآتية:

● فعند تفسيره للبسملة في سورة الفاتحة يقول^(١): " وقوله - تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي الملك الأعظم الذي لا نعبد إلا إياه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ أي: الذي عمّ بنعمتي إيجاده وبيانه جميع خلقه أسفله وأعله، أدناه وأقصاه ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي: الذي خص من بينهم أهل وده برضاه".

● وعند تفسيره للبسملة في سورة الأنعام يقول^(٢): " ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي تعالت عظمته عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي عمّت نعمته المحسن والمسيء ؛ فغمر الكل بالنوال ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي خص أوليائه بإتمام النعمة فهداهم بنعمة الإيصال".

● ويقول عند تفسيره للبسملة في سورة الكهف^(٣): " ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي لا كفء له ولا شريك له ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أقام عبادته على أوضح الطرق بإزالة هذا الكتاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بتفضيل من اختصه بالصواب".

^١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٤.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٩٤.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ٤ ص ٥.

● كما يقول عند تفسيره للبسملة في سورة النصر^(١): " ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ الذي له الأمر كله فهو العليم الحكيم ﴿ الرَّحْمَن ﴾ الذي أرسلك رحمة من الله العليّ العظيم ﴿ الرَّحِيم ﴾ الذي خصّ أهل وده بفضله العميم *.

● وعند تفسيره للبسملة في سورة الإخلاص يقول^(٢): " ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ الذي له جميع الكمال ذي الجلال والجمال ﴿ الرَّحْمَن ﴾ الذي أفاض على جميع خلقه عموم الأفضال ﴿ الرَّحِيم ﴾ الذي خصّ أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والإكمال ".

ففي سورة الفاتحة وصف الله - عز وجل - بأنه المالك الأعظم ، وذكر استحقاقه للعبادة وحده وإنعامه على عباده بالرضا ، نظرًا لما اشتملت عليه السورة من أنه مالك يوم الدين ، وتوحيد العبودية، وطلب الهداية التي هي دليل رضا الله - عز وجل -.

وفي سورة الأنعام ذكر عظمته وكماله وعموم نعمته المحسن والمسيء؛ نظرًا لما استفتحت به السورة الكريمة مما زعمه الكافرون من عدل الآلهة بربهم ، وذكر نعمه وآياته في الكون.

وفي سورة الكهف أوضح رحمته في ﴿ الرَّحْمَن الرَّحِيم ﴾ بإقامة العباد على أوضح الطرق بإنزال الكتاب والإرشاد إلى الصواب بالنظر إلى ما افتتحت به السورة الكريمة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾^(٣).

¹ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٥٠.

² - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٦٤.

³ - سورة الكهف: آية ١.

وفي سورة النصر ذكر أن الله - عز وجل - الأمر كله، ونسب إليه الفضل العميم بالنظر إلى ما اشتملت عليه السورة من نصر الله الذي ظهر به دينه ؛ فدخل الناس فيه أفواجا.

وفي سورة الإخلاص ذكر تجلى الله - عز وجل - بكمالاته في صفاته؛ لما في السورة من تنزيه الله - عز وجل - وتوحيد.

وهكذا في سائر السور ؛ فهذا هو منهج متبع للخطيب الشربيني في تفسير البسملة في كل سورة ، وهذا المنهج لم ينفرد به بين أهل التفسير بل سبقه إليه بعض المفسرين في تفاسيرهم؛ ومن انتهج هذا المنهج العلامة علي بن أحمد المهائمي^(١) المتوفى في سنة ٨٥٣هـ في تفسيره تبصير الرحمن وتيسير المنان لبعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، والإمام برهان الدين البقاعي المتوفى ٨٨٥هـ في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. وإن كانوا قد اختلفت أساليبهم في تفسير البسملة إلا أن القارئ لتفاسير الثلاثة يلمس أنهم جميعا اتفقوا في تفسير كل بسملة وفق موضوع السورة ومقاصدها؛ فالاختلاف لفظي حيث تنوعت تعبيراتهم فقط والمضمون واحد.

^١ - هو العلامة علي بن أحمد بن علي إبراهيم المهائمي الدكني الهندي ، الفقيه الشافعي ، الصوفي ، المشهور بالمخدوم علي المهائمي ولد عام ٧٧٦هـ وتوفي عام ٨٣٥هـ باحث ومفسر له مصنفات عربية نفيسة ؛ منها: زوارف اللطائف في شرح عوارف المعارف، وأدلة التوحيد ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٦٧.

منهج في بيان أسماء السور وفضلها

" قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان كسورة محمد - ﷺ - وتسمى سورة القتال، وقد يكون لها ثلاثة أسماء ؛ كسورة البقرة يقال لها الفسطاط والزهراء، وسورة المائدة وتسمى سورة العقود والمنقذ، وكسورة غافر والطول والمؤمن، وقد يكون لها أكثر من ذلك ؛ كسورة الفاتحة وسورة التوبة "(1)

وقد اهتم المفسرون ببيان أسماء السور في تفاسيرهم، ومنهم من اهتم ببيان حكمة تسمية السور بأسمائها، واختلفت مناهجهم وأساليبهم في ذلك ؛ فمن المناهج والأساليب المتبعة لبيان أسرار الأسماء المنهج التقليدي المباشر، وهو يبين الحكمة بطريقة تقليدية بسيطة حاصلها أن سبب التسمية هو مجرد ورود كلمة الاسم أو موضوعه في السورة ؛ كالزركشي، والفيروز آبادي والآلوسي، والشيخ الطاهر بن عاشور.

ومن المفسرين من تنبه إلى أن لتسمية السورة باسمها حكمة فوق مجرد تضمن السورة لذلك الاسم أو موضوع التسمية ؛ كالبقاعي والمهانمي.

والخطيب الشربيني في تفسيره الذي هو محل البحث اهتم ببيان أسماء السور، وبيان أسرار هذه الأسماء، وقد تتبع سور القرآن الكريم كلها في تفسيره "أربعة عشر ومائة سورة" فوجدته قد ذكر أسماء أخرى لتسعة عشر سورة، بعضها يذكر الأسماء الأخرى دون التعليق عليها، وبعضها يتلمس الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء ، أما باقي سور القرآن الكريم فقد وقف عند أسمائها المذكورة في المصحف الشريف ، ولم يبين الحكمة من هذه الأسماء وسأوضح ذلك بالأمثلة من تفسيره فيما يلي:

¹ - مستقى من الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ١١٦، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٢٦٩.

١- بيانه لأسماء السور دون التعليق عليها:

بعض السور القرآنية ذكر لها الخطيب الشربيني أسماء يذكر الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء :

● فيقول عند تفسيره لسورة النحل، "وتسمى سورة النعم" وبعد بيان المقصود من السورة يقول^(١): "ووسمها بالنعم واضح".

● ويقول في بداية سورة الإسراء^(٢): "سورة الإسراء وتسمى سبحان وبنو إسرائيل".

● وعند ذكره لاسم سورة غافر يقول^(٣): "سورة غافر (المؤمن) ثم يقول: وتسمى: سورة الطول وسورة غافر".

● ويقول عن سورة فصلت^(٤): "سورة حم فصلت".

● ويقول في سورة محمد^(٥): "سورة محمد ﷺ مكية وتسمى القتال والذين كفروا".

● ويذكر اسماً آخر لسورة القمر فيقول^(٦): "سورة القمر وتسمى اقتربت".

● ويقول قبل تفسيره لسورة النبا^(٧): "سورة عم يتساءلون وتسمى سورة النبا".

١ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣١٣.

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣٩٤.

٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٢٨٦.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٣٣٧.

٥ - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٣٥.

٦ - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢١٦.

٧ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٣١.

- ويذكر اسمًا آخر لسورة عبس فيقول^(١): " سورة عبس مكية وتسمى سورة السقرة ".
 - وقبل تفسيره لسورة الماعون يقول^(٢): " سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية ".
 - ويذكر اسمًا آخر لسورة الكوثر فيقول^(٣): " سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية ".
- وهكذا ذكر الخطيب الشربيني أكثر من اسم لعشر سور قرآنية عند تفسيرها ولم يبين أسرار هذه الأسماء.

٢- بيان أسرار الأسماء:

يلتقى الخطيب الشربيني مع المهائمي والبقاعي في إبراز حكمة تسمية السورة بما سميت به، فعند تفسيره لفاتحة الكتاب يذكر لها اثنا عشر اسمًا ويبين أسرارها فيقول^(٤): " وتسمى أمّ القرآن لأنها مفتّحة ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ؛ ولذلك تسمى أساساً ، أو لأنها تشتمل على ما فيه من التثاء على الله تعالى، والتعبد بأمره، ونهييه وبيان وعده ووعيده ، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء، وسورة الكنز؛ لأنها نزلت من كنز تحت العرش والوافية والكافية ؛ لأنها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها، والشافية والشفاء ؛ لقوله عليه الصلاة

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٥٦.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٣٨.

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٤٢.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٣.

والسلام: (هي شفاء لكل داء) ^(١) والسبع المثاني ؛ لأنها سبع آيات باتفاق، لكن من عدّ البسملة آية منها جعل السابق «صراط الذين» إلى آخرها، ومن لم يعدّها آية منها جعل السابعة «غير المغضوب عليهم» إلى آخرها، وسميت مثاني لأنها تنتهي في الصلاة أي: تكرر فيها بأن تقرأ في كل صلاة وفي كل ركعة وقول بعضهم تنتهي في كل ركعة فيه تجوز وهي مكية على قول الأكثر، وقال مجاهد: مدنية، وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة، ولذلك سميت مثاني، قال البغوي: والأول أصح، وقال البيضاوي: وقد صح أنها مكية بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] وهو مكى بالنص، انتهى. وأراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك عن ابن عباس وقول الصحابي في القرآن خصوصاً في النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها على ذلك، وسورة المناجاة، وسورة النفوذ، و فاتحة القرآن، وأم الكتاب، وسورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصوى وسورة السؤال والصلاة لخبر: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثني على عبدي، يقول العبد: مالك يوم الدين، يقول الله:

١ - أخرجه الدارمي في سننه - في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء ج ٢ ص ٣١٧ ح ٣٣٧٠ ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ج ٥ ص ٢٢٧ ح ١٤٧١٩ وقال: ضعيف؛ ينظر: جمع الجوامع - الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائد للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ - تخريج وتعليق وضبط: خالد عبد القادر شبل ط. دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. والعجلوني في كشف الخفاء ج ٢ ص ١٠٦ ح ١٨١٦ ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمفسر، المحدث ، الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، المتوفى ١٢٦٢ هـ ، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه : أحمد الفلاش ط. مؤسسة الرسالة - بيروت ، لبنان، الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

مجدنى عبدى، يقول العبد: إياك نعبد و إياك نستعين، يقول الله عز وجل: هذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله: فهؤلاء لعبدى، ولعبدى ما سأل^(١)؛ ولأنها جزؤها فهو من باب تسمية جزء الشيء باسم كله .

● ويقول فى بيان سر تسمية سورة البقرة بالقسطاط^(٢): " والقسطاط الخيمة، أو المدينة الجامعة سميت به السورة ؛ لاشتمالها على معظم أصول الدين وفروعه والإرشاد إلى كثير من مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة المعاد".

● ويقول فى بيان أسرار أسماء سورة التوبة^(٣): " ولها عدة أسماء: التوبة، براءة، المقشقة، البحوثة، المبعثرة، المنقرة، المثيرة، الحافرة، المخزية، الفاضحة، المنكلة، المشردة، المدممة، سورة العذاب، وإنما سميت بذلك ؛ لما فيها من التوبة للمؤمنين والمقشقة من النفاق وهى التبرؤ منه، والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحقر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمتم عليهم ."

^١ - أخرجه مسلم فى صحيحه - كتاب : الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة فى كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها جـ ١ ص ٣٠٧ ح ٣٩٥.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٠٤.

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٣٥٩.

● ويقول في بيان أسرار أسماء سورة يس^(١): " وتسمى أيضا: القلب والدافعة والقاضية والمعممة ؛ نعم صاحبها بخير الدارين، وتكف عنه كل سوء، وتقضى له كل حاجة ".

● ويقول في بيان أسماء سورة الرحمن وأسرارها^(٢): " سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن ؛ لأنها مجمع النعم والجمال والبهجة في نوعها والكمال ".

● وعند فراغه من تفسير سورة الإخلاص يذكر عشرين اسما لها، بعضها لا يبين أسرارها وبعضها الآخر يبين أسرار تسميتها بها فيقول^(٣): " ولها أسماء كثيرة، وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى، أحدها: أنها سورة التفريد، ثانيها: سورة التجريد، ثالثها: سورة التوحيد، رابعها: سورة الإخلاص، خامسها: سورة النجاة، سادسها: سورة الولاية، سابعها: سورة النسبة ؛ لقولهم: أنسب لنا ربك، ثامنها: سورة المعرفة، تاسعها: سورة الجمال، عاشرها: سورة المقشقة، حادي عشرها: سورة المعوذة، ثاني عشرها: سورة الصمد، ثالث عشرها: سورة الأساس ؛ قال أسست السموات السبع والأرضين على قل هو الله أحد، رابع عشرها: المانعة ؛ لأنها تمنع فتنة القبر ونفحات النار، خامس عشرها: سورة المحتضر ؛ لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت، سادس عشرها: المنفرة ؛ لأن الشياطين تنفر عند قرائتها، سابع عشرها: سورة البراءة ؛ لأنها براءة من الشرك، ثامن عشرها: المذكرة ؛ لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، تاسع عشرها: سورة

^١ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٩٠.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٢٣٨.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٦٧، ٤٦٨.

النور؛ لأنها تنور القلب المكمل للعشرين: سورة الإنسان؛ قال — ﷺ: (إذا قال العبد: الله، قال الله: دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي)^(١).

● وهكذا فعل الخطيب الشربيني في بيان أسرار أسماء سورة القصص والكافرون والنصر؛ فذكر أسماءها وأوضح الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء^(٢).

إتجاهه في بيان فضائل السور

اهتم الخطيب الشربيني ببيان فضل السورة عند تفسيرها؛ فالتقارء لتفسيره يجد في نهاية تفسيره لكل سورة يذكر ما ورد في فضلها، وينبه على الضعيف منه والموضوع كما يتضح من الأمثلة الآتية:

● في نهاية تفسيره لسورة البقرة يقول^(٣): "وروى عنه — ﷺ — أنه قال:

(أوتيت خواتيم البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتني نبي قبلي)^(٤). وروى عنه ﷺ أنه قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)^(٥) أي:

^١ - لم أقف على تخريجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث وكذا كتب التفسير.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ١٦٩، جـ ٨ ص ٤٤٧، ٤٥٠.

^٣ - السراج المنير: جـ ١ ص ٣٠٣، ٣٠٤ بتصريف.

^٤ - أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب: فضائل القرآن، باب: أخبار في فضل سورة البقرة جـ ١ ص 751 ح ٢٠٦٧ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان - باب: في تعظيم القرآن، فصل في فضائل السور والآيات جـ ٢ ص ٤٦١ ح ٢٤٠٤، والحديث صحيح رجاله ثقات.

^٥ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: المغازي، باب رقم ١٢ يُدون ترجمة، وكتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، باب: من لم يقرأ بأساً لن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا؛ ينظر فتح الباري جـ ١١ ص ٤٥٤ ح ٤٠٠٨، جـ ١٤ ص ٢٤١ ح ٥٠٠٩، جـ ١٤ ص ٢٨١ ح ٥٠٤٠، يؤسّم في صحيحه -

عن قيام الليل أو عن كل ما يسوءه. كما قال عليه الصلاة والسلام: (السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها، فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل: وما البطلة؟ قال: السحرة)^(١) أي: أنهم مع حذقهم لا يوفقون لتعليمها أو التأمل في معانيها أو العمل بما فيها، وروى عنه ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بإلفي عام فأنزله منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فلا يقربها شيطان)^(٢).

● كما ذكر فضل سورة الواقعة بعد فراغه من تفسيرها فقال^(٣): "وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)^(٤) هذا

- كتاب: صلاة المسافرين ، باب : فضل الفاتحة و خواتم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة جـ ١ ص ٥٧٦ ح ٨٠٧.

١ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة جـ ١ ص ٥٧٤، ٥٧٥ ح ٨٠٤.

٢ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء في آخر سورة البقرة جـ ٥ ص ٩ برقم (٢٨٨٢) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب، وأدركه في سننه - كتاب : فضائل القرآن ، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي جـ ٢ ص ٣٢٢ برقم (٣٣٨٧).

٣ - ينظر : السراج المنير جـ ٧ ص ٣٠٣، ٣٠٤.

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : الدعوات، باب: فضل التسبيح، وكتاب : الإيمان والنور، باب: إذا قال والله لا أكلم اليوم فصلي أو اقرأ أو سبح أو كنز أو حمد أو هال فهو على نيته، وكتاب : التوحيد ، باب: قول الله تعالى "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " ، ويختتم به الإمام البخاري صحيحه فهو آخر حديث ؛ ينظر فتح الباري جـ ١٧ ص ١٥٤ ح ٦٤٠٦، جـ ١٧ ص ٥٩٧ ح ٦٦٨٢، جـ ١٩ ص ٦٢٤ - ٦٢٦ ح ٧٥٦٣، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب : الذكر والدعاء ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء جـ ٤ ص ٣٧٧ ح ٢٦٩٤.

الحديث آخر حديث في البخاري ، وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة) ^(١)، وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً) ^(٢).

● وكذلك في تفسيره لسورة الإخلاص يذكر عدة روايات في فضلها إذ يقول ^(٣): " وروى في فضائل هذه السورة أحاديث كثيرة منها ما روى عن البخاري عن أبي سعيد الخدري: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد^٤ يرددناها فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل ينقلها فقال له رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) ^(٤) فإن قيل: لم كانت تعدل ثلث القرآن؟ أجيب بأن القرآن أنزل أثلاثاً ثلث أحكام، وثلث وعد و وعيد، وثلث أسماء وصفات فجمعت هذه السورة أحد الأثلاث، وهو الأسماء والصفات. وقيل إنها تعدل القرآن كله مع قصر متنها وتقارب

^١ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب: الدعوات، باب: ترفع ٦٠ بدون ترجمة - ص 333 ح ٣٤٦٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر - ج ١ ص ٦٨٠ ح ١٨٤٧ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح على شرط مسلم.

^٢ - أخرجه ابن السني في 'عمل اليوم والليلة لأبي بكر السني ٣٦٤ هـ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط. مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، باب: ما يستحب أن يقرأ في اليوم والليلة ص ٢٥٢ ح ٦٨٥، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان - باب: في تعظيم القرآن، فصل في فضائل السور والآيات، ج ٢ ص ٤٩١، ٤٩٢ ح ٢٤٩٩.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٤٦٦، ٤٦٧.

^٤ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل قل هو الله أحد^٤ ينظر: فتح الباري ج ١٤ ص ٢٤٦ ح ٥٠١٣.

طرفيها، وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعذله وتوحيده، وكفى بذلك دليلاً لمن اعترف بفضلها.

ومنها ما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ في صلاتهم فيختم بـ"قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال ﷺ: أخبروه أن الله تعالى يحبه)^(١).

ومنها ما رواه الترمذى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقرأ "قل هو الله أحد" فقال ﷺ: (وجب قلت؛ ما وجبت؟ قال: الجنة)^(٢).

ومنها ما روى أنس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" خمسين مرة غفرت ذنوبه)^(٣).

ومنها ما روى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: (من قرأ "قل هو الله أحد" عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة

١ - أخرجه البخارى في صحيحه - كتاب : التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ؛ ينظر : فتح البارى جـ ١٩ ص ٤٠٥ ح ٧٣٧٥ .

٢ - أخرجه الترمذى في سننه - كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء في سورة الإخلاص جـ ٥ ص ١٦ ح ٢٨٩٧ وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن أنس ، وأخرجه النسائى في سننه - كتاب : الإفتاح ، باب : الفضل في قراءة قل هو الله أحد جـ ١ ص ٦٥١ ، ٦٥٢ ح ٩٩٣ .

٣ - أخرجه الدارامى في سننه - بلفظ (غفر الله له ذنوب خمسين سنة) كتاب : فضائل القرآن ، باب : في فضل قل هو الله أحد جـ ٢ ص ٣٣٥ ح ٣٤٣٨ ، وأورده ابن كثير في تفسيره سورة الإخلاص جـ ٤ ص 568 وقال : ضعيف .

بنى الله له قصرين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة، فقال عمر إذا تكثرت قصورنا فقال ﷺ: أوسع من ذلك^(١).

ومنها ما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح انتفى عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى)^(٢) وروى أنه ﷺ قال: (من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة)^(٣).

وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفي هذا القدر كفاية لأولى الألباب.

^١ - أخرجه الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل قل هو الله أحد جـ ٢ ص 332 ح ٣٤٢٩ بلفظ أحد عشر مرات ، وأخرجه أحمد بنحوه في مسند معاذ ابن أنس الجهني جـ ١٢ ص 248 ح 15547 ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ٢٠ ص ١٨٣-١٨٤ بنفس رواية أحمد ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٤٥ ونسبه إلى أحمد والطبراني وفي إسنادهما رشدين بن سعد وزبان وكلاهما ضعيف.

^٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد ونسبه إلى الطبراني في الصغير.

^٣ - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط باب من اسمه محمد بن عبد الله الحصري جـ ٦ ص ١١٤ - ١١٥ ح ٥٧٥٨ ينظر: المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ - ٣٦٠ هـ ، حققه وخرجه وفهرسه : أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ن ط. دار الحديث - القاهرة ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد جـ ٧ ص ٤٥ ونسبه إلى الطبراني في الأوسط وفيه نصرتين حماد الوراق وهو متروك ، وأورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور سورة الإخلاص جـ ٦ ص ٧٠٧ ، ونسبه إلى الطبراني وأبو نعيم في الحلية بسند ضعيف.

وقد لا يكتفى الخطيب الشربيني بذكر ما ورد من روايات معتمدة عند علماء السنة في فضائل السور بل يتبع ذلك بـرد ما ورد من الروايات الضعيفة أو الموضوعية خاصة التي أوردتها الزمخشري والبعضاوي في تفسيريهما ومن أمثلة ذلك:

● عند فراغه من تفسير سورة آل عمران يقول^(١): "وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه ﷺ قال: (من قرأ آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم)^(٢) فهو من الأحاديث الموضوعية على أبي كعب في فضائل السور فلينتبه لذلك ويحذر منه ، وقد نبه أئمة الحديث قديماً وحديثاً على ذلك وعابوا على من أوردته من المفسرين في تفاسيرهم ".

١ - ينظر السراج المنير: ج ١ ص ٤٣٣ -

٢ - أوردته ابن الجوزي في الموضوعات في أبواب تتعلق بالقرآن ، باب في فضائل السور من حديث أبي بن كعب ج ١ ص ٢٣٩ وقال: "هذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك ، وفي إسناد الطريق الأول بديع وهو منزوك ، وفي الطريق الثاني مغلط بن عبد الواحد قال ابن حبان : منكر الحديث جداً يفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات ، وقد اتفق بديع ومغلط على رواية هذا الحديث عن علي بن زيد ، وقد قال أحمد ويحيى : على ابن زيد ليس بشيء . وبعد هذا فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استغنى السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله ﷺ ، وأوردته السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية ، باب: فضائل القرآن ج ١ ص ٢٢٧ وقال : " وقد فرق هذا الحديث أبو اسحق الثعلبي في تفسيره وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أهل الحديث وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود في كتابه الذي صنعه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محاك مصنوع بلا شك " ، وقال الشوكاني : " ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث ابن كعب هذا موضوع وقد اعتر به جماعة من المفسرين فذكروه في تفاسيرهم كالثعلبي والواحدي والزمخشري ولا جرم فليسوا من أهل هذا الشأن " ؛ ينظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعية لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المنوفي سنة ١٢٥٠ هـ ، تحقيق: رضوان جامع رضوان ، ط مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة ، الرياض - الثانية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ج ٢ ص ٣٨٠ .

● وفي آخر سورة المائدة يقول^(١): "وقول البيضاوي^(٢) عن النبي ﷺ: (من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحبت عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني ينتفس في الدنيا)^(٣) حديث موضوع "

● وكذلك في تفسيره لسورة الأعراف يرد الحديث الموضوع الذي رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري فيقول^(٤): " والحديث الذي ذكره البيضاوي تبعاً للزمخشري وهو : (من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شقيعاً له يوم القيامة)^(٥) حديث موضوع ."

● وكذلك في نهاية تفسيره لسورة التوبة يرد الحديث الموضوع في فضلها الذي رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري فيقول^(٦): " روى أبي بن كعب قال : آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان : ' لقد جاءكم رسول من أنفسكم ' إلى آخر السورة ، وما رواه البيضاوي رحمه الله تعالى تبعاً للكشاف من أنه ﷺ قال: (ما أنزل على القرآن إلا آية وآية وحرفاً حرفاً ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة)^(٧) حديث منكر ومخالف لما مر عن أبي من أن آخر ما نزل الآيتان ."

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٩٣ .

^٢ - ينظر: الكشاف جـ ١ ص ٦٥٩ ، حاشية زادة على البيضاوي جـ ٣ ص ٦١٨، ٦١٩ .

^٣ - سبق تخريجه في حديث أبي بن كعب ص ١٤١ .

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٣٠٦ .

^٥ - سبق تخريجه في حديث أبي بن كعب ص ١٤١ .

^٦ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٤٧١ .

^٧ - سبق تخريجه في حديث أبي بن كعب ص ١٤١ .

● وكذلك عندما ينتهي من تفسير سورة النمل يذكر ما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من حديث موضوع فيقول^(١): "وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري^(٢) من أن: (من قرأ طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله) فحديث موضوع"^(٣)

وهكذا تتبع الخطيب الشربيني ما أورده البيضاوي والزمخشري من روايات ضعيفة وموضوعة في فضائل سورة الأنعام والممتحنة و الصف والطلاق والقارة وغيرها من السور الكريمة^(٤).

هذا هو منهج الخطيب الشربيني الذي اتبعه في بيان فضائل السور عند تفسيرها إذ يذكر الروايات المعتمدة في كتب السنة، ويرد غيرها من الروايات الضعيفة والموضوعة، خاصة ما أورده البيضاوي تبعاً للزمخشري، فلم يترك الخطيب الشربيني رواية ضعيفة أو موضوعة ذكرها في تفسيريهما في فضائل السور إلا ونبه عليها عند تناوله لتفسير كل سورة من سور القرآن الكريم.

^١ - ينظر: السراج المنير: ج ٥ ص ١٧٨.

^٢ - ينظر: الكشاف ج ٣ ص ١٦٤ وحاشية زائدة على البيضاوي ج ٢٥ و ٤٢٦.

^٣ - سبق تخريجه في حديث أبي بن كعب ص ١٤١.

^٤ - ينظر: السراج المنير: ج ١ ص ٥٤٩ ، ج ٢ ص ٣٥٨ ، ج ٣ ص ٦٢ ، ٢٧٣، ٣٢٣، ٣٦٤ ، ٢١٤ ، ١٤٦ ص ٤٩٥ ، ٣٩٣، ٣١٢، ١٢٧، ٢٠٨، ٢٤٣، ٢٨٠ ، ٤٨٤ ، ج ٥ ص ٦٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٣، ٢٥٨، ٢٨٨، ٣٩٨، ، ج ٦ ص ٨٩، ١٣٨ ، ١٨٦، ٢٣٣ ، ٢٨٥، ٣٣٦، ٣٧٢، ٤١٠، ٤٤٨، ٤٨٧، ، ج ٧ ص ١١٦، ٣٤٠، ٥٨٠، ٩٠، ١٤١، ١٧٦ ، ١٨٥، ١٩٠، ٤٢٠، ٤٠٩، ٣٨٩، ٣٥٧، ٣٣٠، ٢٧١، ٢٣٧، ٢١٥، ٤٣٨ ، ٤٨٧، ، ج ٨ ص ٢٤ ، ١٨٣، ١٦١، ١٣٩، ١١٨، ٤٠، ٩١، ٩٦، ١٩٦، ٢٧٥، ٢٥٥، ٢٤٢، ٢٣٠، ٢١٩، ٢٨٠ ، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٤٨ ، ٣٥٤، ٣٦٠ ، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٨، ٤٠٧، ٣٩٦، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٣٢، ٤٤١ ، ٤٤٩، ٤٧٤.

رأيه في فواتح السور المفتحة بحروف الهجاء

تناول الخطيب الشربيني تفسير الأحرف المقطعة في أوائل السور في بداية تفسيره لسورة البقرة.

وقد ذكر آراء العلماء فيها دون ترجيح رأى على آخر، فلم أجده ذكر لنفسه رأياً في شأن هذه الأحرف ؛ ويتضح ذلك مما أورده في تفسير قوله - تعالى -: ﴿الم﴾ سورة البقرة ؛ إذ يقول^(١) : " ألم " وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، وهو سرّ القرآن ؛ فنحن نؤمن بظواهرها ونكل العلم فيها إلى الله - سبحانه وتعالى - ، وفائدة ذكره طلب الإيمان بها والسبب في ذلك - أن العقول الضعيفة لا تحتل الأسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش ، والله - تعالى - استأثر بعلم لا تقدر عليه عقول الأنبياء ، والأنبيا استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء ، والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة ، وقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - : في كل كتاب سرّ ، وسرّ الله في القرآن أوائل السور . وقال عليّ رضي الله عنه^(٢) : إن لكل كتاب صفة ، وصفة هذا الكتاب حروف التهجي . قال داود بن أبي هند : كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور ؛ فقال^(٣) : يا داود إن لكل كتاب سرّاً وإن سرّ القرآن فواتح السور ؛ فدعها واسأل عما سوى ذلك . وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنه قال^(٤) : معنى " ألم " أنا الله أعلم ، ومعنى " الر "

^١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٨ .

^٢ - لم أقف على تخرجه فيما اطلعت عليه من كتب الحديث الضعيف منها والصحيح ، وكذا كتب التفسير .

^٣ - أورده السيوطي في تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، سورة البقرة ج ١ ص ٥٦ ، ونسبه إلى ابن المنذر وأبي الشيخ بن حبان .

^٤ - أخرجه ابن أبي حاتم في " تفسير القرآن العظيم مستنداً عن رسول الله عن ابن عباس ج ١ ص ٣٢ ح ٤٣ ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ج ١ ص ٦٧ عن ابن عباس .

[يونس : ١] أنا الله أرى، ومعنى 'المر' [الرعد: ١] أنا الله أعلم وأرى ؛ قال الزجاج^(١) : وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدونها ؛ كقولهم : قلت لها قفى فقالت : قاف ؛ أى : وقفت. وقيل : هى أسماء السور ، وعليه إطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل وسيبويه ؛ سميت بها إشعاراً بأنها كلمات معروفة التركيب ، فلو لم تكن وحياً من الله - تعالى - لم تتساقط قدرتهم عند معارضتها ؛ ونقضه الإمام الرازى بأنها لو كانت اسماً لها لوجب اشتهاؤها بها ، وقد اشتهرت بغيرها ؛ كسورة البقرة وآل عمران^(٢) . وقيل : أسماء للقرآن قاله قتادة^(٣) "

ثم يبين الحكمة من الإتيان بهذه الأحرف الثلاثة فى أول سورة البقرة ؛ فيقول^(٤) : " والحكمة فى الإتيان بهذه الأحرف الثلاثة أن الألف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج ، واللام من طرف اللسان وهو وسطها ، والميم من الشفة وهى آخرها ، جمع الله - تعالى - بينها ؛ إيماء إلى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله - تعالى - ولما تكاثرت وقوع الألف واللام فى تراكيب الكلام جاءت فى معظم الفوائج مكررتين ؛ وهى فوائج سورة البقرة ، وأول آل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة "

^١ - ينظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج ١ ص ٦٣ .

^٢ - ينظر : مفاتيح الغيب للرازى ج ٢ ص ٩ .

^٣ - أخرجه عبد الرزاق فى تفسير القرآن العزيز المسمى بتفسير عبد الرزاق للإمام أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعائى ، ١٣٦ - ٢١١ هـ ، تحقيق : عبد المعطى أمين قلجى ، ط. دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ج ١ ص ٦٢ ح ١٥ قال : حدثنا معمر عن قتادة فى قوله - تعالى - : 'الم' قال : اسم من أسماء القرآن ، وهذا الأكثر صحيح ، رجاله ثقات حفاظ .

^٤ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٣٨ ، ٣٩ .

ثم يطرح بعض المسائل المتعلقة بهذه الأحرف ويبين رأيه فيها:

المسألة الأولى:

تتعلق بعددها وعلّة تفريقها على السور؛ فيقول^(١): " فإن قيل: هلا عدت هذه الأحرف بأجمعها في أوائل القرآن ومالها جاءت مفارقة على السور - أجيب: بأن إعادة التنبيه على أنّ المتحدّى به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقرّ له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة ، وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن ؛ فمطلوب به تمكين المكرّر في النفوس وتقريره "

المسألة الثانية:

تتعلق باختلاف بنيتها بين فواتح السور؛ فيقول^(٢): " فإن قيل: هلا جاءت على وتيرة واحدة ، ولم تختلفت أعداد حروفها فوردت ﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿ن﴾ على حرف، و﴿طه﴾ و﴿طس﴾ و﴿يس﴾ و﴿حم﴾ على حرفين، و﴿الم﴾ و﴿الر﴾ و﴿طسم﴾ على ثلاثة أحرف، و﴿المص﴾ و﴿المر﴾ على أربعة أحرف، و﴿كهيعص﴾ و﴿حمصق﴾ على خمسة أحرف؟ أجيب: بأنّ هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدّة ، وكما أن أبنية^(٣) كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك ؛ سلك بهذه الفواتح تلك المسالك "

المسألة الثالثة:

تتعلق بوجه اختصاص كل سورة بما افتتحت به فيقول^(٤): " فإن قيل: ما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها؟ أجيب: بأنه لما كان

^١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٩ .

^٢ - المرجع السابق ذاته.

^٣ - المقصود الأبنية المجردة ؛ مثل سفرجل.

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٩ .

الغرض هو التنبيه والمباذء كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً كما إذا سمي الرجل بعض أولاده زيداً والآخر عمراً لم يقل له: لم خصصت ولذك هذا يزيد وذاك يعمر؟ لأن الغرض هو التمييز، وهو حاصل بذلك "

المسألة الرابعة:

تتعلق بإعرابها ؛ إذ يعرض الآراء في إعرابها ؛ فيقول^(١): " فإن قيل: هل لهذه الفواتح محل من الإعراب؟ أجيب: بأن لها محلاً عند من جعلها أسماء؛ لأنها عنده كسائر الأعلام محلها يحتمل ثلاثة أوجه: إما الرفع بأنها مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف ؛ أي: هذه ألم، أو النصب بفعل مقدر؛ كما ذكر ، أو اقراء، أو اتل ألم، أو الجرّ بتقدير حذف حرف القسم "

واختار الخطيب الشربيني رأى ابن عادل في حكمة عدم العلم بفائدتها؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ ظَهْرِكُمْ﴾ يقول^(٢): " قال ابن عادل^(٣) : في ذكر هذه الحروف أوائل السور أمور تدل على أنها غير خالية من الحكمة، لكن علم الإنسان لا يصل إليها، والذي يدل على أنها فيها حكمة هو

^١ - ينظر السراج المنير : ج ١ ص ٣٩ .

^٢ - سورة يس: آية ١ .

^٣ - السراج المنير: ج ٦ ص ٩٠، ٩١ باختصار .

^٤ - هو عمر بن علي بن عادل الدمشقي ، سراج الدين: من علماء القرن التاسع الهجري برع في علوم كثيرة أهمها التفسير ، صاحب التفسير الكبير اللباب في علوم الكتاب وحائثه على المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لم تحفظ كتب الأعلام تاريخ وفاته ولا مولده ، وقيل أنه توفي بعد سنة ٨٨٠ هـ ؛ لأنه كتب في آخر سورة طه أنه قرأ من تفسيره في ١٥ رمضان ٨٨٠ هـ ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض ج ١ ص ٣٩٨ .

^٥ - ينظر: تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل - ط دار صادر بيروت ، الأولى، ج ١٢ ص ١٦٦، ١٦٥ .

أن الله - عز وجل - ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفاً ، نصف ثمانية وعشرين حرفاً هي جميع الحروف التي في لسان العرب ؛ على قولنا: الهمزة ألف متحركة ، ثم إن الله - تعالى - قسم الحروف ثلاثة أقسام؛ تسعة أحرف من الألف إلى الذال، والتسعة الأخيرة من الفاء إلى الياء، وعشرة في الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حرفين الألف والحاء، وترك سبعة، وترك من القسم الأخير حرفين هما الألف واللام، وذكر سبعة، و لم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والصدر إلا واحداً لم يذكره وهو الخاء، ولم يذكر من القسم الأخير من حروف الشفة إلا واحداً لم يتركه وهو الميم ، والعشر الأوسط ذكر منه حرفاً وترك حرفاً ؛ فترك الزاي وذكر الراء، وذكر السين وترك الشين ، وذكر الصاد وترك الضاد، وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين، وليس لها أمر يقع اتفاقاً بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة لكنها غير معلومة

فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية يجب أن يكون ما لم يفهم معناه إذا تكلم به العبد - علم أنه لا يعقل غير الانقياد لأمر المعبود الإلهي ؛ فإذا قال: حم طس ، يس - علم أنه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه، بل يتلفظ به امتثالاً لما أمر به، انتهى كلام ابن عادل بحروفه، وهو كلام دقيق "

هذا هو منهج الخطيب الشربيني في تفسير الأحرف المقطعة في أوائل السور؛ فقد تناولها بالتفصيل عند تفسيره لسورة البقرة وذكر آراء العلماء فيها، وأحال على سورة البقرة عند تفسيره لباقي السور المفتوحة بالأحرف مع تفصيل ما يحتاج إلى إضافة ، مستنداً في كل ذلك إلى آراء العلماء ممن سبقوه.

منهجه فى بيان المناسبات بين السور والآيات

من أهم العلوم التى اشتغل بها المفسرون البحث عن المناسبات بين آيات القرآن وسوره، والتماس العلاقات التى توضح حسن تناسقه ووحدة بنائه.

" يقول الرازى: أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط، وقال ابن العربى: ارتباط أى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كله كالكمة الواحدة منسقة المعانى، منتظمة المبانى - علم عظيم" (١)

" وقد اشترط الذهبى فى المنهج الذى يجب على المفسر أن ينهجه فى تفسيره، مراعاة التناسب بين الآيات والسور، فبين وجه المناسبة، ويربط بين السابق واللاحق من الآيات، حتى يوضح أن القرآن لا تفكك فيه، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بخجر بعض، وأن يراعى التأليف والغرض الذى سيق له الكلام والمؤاخاة بين المفردات" (٢)

آراء العلماء فى الاشتغال ببيانها وأهميته:

اختلفت آراء العلماء فى مسألة مناسبات القرآن؛ فقد ترك جمهور المفسرين الكلام على أسرار المناسبات والربط بين الآيات وخاصة من اعتمد منهم فى تفسيره على النقل عن الصحابة والتابعين؛ لأن السلف اقتصروا على النقل بالسند، ولم ينقل عنهم شيء من هذا العلم.

فتجددهم يُعْتَوَّن بإظهار المعنى دون تعرض لعلل أو مناسبة السور والآيات بعضها ببعض، وبعض المفسرين عارضوا الاشتغال بهذا العلم فى التفسير واعتبروه تكلفاً.

١ - يراجع: الإتيان للسيوطى ج ٢ ص ٢٣٤، والبرهان للزركشى ج ١ ص ٣٥.

٢ - التفسير: والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢٨٦ بتصريف.

ومن أبرز العلماء الذين عارضوا البحث في المناسبات وأعلنوا رأيهم بوضوح الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) الذي قال : " المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض "

وقد رد بعض الشيوخ المحققين فقالوا :

قد وهم من قال: لا يطلب لآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استغنى في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم ينل كما أفنى، ولا كما نزل مفرقاً؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر؛ فإنه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٢). قال: والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة. ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم؛ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له^(٣).

^١ - هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب عز الدين، أبو محمد الملقب الشافعي الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة ٥٧٧هـ - برع في العربية ، وبلغ رتبة الاجتهاد، كان زاهداً ناسكاً متقشفاً من كتبه تفسير القرآن ، ومختصر مسلم، والفتاوى المجموعة ، والإمام في أدلة الأحكام، توفي سنة ٦٦٠هـ - ينظر طبقات المفسرين للداودي ج ١ ص ٣٢٣: ٣٠٨.

^٢ - سورة هود : آية ١.

^٣ - ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٣٧.

وقد اهتم عدد قليل من المفسرين بالبحث عن المناسبات وأسرارها في تفسيرهم القرآن الكريم.

ومنهم من أفرد لها تصنيفاً كالعلامة أبي جعفر بن الزبير^(١) شيخ أبي حيان الذي جمع كتاباً سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، ونهج نهجه السيوطي^(٢) الذي أفرد لها تصنيفاً سماه (تناسق الدرر في تناسب السور)، والشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور).

ومن المفسرين من بذل جهده في إبراز تلك المناسبات من خلال تفسيره للقرآن، فاشتهر الرازي يذكر كثير من المناسبات في تفسيره، وكذلك أكثر أبو حيان من ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره في تفسيره البحر المحيط، ولعله في هذا تأثر بشيخه (أبي جعفر بن الزبير)؛ فقد نقل عنه كثيراً من المناسبات، واهتم الإمام النيسابوري^(٣) في تفسيره (غرائب

^١ - هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين النقيّ العاصميّ الجبليّ المولد الغرناطيّ المنشأ، أبو جعفر، كان محدثاً جليلاً ماهراً، نحويّاً فصيحاً موهوباً بحسن الخط، مقرئاً، مفسراً، مؤرخاً، من كتبه البرهان في ترتيب سور القرآن، وشرح الإشارة للناجي في الأصول، وسبيل الرشاد في فضل الجهاد، ولد سنة ٦٢٧ هـ ومات سنة ٧٠٨ هـ، ينظر طبقات المفسرين للدودي ج ١ ص ٢٦، ٢٧.

^٢ - هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخصيري السيوطي، جلال الدين، إمام، حافظ، مؤرخ، محدث، مفسر، أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف منها الإتيان في علوم القرآن، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، والنقول في أسباب النزول، ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ، ينظر معجم المفسرين لعادل نويهض ج ١ ص ٢٦٤.

^٣ - هو الحسن بن محمد بن الحسين القميّ النيسابوريّ نظام الدين، ويقال له الأعرج، مفسر، من كبار علماء الشيعة الإمامية في عصره، أصله من مدينة قم ونشأ وأقام -

القرآن ورغائب الفرقان) وهو أول من أظهر علم المناسبات في بغداد ، وكان إذا قرئت عليه الآية يقول: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة، واعتنى الشيخ المهابتي ببيان المناسبات في تفسيره " تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن".

والخطيب الشربيني اهتم ببيان المناسبات، فالمطالع لتفسيره يلحظ عنايه الفائقة بإبراز المناسبات، وحرصه على إبراز الوحدة بين أجزاء القرآن الكريم ككتاب سماوي. فعادته الربط بين الآية والآية، بل بين أجزاء الآية الواحدة ببيان العلل والأسباب والمقاصد والحكم، فهي سمة غالبية على ربطه بين أجزاء الآية والسورة ، ويتضح ذلك من اتجاهاته التي استخلصها من كتابه "السراج المنير" والتي أعرضها فيما يلي بالأمثلة:

١. بيان المناسبات بين فواتح السور وخواتيمها.

٢. بيان المناسبات بين الآيات.

٣. بيان مناسبات الكلمات داخل الآية الواحدة.

٤. بيان مناسبة مطلع السورة لخاتمها.

١ - بيان المناسبات بين فواتح السور وخواتيمها:

عنى الخطيب الشربيني ببيان ما يتعقد من المناسبات بين سور القرآن، وإظهار العلاقة الوثيقة بين كل سورة وأخرى حتى تبدو للمتأمل وكأن القرآن

سفي نيمابور ، من كتبه: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ولب التأويل ، وأوقاف القرآن ، توفي بعد سنة ٨٥٠هـ ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويهض ج ١ ص ١٤٥.

وحدة متكاملة ، فنجده قد عني ببيان مناسبة فاتحة السورة بخاتمة ما قبلها أو خاتمة السورة بفاتحة ما بعدها ، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● فعند تفسيره لسورة الأنبياء يبين مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة الحج فيقول^(١) : "ولما ختمت السورة التي قبل هذه بالترهيب من الفرع الأكبر وطى السماء وإتيان ما يوعدون ، وكان أعظم ذلك يوم الدين افتتحت هذه السورة بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) ."

● ويقول عن مناسبة فاتحة سورة سبأ لخاتمة الأحزاب قبلها^(٣) : "ولما ختم السورة التي قبل هذه بصفى المغفرة والرحمة بدأ هذه بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٤) ."

● وعن مناسبة خاتمتها لفاتحة سورة فاطر بعدها يقول^(٥) : "ولما أثبت سبحانه في التي قبلها "الحشر" الذي هو الإيجاد الثاني، وكان الحمد يكون بالمنع والإعدام كما يكون بالإعطاء والإنعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٦) ."

١ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٢٧٤.

٢ - سورة الحج : آية ١.

٣ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٥.

٤ - سورة سبأ : آية ١.

٥ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٥٢.

٦ - سورة فاطر : آية ١.

● ويبين علاقة فاتحة سورة الواقعة بخاتمة سورة الرحمن قبلها فيقول^(١): "ولما قسم سبحانه الناس في تلك السورة إلى ثلاثة أصناف: مجرمين ، وسابقين ، ولاحقين ؛ شرح أحوالهم في هذه السورة ، ويبين الوقت الذي يظهر فيه إكرامه وانتقامه بقوله - تعالى - : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾^(٢) .

● ثم يبين مناسبة خاتمها لفاتحة سورة الحديد بعدها فيقول^(٣): "ولما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه فقال تعالى: ﴿ سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤) " .

● وأيضاً يبين مناسبة فاتحة سورة الحشر لخاتمة سورة المجادلة قبلها فيقول^(٥): "ولما ختمت المجادلة بأنه يعز أهل طاعته وينزل أهل معصيته تنزهه عن النقائص تأييداً للوعد بنصرهم فقال تعالى: ﴿ سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٦) " .

● وأيضاً يبين مناسبة فاتحة سورة القارعة لخاتمة سورة العاديات قبلها فيقول^(٧): "ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحاته بقوله - تعالى-: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾^(٨) " .

١ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٢٧١ .

٢ - سورة الواقعة : آية ١ .

٣ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٣٠٥ .

٤ - سورة الحديد : آية ١ .

٥ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٣٥٨ .

٦ - سورة الحشر : آية ١ .

٧ - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢١٤ .

٨ - سورة القارعة : آية ١ .

٢ - بيان المناسبات بين الآيات:

حرص الخطيب الشربيني في تفسيره على بيان المناسبات بين الآيات على الترتيب في السور القرآنية ؛ فلا يكاد يترك آية إلا و يبين وجه مجيئها بعد أختها حتى يبرز السورة القرآنية وكأنها عقد أحكم وصل حباته ببعضها لتصير في النهاية وحدة متكاملة، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● عند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾^(١) يقول^(٢) : " ولما كان في تلك الحالة مع وصوله إلى الغرغرة ليس على القطع من اليأس قال: ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ ﴾^(٣) ثم يشرع في تفسير الآية بعد أن بين مناسبتها لما قبلها .

● وأيضا بعد تفسيره لقوله - تعالى - ﴿ قُلْ يَتُوبَافَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾^(٤) يربطها بالآية بعدها فيقول^(٥) : " ولما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه ولا لبس شرع في بعض أحواله بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾^(٦) .

● وكذلك يبين المناسبة بين قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ ﴾^(٧) والآية التالية لها ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

١ - سورة المؤمنون : آية ٩٩ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٥٩

٣ - سورة المؤمنون : جزء من آية ١٠٠ .

٤ - سورة السجدة : آية ١١ .

٥ - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٢٩٧ .

٦ - سورة السجدة : آية ١٢ .

٧ - سورة محمد : آية ١ .

وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ^(١) فقال^(٢): " ولما ذكر- تعالى - أهل الكفر معبراً عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم، ذكر أصدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾".

هذا هو منهج الخطيب الشربيني في تفسيره بحرص على بيان المناسبة بين الآيات على الترتيب في السورة القرآنية، ولأن المجال لا يتسع لعرض سورة كاملة ليتضح كيف حرصه على بيان مناسبة كل آية قبل أختها فقد اخترت سورة النصر لتوضيح ربطه بين آياتها؛ فعند انتهائه من تفسير الآية الأولى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٣) يبين مناسبة الآية الثانية فيقول^(٤): "ولما عثر عن المعنى بالمجىء ، وعثر عن المرئى بالروية فقال - تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ﴾"^(٥) ثم يربط الآيتين بالثالثة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٦) فيقول^(٧): " ولما كمل الدين أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشتغل بنفسه فقال عز من قائل ﴿فَسَبِّحْ﴾".

بيان مناسبة الكلمات داخل السورة الواحدة:

القارئ لتفسير الخطيب الشربيني يلحظ عنايته ببيان مناسبة الكلمات وعلاقتها ببعضها داخل الآية الواحدة ؛ فهو يوضح السر في مجيء الكلمة على النحو الذي أتت به ، ويبين أنها لو لم تكن هكذا لما أفادت هذا المعنى،

١ - سورة محمد : آية ٢.

٢ - ينظر: السراج المميز ج٧ ص ٣٥.

٣ - سورة النصر : آية ١.

٤ - ينظر: السراج المميز ج٨ ص ٤٥١.

٥ - سورة النصر : جزء من آية ٢.

٥ - سورة النصر : آية ٣.

٧ - ينظر: السراج المميز ج٨ ص ٤٥٣.

أو لم أتى بها هكذا، أو ينتهى إلى أن نفاسة المعنى اقتضت مجيئها على هذا النحو، ويتضح ذلك من خلال النماذج الآتية:

● فعندما ينتهى من تفسير الآيتين الكريمتين ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾^(١) و ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) يقول^(٣): "فإن قيل: لم عبّر في هذه الآية بـ "لا يعلمون" وفي التي قبلها بـ "لا يشعرون"؟ أجيب بأن التعبير بـ "لا يعلمون" أكثر مطابقة لذكر السفه؛ لأن السفه جهل فطابقه العلم، ولأن أمر الإيمان أخروى يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبّر في الآية التي اشتملت عليه بـ "لا يعلمون"، وأمر البغى والفساد دنيوى فهو كالمحسوس لا يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبّر في الآية التي اشتملت عليه بـ "لا يشعرون"."

● وعند تفسيره للآية الكريمة ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَفْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٤) بعد انتهائه من تفسير قوله - تعالى -: ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يبين مناسبة ما بعدها ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ فيقول^(٥): "ولما كان المقصود للقرب إنما هو تنبيه ما يمكن مشاهدتهم له من العالم قال تعالى ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾".

● وأيضاً عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَمُنْبُحَانِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾^(٦) يقول^(٧): "ولما كان التقدير فمنه بيدهون عطف عليه

١ - سورة البقرة : آية ١٢.

٢ - سورة البقرة : جزء من آية ١٣.

٣ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٢.

٤ - سورة السجدة : آية ٥.

٥ - ينظر: السراج المنير ج٥، ص ٢٩١.

٦ - سورة يونس : آية ٨٣.

٧ - ينظر: السراج المنير ج٦، ص ١٣٨.

قوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ ﴾ أى: لا إلى غيره ﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ أى: معنى فى جميع أموركم وحسباً بالبعث لينصف بينكم فيدخل بعضنا النار وبعضنا الجنة .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى ﴾ ^(١) يقول ^(٢): قال الرازى ^(٣): " والفائدة فى تقييد القسم به فى وقت هويّه أنه إذا كان فى وسط السماء يكون بعيداً عن الأرض لا يهتدى به السارى ؛ لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال " .

● وعند انتهائه من تفسير سورة النصر يتناول بعض كلماتها مبيهاً سر مجيئها على هذا النحو فيقول ^(٤): " تنبيه: فى الآية سوالات : أحدها: أن قوله تعالى: ﴿ كَانَ تَوَابًا ﴾ يدل على الماضى وحاجتنا إلى قبوله فى المستقبل. ثانيها: هلا قال غفاراً كما قال فى سورة نوح عليه السلام، ثالثها: أنه قال تعالى ﴿ نصر الله ﴾ وقال تعالى: ﴿ فى دين الله ﴾ وقال تعالى ﴿ بحمد ربك ﴾ ولم يقل بحمد الله؟ " .

أجيب عن الأول بوجه:

أحدها: أن هذا أبلغ ؛ كأنه يقول إنى ثبت على من هو أقبح فعلاً منكم كاليهود ؛ فإنهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كغرق البحر ونشق الجبل ونزول المن والسلوى ؛ عصوا ربهم وأتوا بالقبائح، ولما تابوا قبلت توبتهم ؛ فإذا كنت قابلاً لتوبة أولئك وهم دونكم ؛ أفلا أقبل توبتكم وأنتم خير أمة أخرجت للناس ؟!

١ - سورة النجم : آية ١ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج٧ ، ص ١٨٦ .

٣ - ينظر: التفسير الكبير للرازى ج٨ ، ص ٢٣٨ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج٨ ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

ثانيها : إنني شرعت في توبة العصاة ، والشروع ملزم على قول النعمان فكيف في كرم الرحمن .

ثالثها : كنت توابا قبل أمركم بالاستغفار ، أفلا أقبل وقد أمرتكم ؟!

رابعها : كأنه أشار إلى تخفيف جنايتهم ، أي : لستم أول من جنى وتآب ، والمعصية إذا عمّت خفت .

خامسها : كأنه نظير ما يقال : لقد أحسن الله إليك فيما مضى كذلك يحسن إليك فيما بقي .

وأجيب عن الثاني بوجهين :

أحدهما : لعله خص هذه الأمة بزيادة الشرف ؛ لأنه لا يقال في صفات العبد : غفار ، ويقال : تواب إذا كان أتيا بالتوبة فيقول تعالى : كنت لي سميّا من أول الأمر أنت مؤمن وأنا مؤمن ، وإن كان المعنى : مختلفا فتب حتى تصير سميّا في آخر الأمر ، وأنت تواب وأنا تواب . ثم الثواب في حق الله تعالى أنه يقبل التوبة كثيرا ، فيجب على العبد أن يكون إثباته بالتوبة كثيرا .

وثانيهما : أنه تعالى إنما قال توابا لأن القائل قد يقول أستغفر الله وليس بتائب ؛ كقوله ﷺ : (المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ بربه)^(١) فإن قيل : قد يقول أتوب وليس بتائب ؟ أجيب : بأن ذا يكون كاذبا ؛ لأن التوبة اسم للرجوع والتندم ،

^١ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب معالجة كل ذنب بالتوبة ج ٥ ص ٤٣٦ ح ٧١٧٨ ، وأورده المنذرى في الترغيب والترهيب كتاب التوبة والزهد باب التائب من الذنب كمن لا ذنب له ج ٤ ص ٩٧ بلفظ " والمستغفر من الذنب وهو مقسم عليه " ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في الأمة ، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني ، ط . المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق الرابعة ١٣٩٨ هـ - ج ٢ ص ٨٣ ح ٦١٦ وقال : ضعيف رواه البيهقي في شعب الإيمان .

بخلاف الاستغفار فإنه لا يكون كاذباً فيه فصار تقدير الكلام: واستغفره بالتوبة، وفيه تنبيه على أن "خواتيم الأعمال يجب أن تكون بالتوبة والاستغفار فكذا خواتيم الأعمار"

وأجيب عن الثالث:

بأنه تعالى راعى العذر فنكر اسم الذات مرتين ، وذكر اسم الفعل مرتين أحدهما : الرب ، والثانية : التواب ، ولما كانت الترتيبية تحصل أولاً والتوبة آخرًا، لا جرم ذكر اسم الرب أولاً واسم التوبة آخرًا.

٦- بيان مناسبة مطلع السورة لخاتمها :

اهتم الخطيب الشربيني ببيان الترابط بين أوائل السور وخواتيمها، مما يبرز وحدة كل سورة في بنائها؛ فنجد عند انتهائه من تفسيره السورة يربط خاتمها بفتحها ويبين وجه الترابط بينهما، وهذه بعض الأمثلة التي ذكرها في تفسيره:

● عند انتهائه من تفسير سورة الفاتحة يقول^(١): " فائدة: أول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء عليه والمدح له ، وآخرها مشتمل على الختم للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته ، وذلك يدل على أن مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الإقبال على الله ، ومطلع الآفات ورأس المخالفات هو الإعراض عن الله - تعالى - والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته".

^١ - ينظر: السراج المميز ج ١ ص ٣٦ .

● وكذلك عند تفسيره لآخر سورة الحج يقول^(١): "﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾"^(٢) أى: هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾"^(٣) أى: الناصر لكم + لأنه تعالى إذا تولى أحدا كفاه كل ما أهمه ، وإذا نصر أحدا أعلاه على كل من خاصمه (ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته)^(٤) الحديث إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، وهذا نتيجة التقوى، وما قبله من أفعال الطاعة دليلها، فقد انطبق آخر السورة على أولها ورد مقطعا على مطلعها".

● وفى مناسبة خاتمة سورة لقمان لفاتحتها يقول^(٥): " فقد انطبق آخر السورة بإثبات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة على أولها المخبر بحكمة صفة التى من علمها حق علمها وتخلق بما دعت إليه وحضت عليه، لا سيما الإيقان بالآخرة - كان حكيمًا، فسبحان من هذا كلامه، وتعالى كبرياؤه ، وعز مرامه ".

● وفى مناسبة خاتمة سورة الرحمن لفاتحتها يقول^(٦): "﴿ذِي الْجَلَالِ﴾" أى: العظمة الباهرة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾" قال القرطبي^(٧): " كأنه يريد به الاسم الذى افتتح به السورة، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن ، وخلق السموات والأرض وصنعه؛ وأنه تعالى كل

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

^٢ - سورة الحج : جزء من آية ٧٨ .

^٣ - سورة الحج : جزء من آية ٧٨ .

^٤ - أخرجه البخارى فى - كتاب : الرقاق ، باب : التواضع ح ٦٥٠٢ ؛ ينظر: فتح

البارى جـ ١٧ ص ٣١٧ - ٣٢٤ .

^٥ - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ٢٨٨ .

^٦ - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٢٧٠ .

^٧ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٧ ص ٨٦ .

يوم في شأن، ووصف تدبيره منهم ثم وصف يوم القيامة، وأهوالها، وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان.

ثم قال في آخر الصفة ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١) : "أى: هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم، وخلقتم لكم السماء والأرض والخليقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أى: جليل في ذاته كريم في أفعاله".

● وفي مناسبة خاتمة سورة المرسلات لفاتحتها يقول الخطيب الشربيني^(٢): "قال الرازي^(٣): إنه - تعالى - لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل القطعية من تجليها ووضوحها ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾^(٤) أى: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) أى: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتغالهم على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره".

وهكذا تظهر عناية الخطيب الشربيني ببيان المناسبات بين السور والآيات، وبين الكلمات داخل الآية الواحدة، وبين خواتيم السور وفواتحها، ولعل هذا يوضح لنا أنه كان يقوم بفهم كامل لمضمون السورة فيحلل إرادته لمناسبة الآيات داخلها، ثم يحلل ويبرهن ويخلص إلى النتيجة وهي

١ - سورة الرحمن : آية ٧٨.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٢٣٠.

٣ - ينظر: مقانيع الغيب للرازي ج ٣ ص ٢٥٠، وقد نقل الخطيب الشربيني قوله بتصريف.

٤ - سورة المرسلات : جزء من آية ٥٠.

٥ - سورة المرسلات : جزء من آية ٥٠.

مناسبة كل آية لما قبلها، وهذه عملية ليست يسيرة ولا يتركها إلا من حباه الله عقلاً راجحاً وأفقاً واسعاً وقوة بصيرة.

عنايته بالقراءات

عنى علماء التفسير بالقراءات عناية كبيرة ؛ فقلما يخلو منها تفسير من تفاسيرهم أو كتاب من كتبهم التى تعنى ببيان المعانى المختلفة والأغراض المتعددة للآيات القرآنية، فنجدهم يستشهدون على المعانى التى يذهبون إليها بالقراءات ، المتواترة وغير المتواترة ، الصحيحة^(١) والشاذة^(٢).

فقد عنى العلماء بتوجيه القراءات وإيضاح وجه ما ذهب إليه كل قارئ، وأفردوا فيها كتباً منها كتاب "الحجة" لأبى على الفارسى^(٣)، وكتاب "الكشف عن وجود القراءات وعلاها" لمكى ، وكتاب "الهداية" لأبى العباس^(٤) أحمد بن عماد المهدى ، كما صنفوا فى توجيه القراءات الشاذة.

^١ - القراءة الصحيحة :هى كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ؛ ينظر : النشر فى القراءات العشر للإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، مخرج آياته : الشيخ زكريا صيران ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، الأولى ص ١٥ .

^٢ - القراءة الشاذة : هى ما اختلف ركن من أركانها الثلاثة السابقة ؛ ينظر : المرجع السابق ص ١٥ .

^٣ - هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسى الأصل ، أبو طى : من ثمة النحو ، من كتبه الإيضاح فى قواعد العربية ، والتتبع لكلام أبى على الجبالى فى التفسير ؛ ينظر : معجم المفسرين لعادل دويهبى ج ١ ص ١٣٥ .

^٤ - هو أحمد بن إبراهيم بن الفرج بن أحمد بن ساجور بن على بن غنيمه عز الدين أبو العباس بن الإمام محى الدين الفاروقى الواسطى ، المقرئ ، المفسر ، الشافعى ، الخطيب الصوفى ، ولد ٦١٤ هـ ، وكان فقيهاً عالماً بالقراءات ووجهها ، بصيراً بالعربية ، عالماً بالتفسير ، خيراً صاحب أورد وتهجد ومروءة وفتوة ، وكان له أصحاب

واشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه ولا يلتزم بالوقوف عند حدود المأثور منه فقط أن يكون ملماً بجملته من العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ وتحميه من القول على الله بدون علم ، من أهمها علم القراءات ؛ إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض ، فالقراءات تعين المفسر على معرفة حقائق القرآن وجلال المعاني وجزالتها ، وتطلعه على بعض أسرارها ووقائعه.

وتنقسم القراءات الواردة في ألفاظ القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: اختلاف القراءات في وجوه النطق بحروفها وحركاتها كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل^(٢) والتحقيق^(٣) والجهر والهمس^(٤) والغنة^(٥)، ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء

مريدون انتفعوا بصحبته في دينهم ودنياهم ، مات ٦٩٤ هـ ؛ ينظر : طبقات المفسرين للداوودي ج ١ ص ٢٧ - ٢٩ .

^٢ - هو مطلق التغيير ، وينقسم إلى التسهيل بين بين والبذل والنقل ؛ ينظر : سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن القاصح العذري البغدادي وهو شرح حرز الأمالي ووجه التمهيد لأبي محمد بن أبي القاسم بن أحمد الرعيبي الأندلسي الشاطبي ، ط: دار الفكر - بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ص ٣٨ - ٥٦ .

^٣ - هو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وإتمام الحركات وغيرها من تقويم الألفاظ وإقامة القراءة بغاية الترتيل ؛ ينظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، ص ١٦٣ .

^٤ - هو الصوت الخفي ، فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الاعتماد عليه كان مهموماً ، والجهر ضد الهمس ؛ فإذا منع الحرف النفس أن يجرى معه حتى يتقضى الاعتماد كان مجهوراً ؛ ينظر : النشر في القراءات العشر ص ١٦١ .

^٥ - هي صوت يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه ومحلها التثوين والتنون والميم بشرط سكوبين ، وهما في النون أقوى وأبين ؛ ينظر : سراج القارئ المبتدئ ص ١٩٣ .

العربية لغتهم ؛ لأنها حفظت كيفية نطق العرب بالحروف فى مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب فى النطق بثنقى ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة. والقراءات من هذه الجهة ليس لها علاقة بالتفسير؛ لعدم تأثيرها فى اختلاف معانى الآى ، وإنما تعلقها بالأداء الصوتى.

والثانى: "اختلاف القراءات فى حروف الكلمات مثل 'مالك يوم الدين' و 'ملك يوم الدين' و 'تنشروها' و 'تنشروها' وكذلك اختلاف حركاتها كقوله: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد ، وقرئ بكسرها وهى من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير؛ لأن هذا الاختلاف يبين دلالة إحدى القراءتين على غير المعلول من القراءة الأخرى أو يثير معنى جديداً"^(١).

والخطيب الشربى من المفسرين الذين أولوا القراءات عناية فائقة فى تفاسيرهم ؛ فلا يكاد يترك آية إلا و يذكر القراءات السبع المتواترة فيها ؛ مما جعل تفسيره واقياً لكل باحث فى القراءات السبع المتواترة.

فالمطالع لتفسيره يجد ملماً إماماً ملموساً بالقراءات ، يستوفى القراءات عند عرضها من الجهتين : جهة الأداء الصوتى، وجهة دلالتها على المعنى.

وعرضه للقراءات يأخذ عدة اتجاهات أهمها:

- ١- لا يلتزم بعزو كل قراءة إلى قائلها.
- ٢- التزم بما اشترطه على نفسه.
- ٣- يبين المعانى التى تختلف باختلاف القراءات.

^١ - تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار مسنون للنشر والتوزيع تونس، المجلد الأول ص ٥١ - ٦٠ بتصرف.

٤- يذكر القراءات ولا يوجهها.

٥- يذكر القراءات ويبين اللغات التي ترجع إليها.

٦- يبين الأداء الصوتي للقراءات.

١- لا يلتزم بعزو كل قراءة إلى قائلها:

المنتبع لعرض الخطيب الشربيني القراءات في تفسيره بجده لا يلتزم بعزوها إلى قائلها ؛ فأحيانا يعزوها وأخرى لا يعزوها ؛ فهو يكتفى بما اشترطه على نفسه في مقدمة تفسيره وخاتمته من أنه لا يذكر فيه إلا السبع المشهورات.

● فعند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾^(١) يقول^(٢) : "تبييه: اتفق القراء على قراءة يقبل هنا بالياء على التذكير".

فالخطيب الشربيني هنا يقصد بالقراء، من هم على شرطه ؛ أي القراء السبعة^(٣).

١ - سورة البقرة : آية ١٢٣.

٢ - ينظر : السراج المنير ج١ ص ١٤٣.

٣ - هم: ابن عامر (عبد الله البحصي) وابن كثير (عبد الله بن كثير الداري) وعاصم (أبو عاصم بن أبي النجود الأسدي) وأبو عمرو (زبان بن العلاء عمار البصري) وحزمة (حزمة ابن الزيات الكوفي) ونافع (نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني) والكسائي (علي بن حمزة الكسائي) ؛ ينظر : شرح طيبة النشر في القراءات العشر للإمام شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن محمد ابن الجزري النمشقي المتوفي نحو سنة ٨٣٥ هـ، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أس مهرة ن ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م الأولى ص ٨ - ١٢ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَلَا تَكْتُبُوهَا ﴾ ^(١) يقول ^(٢) :
 وقرأ عاصم بنصب التاء فيهما على أن "تجارة" هي الخبر والاسم مضمّر
 تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، والياقون بالرفع فيهما على أن
 تجارة هي الاسم والخبر "تديرونها" أو على كان التامة .
 ويريد بالياقين هنا، القراء للسمع المشهورة فيما عدا عاصم.

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ شَذَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾ ^(٣)
 يعرض القراءات فيها فيقول: ^(٤) " شَذَّانُ قَوْمٍ ؛ أى: شذّه بغير، وقرأ ابن
 عامر وشعبة بسكون النون بعد الشين والياقون بنصبها. وقوله - تعالى - :
 ﴿ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على "إن" الشرطية
 والياقون بفتحها أى: لأجل أن صدوكم في عام الحديبية أو غيره.

● وكذلك عند عرضه للقراءات في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي
 أَمْرِي ﴾ ^(٥) يقول ^(٦) : " وقرأ ابن عامر بسكون الياء من "أخى" وهمزة مفتوحة
 من "أشدد" وهو على مرتبته في المد وهمزة مضمومة من "أشركه" وابن كثير
 وأبو عمرو بفتح الياء من "أخى" وهمزة وصل من "أشدد" و"أشركه" بهمزة
 مفتوحة والياقون بسكون الياء من "أخى" وهمزة وصل من "أشدد" وفتح
 الهمزة من "أشركه" .

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٩٧.

٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٢.

٤ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٧.

٥ - سورة طه: آية ٢٣.

٦ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٦٦٥.

● وعند ذكره القراءات في قوله - تعالى - : ﴿ كَالتَّجْوَابِ ﴾ ^(١) يقول ^(٢) :
" وقرأ ورش و أبو عمرو بإثبات الياء بعد الباء الموحدة في الوصل دون
الوقف، وابن كثير بإثباتها وقفا ووصلا، والباقون بالحذف " .

وهذا اتجاهه دائما في عرض القراءات إذا اتفق القراء السبعة على
قراءة، يذكر القراءة دون أسمائهم ، إلا إذا خالف بعضهم فيعزو القراءة
المخالفة إلى قائلها.

٢ - التزم بما اشترطه على نفسه:

المطالع لتفسير الخطيب الشربيني يجده قد وقى بما اشترطه على نفسه
في مقدمة تفسيره ، وما أشار إليه في خاتمة التفسير من أنه لا يذكر فيه من
القراءات إلا السبع المشهورات.

ولعل اتجاهه هذا يرجع إلى كونه شافعي المذهب " حيث يرى الإمام
العلامة شيخ الشافعية المحقق للعلوم الشرعية أبو الحسن علي بن عبد الكافي
السبكي ^(٣) أنه يجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات المتواترة ، ولا
يجوز بالشاذة ^(٤) .

وقد يظن البعض أنه ذكر بعض القراءات الشاذة ونبه عليها، إلا أنني
عندما تتبعت القراءات الشاذة التي ذكرها وجدته لا يعرضها كقراءة ، بل

١ - سورة سبأ: جزء من آية ١٣ .

٢ - ينظر: السراج المميز ج٦ ص ١٩ .

٣ - هو علي بن عبد الكافي بن علي بن نعام السبكي الأنصاري الخزرجي نقي الدين
شيخ الإسلام في عصره ، المتوفى عام ٧٥٦ هـ ، هو أحد الحفاظ المفسرين ، ولد في
سبك (من أعمال المنوفية في مصر) من كتبه الدر المنظم في التفسير لم يكمله ومختصر
طبقات الفقهاء ، ينظر الأعلام للزركلي ج٤ ص ٣٠٢ .

٤ - النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ج ١ ص ٤١ بتصرف .

استند إليها كمصدر لحكم معين ، وهنا لا يمكن القول بأنه قد خالف شرطه ؛
 " لأن العلماء أجازوا العمل بالقراءة الشاذة ، فالقراءة تسمى شاذة لكونها شذت
 عن رسم المصحف المجمع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحاً ، فلا تجوز
 القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها ، ولكن يجوز قراءتها غير معتقد أنها
 قرآن ولا موهما غيره بذلك ، وإنما لما فيها من الأحكام الشرعية أو الأدبية
 عند من يحتج بها " (١)

وإلى ذلك أشار الخطيب الشربيني في نكتة ذكرها عند تناوله حكم
 التتابع في صيام كفارة اليمين إذا حثت فيه ؛ فيقول (٢) : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ ﴾ أى : فكفارته صيام ثلاثة أيام ولا يجب تتابعها "

ثم يقول : " فإن قيل : قرئ شاذاً متتابعات (٣) والقراءة الشاذة كخبر
 الواحد في وجوب العمل كما أوجبنا قطع يد السارق اليمنى بالقراءة الشاذة (٤)
 في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] ولأن

١ - لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق الشيخ
 عامر السيد عثمان و د/ عبد الصبور شاهين ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
 ص ١٣ ،

والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٧٣ ، ٧٢ بنصرف .

٢ - ينظر : السراج المنير ج ٢ ص ٧٢ .

٣ - " وقرأ أبى وعبد الله بن مسعود والنخعي ثلاثة أيام متتابعات " زيادة متتابعات على
 قراءة الجماعة . ينظر : معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب ، ط . دار
 سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - القاهرة ، الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ،
 ج ٢ ص ٣٣٧ .

٤ - " والسارقون والسارقات فاقطعوا أيديهم " ابن مسعود وروى عنه إيمانها " ينظر :
 مختصر في شواذ القراءات من كتاب التذيع لابن خالويه ، مكتبة المتنبي القاهرة ص
 ٣٩ .

من عادة الشافعي رحمه الله تعالى حمل المطلق ^(١) على المقيد ^(٢) من جنسه وهو الظهار ^(٣) والقول أجيب: بأن اليمين نسخ فيها متتابعات تلاوة وحكما ؛ فلا يستدل بها ؛ بخلاف آية السرقة فإنها نسخت تلاوة لا حكما ، وبأن المطلق ههنا متردد بين أصليين يجب التتابع في أحدهما وهو كفارة الظهار والقول ، ولا يجب في الآخر وهو قضاء رمضان ؛ فلم يكن أحد الأصلين في التتابع بأولى من الآخر ، ويسنّ تتابعها خروجاً من خلاف أبي حنيفة ؛ فإنه شرط تتابعها .

● ومثال ذلك أيضاً ما ذكره عند انتهائه من تفسير قوله — تعالى — : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ^(٤) فيقول الخطيب الشربيني ^(٥) : وحكى عن أبي الأسود الدؤلي ^(٦) أنه

^١ - المطلق : هو اللفظ المتعرض للذات دون الصفات لابلغى ولا بإثبات ؛ ينظر : موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للشيخ العلامة محمد بن علي بن علي بن محمد النهانوي ، الحنفى ، المتوفى سنة ١١٥٨ هـ ، وضع حواشيه : أحمد حسن يسبح ، ط. دار الكتب العلمية — بيروت ، الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م ج ٢ ص ١٥٦٧ .
^٢ - و المقيد يقابل المطلق وهو اللفظ الدال على متلول المطلق بصفة زائدة ، والمراد بالمتعرض للذات الدال على الذات ؛ أى : نفس الحقيقة لا الفرد ؛ ينظر : المرجع السابق ذاته .

^٣ - الظهار : مصدر ظاهر الرجل ؛ أى : قال لزوجه أنت على كظهر أمي ؛ أى : أنت على حرام كظهر أمي ؛ ينظر : كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للنهانوي ، ج ٣ ص ١٧٥ .

^٤ - سورة البقرة : جزء من آية ٢٣٤ .

^٥ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٢٤٢ .

^٦ - هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن حنبل الدؤلي الكندي ، واضع علم النحو ، كان معروفاً من الفقهاء والعلماء والشعراء ، من التابعين ، أول من نطق بالمصحف ، سكن

كان يمشى خلف جنازة فقال له رجل: من المتوفى؟ بكسر الفاء ، فقال: الله وكان أحد الأسباب الباعثة لعلّ - رضى الله تعالى عنه - على أن أمره أن يضع كتاباً فى النحو، لكن يجوز الكسر على معنى أنه مستوف أجله، ويدل له قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ ﴾ بفتح الياء على قراءة شاذة نقلت عن على^(١)، أى: يستوفون أجلهم

وهذان المثالان من المواضع النادرة التى اعتمد فيها الخطيب الشربيني القراءة الشاذة كمصدر للأحكام.

٣- يبين المعانى التى تختلف باختلاف القراءات:

عنى الخطيب الشربيني بتوظيف القراءات فى بيان المعانى المختلفة للآية القرآنية ، وكان هذا هو السمة الغالبة عليه فى عرضه للقراءات التى تختلف فى حروف الكلمات وحركاتها والتى لها تعلق بالتفسير، سواء كان هذا الاختلاف مختلفاً تنوع ولا تتعارض القراءات فى المعنى الذى تفيد، أو يختلف المعنى باختلاف القراءة، وقد تضيف القراءات حكماً جديداً أو ترجح حكماً فقهياً على آخر.

● فمن أمثلة توجيهه للقراءات التى تفيد معنى واحداً ما عرضه عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾^(٢) بقول الخطيب الشربيني^(٣): "وقرأ قوله - تعالى -: ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ أبو بكر الكسائي بضم التاء أى:

البصرة فى ولاية عمرو وولى إمارتها فى أيام على وتوفى بها عام ٦٩ هـ ، ينظر الأعلام للزركلى ج٣ ص ٢٣٦، ٢٣٧ .

^١ - ينظر: المحاسب فى تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى، ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ج١ ص ٣٤٧ ، ومختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ص ٢٢ .

^٢ - سورة طه: جزء من آية ١٣٠ .

^٣ - ينظر: السراج المميز ج٤ ص ٢١١ .

ترضى بما تنال من الثواب ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥] وقرأ الباقر بفتحها أى : ترضى بما تنال من الشفاعة ؛ قال - تعالى - : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥] ، وقال - تعالى - : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] والمعنى على القراءتين لا يختلف ؛ لأن الله تعالى إذا أَرْضَاه فقد رَضِيَهُ ، وإذا رَضِيَهُ فقد أَرْضَاهُ .

● ومن أمثلة توجيهه للقراءات التى يختلف المعنى المراد من الآية باختلافها ، ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ^(١) فيقول ^(٢) : " قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام ، أى : الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه الباقر بفتحها ، أى : الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية " .

● ويستند الخطيب الشربيني إلى القراءات فى ترجيحه للحكم الشرعى الذى يميل إليه عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُمْ حَتَّى يَطْهَرُوا ﴾ ^(٣) فيقول ^(٤) : " ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُمْ ﴾ أى : بالجماع ﴿ حَتَّى يَطْهَرُوا ﴾ تأكيداً للحكم وبياناً لغايته وهو أن يغتسل بعد الانقطاع ، ويدل عليه صريحاً قراءة شعبة ^(٥) وأحمد ^(٦) .

١ - سورة الحجر : آية ٤٠ .

٢ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٢٩٥ .

٣ - سورة البقرة : جزء من آية ٢٢٢ .

٤ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٢٢٨ .

٥ - هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم بن الحناط الأسدي الكوفي ، ولد سنة ٩٥ هـ ، وكان من الأئمة الأعلام حجة ثقة ، مات سنة ١٩٣ هـ ، ينظر غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد الجزرى ، المتوفى ٨٣٣ هـ ، عنى بنشره برجسترأسر ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ج ١ ص ٣٢٥ .

والكسائي^(٢) بتشديد الطاء والهاء أى: يتطهّرَن بمعنى يغتسلن ، والباقون بسكون الطاء وضمّ الهاء مخففة والنزّاما، ثم يشرح قوله - تعالى - : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ أى: للجماع ؛ فإنه يقتضى تأخر جواز الإتيان عن الغسل ، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه: إن طهرت لأكثر الحيض وهو عنده عشرة أيام جاز قربانها قبل الغسل".

ف نجد الخطيب الشربيني هنا يعرض القراءتين السواريتين فى كلمة ﴿يَطْهَرْنَ﴾ ويعرض اختلاف الفقهاء بناءً على القراءتين ، فمن أخذ بقراءة التشديد للطاء أوجب الغسل قبل الجماع ، ومن بنى الحكم على القراءة بسكون الطاء وضمّ الهاء فقد استتبط من هذه القراءة أن مجرد النقاء طهارة فلا مانع من المعاشرة ، وقد رجّح الخطيب الشربيني الحكم بوجوب الغسل عند الطهارة وقبل المعاشرة مستنداً إلى قراءة التشديد مؤكداً لها بقوله - تعالى - : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

كما يستند الخطيب الشربيني إلى القراءات عند توجيهها لبيان حكم جديد، ومثال ذلك ما ذكره فى آية الوضوء عند عرضه للقراءات فى قوله - تعالى - : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾^(٣) فيقول^(٤):

١ - هو أبو حمزة حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الكوفى الزيات ، ولد عام ٨٠ هـ ، كان إماماً للناس فى القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش ، وكان ثقة كبيراً - حجة مجوّداً ، فرضيّاً نحوياً حافظاً للحديث ، ورعاً زاهداً خاشعاً ناسكاً ، مات سنة ١٥٦ هـ ؛ ينظر: المرجع السابق ج١ ص ٢٦١ .

٢ - هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن نعيم بن فيروز الكسائي الكوفى ، كان إمام الناس فى القراءة فى زمانه وأعلمهم بالقراءات وباللهجاء ولغة العرب ، مات سنة ١٨٩ هـ ، وبه تمّ القراء السبع ؛ ينظر: المرجع السابق ج١ ص ٥٣٥ .

٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٦.

٤ - ينظر: السراج المميز ج٢ ص ١٧ .

"قرأه نافع^(١) وابن عامر^(٢) وحفص^(٣) والكسائي بنصب اللام عطفًا على المجرور على قراءة الجرّ والممسوح ؛ ليفيد مسح الخف ، وعطف على المنصوب على قراءة النصب على المغسول ؛ ليفيد غسل الرجل المتجرّدة منه ؛ فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الأخرى".

وهنا نجد الخطيب الشربيني يستدل على ما ذهب إليه العلماء وهو أن الأصل غسل الأرجل في الحالات العادية ، وأن المسح على الأرجل جائز إذا لبس المرء خفًا على طهارة أو وضع على رجله جبيرة لمرض ، فنل كل من القراءتين على حكم شرعي فأعنت القراءتان عن آيتين بأن بيّنت الحكم الشرعي في حالين مختلفين.

٤ - يذكر القراءات ولا يوجهها:

إذا كان الخطيب الشربيني كما ذكرت سابقًا ، غالبًا يوجه القراءات وينزلها على معانيها المختلفة فإنه قد يذكر القراءات أحيانًا دون توجيهها، ومن هذه المواضع القليلة التي ذكر فيها القراءات ولم يوجهها ما يأتي:

^١ - هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم المدني ، ولد في حدود سنة ٧٠ هـ ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، توفي سنة ١٦٩ هـ ؛ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص ٣٣٠ .

^٢ - هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد نمير بن ربيعة البصري ، إمام جامع دمشق وقاضيه وشيخ الإقراء بها ، إمام كبير وتابعي جليل ، ولد سنة ٦١ هـ ومات ١١٨ هـ ؛ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج١ ص ٤٢٣ .

^٣ - هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهيب بن عدي بن صهيب نزيل سامراء ، إمام القراء وشيخ الناس في زمانه ، ثقة ثبت كبير ضابط ، أول من جمع القراءات، ونسبته إلى الدور موضع ببغداد ، توفي سنة ٢٤٦ هـ من كتبه أحكام القرآن والسنن وقصائل القرآن ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداوودي ج١ ص ١٦٢ .

● عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾^(١) يقول^(٢): "﴿ لَا يَحْزُنُكَ ﴾ قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي".

● وعند انتهائه من تفسير قوله — تعالى —: ﴿ فَقَالَ لَهُلْهُ امْكُثُوا ﴾^(٣) يقول الخطيب الشربيني^(٤): "وقرأ حمزة بضم الهاء في الوصل والباقون بالكسر".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾^(٥) يقول^(٦): "أى : فى النبوة والرسالة ، وقرأ ابن عامر بسكون الياء من "أخى" وهمزة مفتوحة من "أشدد" وهو على مرتبته فى المد وهمزة مضمومة من "أشركه" وابن كثير^(٧) وأبو عمرو^(٨) بفتح الياء من "أخى" وهمزة وصل من "أشدد" و "أشركه" بهمزة مفتوحة والباقون بسكون الياء من "أخى" وهمزة وصل من "أشدد" و فتح الهمزة من "أشركه".

١ - سورة المائدة: جزء من آية ٤١.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٤١.

٣ - سورة طه: جزء من آية ١٠.

٤ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ١٥٣.

٥ - سورة طه: آية ٣٢.

٦ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ١٦٥.

٧ - هو أبو سعيد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن راذان بن فيروز بن هرمز الدارى المكي ، إمام الناس فى الإقراء بمكة ، ولد سنة ٤٥ هـ ومات سنة ١٢٠ هـ ينظر: غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ج١ ص ٢٨٨، ٢٨٩.

٨ - هو زيان بن العلا بن عمار بن العريان بن عبد الله المازنى ، البصرى ، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الثقة والأمانة والدين ، ولد سنة ٦٨ هـ ومات سنة ١٥٥ هـ ينظر : غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص ٢٨٨، ٢٨٩ .

● وكذلك عند انتهاء الخطيب الشرييني من تفسير قوله - تعالى - :
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ﴾^(١) يقول^(٢): " وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالنون وكسر الحاء ،
والباقون بالياء وفتح الحاء " .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣)
يقول^(٤): " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها
وكسر الدال ، وقرأ الباقون - وهم عاصم^(٥) وابن عامر وحمزة والكسائي -
وما يخدعون بفتح الياء وسكون الخاء ولا ألف بعدها وفتح الدال . ولا
خلاف بين القراء في الكلمة الأولى وهي 'يخدعون الله' فالجميع قرءوا
بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال وأما الرسم في الموضعين
فبغير ألف " .

٥- يذكر القراءات ويبين اللغات التي ترجع إليها:

● عند عرض الخطيب الشرييني للقراءات الواردة في الكلمة القرآنية
يبين لغات العرب التي ترجع إليها:

- ١ - سورة الأنبياء: آية ٢٥ .
- ٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٢٢٦ .
- ٣ - سورة البقرة: جزء من آية ٩ .
- ٤ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٩ .
- ٥ - هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهنلة الأسدي مولاهم الكوفي ، انتهت إليه رئاسة
الإقراء بالكوفة بعد السلمي ، جمع بين الإتقان والفصاحة والتجويد وحسن الصوت ،
مات سنة ١٢٧ هـ ؛ ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري
ج١ ص ٤٦-٣٤٩ .

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(١) يقول ^(٢) : " والصراط من قلب السين صاذا ليطابق الطاء في الإطباق ^(٣) وقد تشمّ الصاد صوت الزاي ليكون أقرب إلى المبدل منه، قرأ حمزة الصراط المعروف في هذه السورة بالإشمام ^(٤) وهو أن ينطق القارئ بحرف متولد بين الصاد والزاي وأشمّ خلف ^(٥) 'صراط' الثاني كالأول وكذا جميع ما في القرآن من معرف ومنكر ، وقرأ قنبل ^(٦) جميع ما في القرآن بالسين ، وقرأ الباقر بالصاد الخالصة في الجميع ، وهذه لغة قريش وهي الثابتة في الإمام وهو مصحف سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه".

١ - سورة الفاتحة : آية ٦.

٢ - ينظر : السراج المنير ج١ ص ٣٤.

٣ - الإطباق لغة الالتصاق سميت حروفه مطبقة لاطباق طائفة من اللسان بها على الحناك عند النطق بها، وهي أربعة جمعت في الشاطبية : "و" فقط خص ضغط "سبع علو ومطبق هو الضاد والطاء أعجمعا وإن أهمل " ؛ ينظر : المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية للملا علي بن سلطان محمد القاري وبهامشها شرح شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري على المقدمة الجزرية لأبي الخير محمد الجزري ، ط. شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ص ١٧ .

٤ - الإشمام هو أن تطلق شفثيك بعد تسكين الحرف فيترك ذلك بالعين ولا يسمع؛ ينظر : سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى للقاصح البغدادي ص ٧٦.

٥ - هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار بالراء ، ولد سنة ١٥٠ هـ ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وكان إماماً جليلاً ، عالماً ، ثقة ، زاهداً ، ومات سنة ٢٢٩ هـ؛ ينظر : طبقات المفسرين للدلوودي ج١ ص ١٦٣ ، ١٦٤.

٦ - هو أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة ، كان إماماً في القراءة متقناً ضابطاً ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز ، ولد سنة ١٩٥ هـ وتوفي سنة ٢٩١ هـ ؛ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج٢ ص ١٦٥ .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾^(١) يبين القراءات واللغات التي ترجع إليها في كلمة «حج» فيقول^(٢) : "وقرأ حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء وهي لغة نجد ، وقرأ الياقون بالفتح وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد " .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾^(٣) يبين اللغات التي ترجع إليها القراءات في «كذابا» فيقول^(٤) : " وقرأ «كذابا» غير الكسائي بالتشديد أى: تكذيباً ، قال الفراء^(٥) : وهي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال. وقال الزمخشري^(٦) : وفعال في باب فَعَّلَ كُلُّهُ فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره، وسمعت بعضهم أفسر آية فقال: لقد فسرتها فساراً ما سمع بمثله. وقرأ الكسائي بالتخفيف مصدر كذب ؛ بذليل قول الشاعر :

فصدقتُها وكذبُها والمرءُ يتفعَّله كذابُه^(٧)

- ١ - سورة آل عمران: جزء من آية ٩٧.
- ٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٦٧.
- ٣ - سورة النبأ: آية ٢٨.
- ٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٣٧، ص ٢٣٨.
- ٥ - ينظر معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ١٤٤ هـ - ٢٠٧ هـ تحقيق : أحمد يوسف تجاتي ومحمد علي النجار ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ط . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الثالثة جـ ٣ ص ٢٢٩.
- ٦ - ينظر: الكشف جـ ٤ ص ٢٠٩.
- ٧ - البيت من مجزوء الكامل ، وهو للأعشى في لسان العرب مادة : صدق جـ ١ ، ص ١٩٣ ، ولم أجده في ديوان الأعشى ، وبلا نسبة في شرح المفصل للعلامة يعيش ابن علي بن يعيش النحوي المتوفى ١٤٣ هـ . ط عالم الكتب بيروت جـ ٦ ص ٤٤ ، وشرح شواهد الكشاف جـ ٤ ص ٣٤٨.

وثمة آيات أوضح الخطيب الشربيني أن القراءات فيها ترجع إلى لغات ولم يبينها:

● ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْبُوا النِّسَاءَ كُرْهًا ﴾^(١) إذ يقول عن القراءات الواردة في "كرها"^(٢): "وقرأ حمزة والكسائي يضم الكاف، والباقون يفتحها قال الكسائي"^(٣) وهما لغتان، وقال الفراء^(٤): الكره بالفتح ما أكره عليه، وبالضم المشقة".

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ لَا بَيْتِينَ فِيهَا ﴾^(٥) يقول^(٦): "وقرأ حمزة 'لابئين فيها' بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون بألف وهما لغتان والأولى أبلغ قاله البيضاوي"^(٧).

وتلك بعض أمثلة من مواضع كثيرة بين فيها الخطيب الشربيني اللغات التي ترجع إليها القراءات ، فله معرفة واسعة بلغات العرب وما يروى عنهم. وقد نقل كثيرا من لغاتهم واستدل بها على صحة القواعد التي تكلم فيها، وقد أوضحت ذلك بالأمثلة في المباحث التي تناولت فيها استشهاده بالشعر وتوظيفه الدلالات اللغوية في التفسير.

^١ - سورة النساء: جزء من آية ١٩.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٥٢.

^٣ - ينظر: معاني القرآن للكسائي جـ ١ ص ١١٢.

^٤ - لم أجد الفراء ذكره في كتابه معاني القرآن عند تفسيره لكلمة نفسها ، وكذا في المواضع التي ذكر فيها الكره والكراهة ؛ ينظر: معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ٢٢٥ ، ٢٥٩ ، ٤١ ، جـ ٢ ص ٦١ ، ٢٥١ ، ولعله نقله عن أبي حيان الذي نسب للفراء في البحر المحيط جـ ٣ ص ٢١٢ .

^٥ - سورة التبا: جزء من آية ٢٣.

^٦ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٣٦.

^٧ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي جـ ٨ ص ٤٧٦ .

٦- يبين (الأداء الصوتي) للقراءات:

عنى الخطيب الشربيني بإيضاح الأداء الصوتي (الظاهرة الصوتية) للقراءات بكافة صورها : الإبدال ، والزيادة والنقصان ، والإمالة ، والهمز والتخفيف ، والإدغام والوقف وغيرها ، ويتضح ذلك بالأمثلة الآتية:

* الإبدال^(١):

ويكون في كلمة واحدة بصيغة واحدة وبمعنى واحد، تنطق أو تؤدي بطريقتين من حيث إقامة حرف مكان آخر في الكلمة ، ويقع الإبدال بين الصوامت كما يقع بين الحركات:

● ومثال الإبدال في الصوامت:

ما قاله الشربيني في قراءة "تتراً" عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(٢) فقال^(٣): "وقرأ تتراً" ، ابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتتوين الراء على أنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالاً ، والباقون بغير تنوين. " فأبدلت الراء من الواو بأن جعله مصدراً من قولك: وتر يتر وترًا كما أبدلت في قولهم "التكلان" من الوكالة و "تجاه" من وجاه ، ودليل ذلك كتابتها في السواء ألفاً ، وكذلك الوقوف عليها بألف^(٤).

● ومثال الإبدال بين الحركات:

الإبدال بين الضم والكسر في قراءة "وقالت" في الوصل ، لالتقاء

^١ - الإبدال: هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل ؛ ينظر: التعريفات للرجاني ص ٢١.

^٢ - سورة المؤمنون: جزء من آية ٤٥.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٤١.

^٤ - مستقى من اليزيدي الفارسي النحوي ، دراسة نحوية قرآنية للدكتور محمد أحمد علي سحلول ، ط. مطبعة الحسين الإسلامية، الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ص ١٩٥، ١٩٤.

الساكنين ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾^(١) يقول^(٢) : " وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي بكسر التاء في الوصل ، والباقون بالضم ، وأما الابتداء فجميع القراء يبتدئون الهمزة بالضم " .

* الزيادة والنقصان :

● ومثاله تخفيف الفتح في قوله - تعالى - : ﴿فَرْضُنَاهَا﴾^(٣) فيقول الخطيب الشربيني^(٤) : " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء ؛ لكثرة الفروض ، والباقون بالتخفيف " .

* الإمالة^(٥) :

● ومثال ذلك ما ذكره في قراءة ﴿ أَبْصَارِهِمْ ﴾^(٦) فيقول^(٧) : " وأمال أبو عمرو ألف 'أبصارهم' وكذا كل ألف بعدها راء مكسورة متطرفة . وإنما جاز إمالتها مع الصاد ؛ لأن الراء المكسورة تقلب المستعلية ؛ لما فيها من التكرير " .

* الهمز والتخفيف :

● ومثاله ما ذكره عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾^(٨)

١ - سورة يوسف: جزء من آية ٣١.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٦٥.

٣ - سورة النور: جزء من آية ١.

٤ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٦٥.

٥ - وهو أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص ١١٥ .

٦ - سورة البقرة: جزء من آية ٧.

٧ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧.

٨ - سورة البقرة: جزء من آية ٦.

فيقول^(١): " تنبيه: ها هنا همزتان مفتوحتان من كلمة ؛ فقالون^(٢) وأبو عمرو
يسهلان الثانية وينخلان بينهما ألفاً وكذا ورش^(٣) وابن كثير إلا أنهما لم
يدخلا

ألفاً بينهما ولورش وجه آخر وهو أن يبدل الثانية حرف مد ، وهشام^(٤) له
وجهان: تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقتها مع إدخال ألف بينهما، والباقون
بالتحقيق والقصر، وجميع القراء يحققون الأولى .

* الإدغام^(٥):

● ومثال ذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ هَلْ تُؤْتِي الْكُفَّارَ ﴾^(٦)
يقول الخطيب الشربيني^(٧): وقرأ الكسائي وهشام بإدغام اللام في التاء
والباقون بالإظهار .

^١ - ينظر: السراج المميز جـ ١ ص ٤٦ .

^٢ - هو عيسى بن مينا الزرقى ، لقيه نافع بفالون لجودة قراءته ؛ لأنها بلغة الروم جيداً ،
وكان قارئ المدينة ونحويها ، ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفي سنة ٢٢٠ هـ ؛ ينظر: طبقات
القراء لابن الجزري جـ ١ ص ٦١٥ .

^٣ - هو أبو سعيد عثمان بن سعيد القنطري المصري ، ولد سنة ١١٠ هـ ، ولقب بورش
لشدته بياضه ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بمصر ، ومات سنة ١٩٧ هـ ؛ ينظر: المرجع
السابق جـ ١ ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

^٤ - هو أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن مبصرة السلمي الدمشقي ، فاض ، إمام
أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم ، ولد سنة ١٥٣ هـ ومات ٢٤٥ هـ ؛
ينظر: طبقات القراء لابن الجزري جـ ٢ ص ٣٥٤ والأعلام للزركلي جـ ٩ ص ٨٦ .

^٥ - حقيقة الإدغام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك ، فتصيرهما حرفاً واحداً ،
متندداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعاً واحدة ، وهو يوزن حرفين ؛ ينظر: سراج القارئ
المبتدئ للقاصح البغدادي ص ٢٣ .

^٦ - سورة المطففين: جزء من آية ٣٦ .

^٧ - ينظر: السراج المميز جـ ٨ ص ٢٩١ .

• الوقف^(١):

• يهتم الخطيب الشربيني ببيان طرق الأداء الصوتي في حالة الوقف، ومثال ذلك التنبيه الذي ذكره عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ»^(٢) إذ قال^(٣): " تنبيه: إذا وقف حمزة وهشام على شيء فليهما أربعة وجوه: السكون، والروم^(٤)، والإدغام، والروم معه، وسكن حمزة قبل الهمزة بخلاف عن خلاد في الوصل وأدغم أبو عمرو الكاف في القاف بخلاف عنه ".

• كما يهتم ببيان التناسب الإيقاعي والصوتي في حالة الوقف ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله - تعالى - : « وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا »^(٥) فيقول^(٦): " وقرأ نافع وابن عامر " الظنونا طهنا و"الرسولا" و"السبيلا" في آخر السورة بإثبات الألف في الثلاثة وقفا ووصلا ، وأبو عمرو وحمزة بحذف الألف وقفا ووصلا، قال الزمخشري^(٧): وهو القياس . والباقيون في الوقف دون الوصل زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية قال:

^١ - سمي الوقف وقفاً لأنه ترك الحركة ، فهو مأخوذ من قولهم وقف عن كذا إذا لم تأت به. وإنما كان الأصل فيه للسكون لأن الوقف يقتضي السكون والابتداء يقتضي الحركة، وحد الوقف قطع الصوت آخر الكلمة ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص ١٤١ وسراج القارئ المبتدئ ص ٧٦ .

^٢ - سورة البقرة: جزء من آية ١١٣.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١٣٨.

^٤ - هو أن يسمع الحرف المحرك ، احترازاً من الساكن في الوصل ؛ ينظر: سراج القارئ المبتدئ للقاصح البغدادي ص ٧٦ .

^٥ - سورة الأحزاب: جزء من آية ٨٠.

^٦ - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٣٢٦، ٣٢٥.

^٧ - هذا مضمون كلام الزمخشري لا نصه ، يراجع: الكشف ج ٣ ص ٢٥٤، ٢٥٣.

أقلَى اللّوم عاذل والعتابين^(١)

ورسم الدّلالة بالألف *.

فالخطيب الشّريبي هنا بيّن أنّ زيادة الألف في الثلاثة وفقاً متفق عليه بين القراء لمراعاة الفاصلة تحقيقاً للتّناسب الصوتي والإيقاعي.

* المد^(٢):

يهتم الخطيب الشّريبي بإخراج المدود الواردة في قراءة الآية القرآنية الكريمة وبيان مراتبها عند القراء السبعة:

● ومثال ذلك التنبيه التالي: يقول الخطيب الشّريبي^(٣): "تنبيه: "اجتمع في قوله تعالى: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤): أربع مدات، الأولى: أنبئوني، والثانية بأسماء، والثالثة، والرابعة هؤلاء إن، فالأول مد بدل، والثاني مد متصل، والثالث مد منفصل، والرابع مخير لا متصل قطعاً ولا منفصل قطعاً عند من يقول بإسقاط إحدى الهمزتين، فأما الأول فلورش فيه المد والتوسط والقصر، وأما الثاني فيالمدّ للجميع لأنه متصل، وأما الثالث ففيه المد والقصر، كما تقدم لأنه منفصل، وأما الرابع

^١ - صدر بيت وعجزه "وقولي إن أصبت لقد أصابن"، وهو من الوافر لحريز في حزانة الأندب جـ ١ ص ٦٩، ولم أجده في ديوان حريز، وشرح شواهد الكشف جـ ٤ ص ٣٣٩، ومعنى اللبيب جـ ٢ ص ٣٩٥.

^٢ - المد: هو زيادة مدّ في حروف المد ولا يكون إلا لسبب، والسبب إما لفظي وهو همز أو سكون، وإما معنوي وهو قصد المبالغة في النفي، وحرف المد هو الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، ينظر شرح طيبة النشر لابن الجزري ص ٧١، ٧٢.

^٣ - سورة البقرة: جزء من آية ٣١.

^٤ - ينظر السراج المنير: جـ ١ ص ٨١.

وهو "أولاء إن" ففيه همزتان مكسورتان من كلمتين ؛ فقالون والجزى^(١) يسهلان الأولى مع المد والقصر، وورث وقنبل يسهلان الثانية . ويجعلانها حرف مد ، وأبو عمرو يسقط الأولى والثانية فمن قال بإسقاط الأولى مد وقصر، ومن قال بإسقاط الثانية فبالمد فقط ، وباقي القراء يحققون الهمزتين وهم على مراتبهم في المد".

* مخارج الحروف^(٢):

كما اهتم الخطيب الشربيني بشرح قواعد الأداء الصوتي للحروف من مخارجها.

● ومثال ذلك ما شرحه عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينَ﴾^(٣) يقول^(٤): " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالطاء المُسَالَّة من الظَّنة، وهي التَّهمة ، أي : فليس بمتَّهم ، والباقون بالضاد موافقةً للمرسوم من الضَّنِّ وهو البُخل ، أي: فليس ببخيل بالوحي فيزوي بعضه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه ، كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا ، وهو في مصحف عبد الله بالطاء، وفي مصحف أبي بالضاد، وكان يقرأ بهما.

^١ - هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن دافع ابن أبي بزة المكي كان إماماً في القراءة محققاً ضابطاً لها ثقة فياً ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة وكان مؤثراً المسجد الحرام ، ولد سنة مائة وسبعين ومات سنة مائتين وخمسين ، ينظر: طبقات القراء لابن الجزري ج١ ص ١١٩.

^٢ - مخارج : جمع مخرج : وهي عبارة عن موضع خروج الحرف من الفم ؛ ينظر: شرح طيبة النشر ص ٢٧ .

^٣ - سورة التکویر : آية ٢٤ .

^٤ - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢٧٤، ٢٧٣ .

قال الزمخشري^(١): وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ، ومعرفة مخرجيهما مما لا بدّ منه للقارئ ، فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب ، وبينهما بونٌ بعيد ، فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره ، وكان عمر بن الخطاب أضبط ، يعمل بكلتا يديه ، وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه ، وهي أحد الأحرف الشجرية^(٢) أخت الجيم والشين ، وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، وهي أحد الأحرف الذوقية^(٣) أخت الذال والثاء ، ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان ، واختلاف بين جبليين من جبال العلم والقراءة ، ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب.

فإن قلت فإن وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه، قلت: هو كوضع الذال مكان الجيم والثاء مكان السين ؛ لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما أ.هـ كلامه بحروفه *.

وتلك بعض الأمثلة التي تبين عناية الخطيب الشربيني الفاتحة بقواعد الأداء الصوتي للكلمات القرآنية، فالمطالع لتفسيره يجد بين يديه الكثير منها شاملا كل هذه القواعد التي أرساها علماء القراءات.

^١ - ينظر: الكشف ج ٤ ص ٢٢٦، ٢٢٥.

^٢ - هي الجيم والشين والياء ، وتسمى الحروف الشجرية ؛ لخروجها من شجر الفم وهو منفذ ما بين اللحين ، قال ابن الجزري : " والوسط فجيم الشين يا " ؛ أي وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى مخرج الحيم ثم الشين ثم الياء ؛ ينظر: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ص ١٢ .

^٣ - الحروف المذلفة ستة يجمعها لفظ " فر من لب " ، والذلق لغة الطرف سميت حروفه مذلفة لخروج بعضها من تلق اللسان وبعضها من تلق الشفة أي طرفيها ؛ ينظر: المرجع السابق ص ١٢ .

إتجاهاته في أسباب النزول

أنزل الله - عز وجل - القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ منهاجاً ليهتدى به الناس إلى الحق المبين والخير الجزيل في الدنيا والآخرة؛ فاشتمل على العقيدة والمعاملات والأخلاق والنبوة والبعث والنشور .

ولبيان هذه المسائل نزل القرآن الكريم على قسمين :

القسم الأول نزل ابتداءً غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق .

والقسم الثاني نزل عقب واقعة أو سؤال وجه إلى النبي ﷺ من المسلمين على سبيل الاستفسار ، أو من غيرهم على سبيل الجدال والعتاد .

" فسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ، أو سؤال وجه إليه؛ فنزلت الآية أو الآيات من الله - تعالى - ببيان ما يتصل بتلك الحادثة ، أو بجواب هذا السؤال " (١).

وقد ذكر العلماء لأسباب النزول فوائد عديدة ، أهمها :

" أ - معرفة وجوه الحكمة من تشريع الحكم ، فإن كان الدارس مؤمناً ازداد إيماناً وحرصاً على العمل بكتاب الله، وتطبيق أحكامه لما يظهر له من أسرار ومصالح من أجلها نزل القرآن الكريم شريعة ومنهاجاً للناس، وإن كان غير مؤمن تحمله هذه الحكم على الإيمان إن كان منصفاً ، وأترك أن التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، خاصة إذا تبين له تدرج التشريع في معالجة الموضوع الواحد؛ ومثاله تحريم الخمر " فقد روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر قال: نزل في الخمر ثلاث آيات؛ فأول

١ - ينظر: مناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ١٠٦.

شيء «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ»^(١) الآية؛ فقيل: حرمت الخمر؛ فقالوا: يارسول الله، دعنا فننفع بها كما قال الله؛ فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى»^(٢) فقيل حرمت الخمر؛ قالوا: يارسول الله، لا نشربها قرب الصلاة؛ فسكت عنهم. ثم نزلت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ»^(٣) فقال رسول الله ﷺ: (حرمت الخمر)^(٤).

ب - الاستعانة على فهم الآية ورد ما يعرض فيها من الإشكال؛ قال الواحدى^(٥): "هي أوفى ما يجب الوقوف عليها و أولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"^(٦).

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢١٩.

٢ - سورة النساء: جزء من آية ٤٣.

٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٩٠.

٤ - أخرجه الترمذى - كتاب تفسير القرآن - باب: ومن سورة المائدة جـ ٥ ص ٩٨ ح ٣٠٤٩ وقال أبو عيسى: وقد روى عن إسرائيل هذا الحديث مرسل. وأبو داود فى سننه - كتاب: الأشربة - باب: فى تحريم الخمر جـ ٣ ص ١٥٨٩ ح ٣٦٧٠، والنسائى - فى الأشربة، باب: تحريم الخمر جـ ٤ ص ٦٨٦ ح ٥٥٥٥.

٥ - هو على بن أحمد بن على بن منبوه أبو الحسن الواحدى النيسابورى، كان إماماً فى العربية والتفسير، من مؤلفاته: أسباب النزول، والتفسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز توفى ٤٦٨ هـ؛ ينظر: طبقات المفسرين للداودى جـ ١ ص ٣٩٤.

٦ - ينظر: أسباب النزول الإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى (٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م)، تعليق وتخريج الدكتور مصطفى ديب البغا، ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الثالثة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ص ٧.

وقال ابن دقيق العيد^(١): "بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى القرآن"

وقال ابن تيمية^(٢): "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"

وقال السيوطي - رحمه الله تعالى - في معرض ذكره فوائد معرفة أسباب النزول: "منها: معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال"^(٣)

وقد اعتنى المفسرون بمعرفة أسباب النزول وأفردوا فيه تصانيف أشهرها: "أسباب النزول للواحدي" و "باب النقول في أسباب النزول للسيوطي".

وقد أكثر الخطيب الشربيني من ذكر أسباب النزول ؛ فلا يكاد يترك آية من آيات القرآن الكريم نزلت على سبب إلا ويذكره أو يذكر عدة أسباب، وهو حين يفعل ذلك يبذل جهده في جمع ما يستطيع من أسباب النزول ، ويعرضها إما معزوة إلى قائلها أو دون عزوها إلى قائلها، وقد يذكر السبب مبتدأ به كتفسير للآية.

^١ - هو علي بن وهب بن مطيع ، أبو الفتح نقي الدين القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد، قاضي مجتهد ، من كتبه: (إحكام الأحكام ونحلة اللبيب في التفريب، توفي ٧٠٢هـ - ينظر: الأعلام للزركلي ج٦ ص ٢٨٣.

^٢ - هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني لدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، ولد ٦٦١هـ - وتوفي ١٣٢٨هـ ، من تصانيفه : الجوامع في السياسة الشرعية ، والفتاوى ، والفرقان بين أولياء الله وأوليائه الشيطان يرفع الملام عن الأئمة الأعلام - ينظر : الأعلام للزركلي ج١ ص ١٤٤ .

^٣ - مستقى من الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص ٦٧ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص ٢٦ ، ومناهل العرفان للزركشي ج١ ص ١٠٦ - ص ١١٢.

ويتضح ذلك في اتجاهاته التي استخلصتها من كتابه السراج المنير،
والتي أعرض لها فيما يلي مع ذكر أمثلة لكل منها :

١- الإطالة في ذكر أسباب النزول وعزوها إلى قائلها:

كثيراً ما يستفيض الخطيب الشربيني في ذكر الاختلاف في أسباب
النزول دون أن يعلق عليها بالصحة أو غيرها، فالحقاري لتفسيره يجده
حريصاً على جمع ما ورد من روايات متعددة ومختلفة في أسباب نزول الآية
التي يتناولها بالتفسير دون أن يتعقبها ببيان بطلان بعضها، ويعزو هذه
الروايات إلى قائلها.

● كما كتب عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وما ننزلُ إلَّا بأمرِ
ربِّك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربُّك نسياً ﴾^(١)

فقال^(٢): "واختلف في سبب نزول قول جبريل للنبي ﷺ : "وما ننزل إلا بأمر
ربك" فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ : (يا جبريل ما منعك أن تزورنا
أكثر مما تزورنا) فنزلت الآية^(٣)، وقال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله
ﷺ ليلة فقال لعلي: أبطأت قال: قد فعلت، قال: ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون
ولا تقصون أظفاركم ولا تتقون براجمكم، وقال "وما ننزل إلا بأمر ربك"
فنزلت^(٤)،

١ - سورة مريم: آية ٦٤.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ٤ ص ١٣٠، ص ١٣١.

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير، باب: سورة مريم (قوله: وما
ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا)، وكتاب بدء الخلق، باب: ذكر
الملائكة صلوات الله عليهم - ينظر: فتح الباري يشرح صحيح البخاري ج ١٣
ص ٣٣١، ٣٣٢، ح ٤٧٣١، ج ٩ ص ٤٦٩ ح ٣٢١٨ ..

٤ - ذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٢٥٣ والجوزى في زاد المسير في علم التفسير
للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى المتوفى سنة =

وقال قتاده والكلبي^(١): احتبس جبريل ﷺ عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح، وسبب سؤالهم في ذلك ما روى أن قريشاً بعثت خمسة رهط إلى يهود المدينة يسألونهم عن صفة النبي ﷺ، وهل يجدونه في كتابهم؛ وسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه، وقالت اليهود نجده في كتابنا وهذا زمانه، وقد سألنا رحمن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسلوه عنهن فإن أخبركم عن خصلتين فاتبعوه؛ فسألوه عن قصة أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب، فوعدهم أن يجيبهم غداً، ولم يقل: إن شاء الله؛ فأحتبس الوحي عنه أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً؛ فشق ذلك عليه مشقة عظيمة، وقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل - عليه السلام - قال له النبي ﷺ: أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك، قال إني إليك أشوق، ولكنني عبد مأمور إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست؛ فنزلت هذه الآية، وأنزل قوله - تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً﴾ {23} إنا أن يشاء الله ﴿[الكهف: 24] و [سورة الضحى]﴾^(٢) .

- ٥٩٧ هـ ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : أحمد شمس الدين ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م الأولى ج ٥ ص ١٨٤ .

^١ - ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي سنة ٥٤١ هـ ، ط. دار ابن حزم بيروت - لبنان ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ج ٤ ص ٢٤ ، والبعث في معالم التنزيل ؛ ينظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن المتوفى ٧٢٥ هـ وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٦ هـ ، ط. دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ج ١ ص ٢٥٣ ، والجوزي في زاد المسير ج ٥ ص ١٨٤ ، وأبو حيان في البحر المحيطة ج ٦ ص ١٩١ .

^٢ - أخرجه الطبري في تفسيره ج ١٥ ص ٢٢٨ ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٢٥٣ .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(١) ذكر الخطيب الشربيني في سبب نزولها عدة روايات ؛ فقال^(٢) : " روى سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : " أن ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذي تدعو له لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة"^(٣) فنزلت هذه الآية. وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس: " أنها نزلت في وحشي قاتل حمزة - رضي الله تعالى عنهما - حين بعث إليه النبي يدعو إلى الإسلام ؛ فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقي أتاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ؟! وأنا قد فعلت ذلك كله ؛ فأنزل الله سبحانه - وتعالى - : ﴿ إِنَّا مِنْ تَابٍ وَآمَنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [مريم: ٦٠] فقال وحشي: هذا شرط شديد علي لا أقدر عليه ؛ فهل غير ذلك؟ فأنزل الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ فقال وحشي: أراني بعد في شبهه ؛ فلا أدرى ليغفر لي أم لا ؛ فأنزل الله - تعالى - : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الآية قال: نعم هذا ما جاء فأسلم ؛ فقال المسلمون: هذا له خاصة قال: بل للمسلمين عامة^(٤).

١ - سورة الزمر : آية ٥٣ .

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير ، باب : سورة الزمر (قوله تعالى: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم... الآية ؛ ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٥٠٨ ح ٤٨١٠ ، أخرجه مسلم - في صحيحه كتاب الإيمان ، باب : كون الإسلام بهنم ما قبله وكذا الهجرة والحج جـ ١ ص ١١٩ ، ١٢٠ ح ١٢٢ .

٤ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ ١١ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ح ١١٤٨٠ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب: التفسير ، باب: في سورة الزمر جـ ٧ ص ٢٢٤ =

وروى عن ابن عمر قال: نُزِلَتْ هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم قتلوا وعذبوا فافتتنوا، وكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً قد أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه؛ فأنزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بيده، ثم بعثها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا^(١).

وروى عن ابن مسعود أنه دخل المسجد وإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال؛ فقام على رأسه فقال: يا مذكر لم تقنط الناس، ثم قرأ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٢) وعن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي)^(٣)

٢٢٥- ح ١١٣١٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبيان بن مسفيان ضعفه الذهبي.

١- ذكره الواحدى عن ابن عمر- رضي الله عنه - ص ٣٠٧.
٢- أخرجه عبد الرزاق في المصنف - كتاب الجامع، باب: الرخص والشدائد؛ ينظر: المصنف للحافظ الكبير لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ومعه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. المكتب الإسلامي - لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الثانية ج ١١ ص ٢٨٧ ح ٢٠٥٥٨، وأخرجه للطبراني في المعجم الكبير ج ٩ ص ١٢٧ ح ٨٦٣٥، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب العلم، باب: القصص ج ١ ص ٤٥٣ ح ٩١٧ وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وقال: رجاله ثقات، ولكن الأعمش لم يدرك ابن مسعود.

٣- أخرجه الترمذي في سننه - كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر ج ٥ ص ٢١٠ ح ٣٢٣٧، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن عريب لا يعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر ابن حوشب قال: وشهر بن حوشب يروى عن أم سلمة الأنصارية، وأم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد.

وروى الطبراني: أنه ﷺ قال: (ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها + أي: بهذه الآية + فقال رجل: يا رسول الله ، ومن أشرك ؟ فسكت ساعة ، ثم قال: إلا من أشرك ثلاث مرات) (١).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل، فإذا راهب يسأله فقال: هل لي توبة، فقال: لا فقتله وجعل يسأل ؛ فقال رجل: انت قرية كذا ، فأدركه الموت ، فنأى بصره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله - تعالى - إلى هذه أن تقربى وإلى هذه أن تباعدى، وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر؛ فغفر له). وفى رواية: (فقال له: إنى قتلت تسعة وتسعين نفساً فهل لي من توبة ؟ فقال: لا؛ فقتله فكمّل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم؛ فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال: نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة؛ انطلق إلى أرض كذا إلى أن قال: فوجدوه أننى إلى الأرض التى أراكم فقبضته ملائكة الرحمة) (٢).

وعن ابن عمر: قال كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهى مقبولة حتى نزلت ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣] فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذى يبطل أعمالنا؛ فقيل لنا: الكبائر والفواحش ؛ فكنا إذا رأينا من أصاب منها

١ - أخرجه أحمد فى مسنده مسند ثوبان رضى الله عنه جـ ١٦ ص ٢٨٤، ٢٨٥ ح ٢٢٢٦٢ ، ولورده الهيثمى فى مجمع الزوائد - كتاب التفسير، باب: سورة الزمر جـ ٧ ص ٢٢٤ ح ١١٣١٣ ونسبه إلى الطبراني فى الأوسط ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف ، وحديثه حسن.

٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب: أحاديث الأنبياء ، باب: رقم ٥١ بدون ترجمة ح ٣٤٧٠ ؛ ينظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ ص ٢٩١-٢٩٤، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب: التوبة ، باب: يقول القاتل وإن كثر قتله جـ ٤ ص ٤٢٤ ح ٢٧٦٦ .

شينا خفنا عليه، ومن لم يصب منها شيئا رجونا له ؛ فأنزل الله - تعالى - :
﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾^(١).

● وكذلك فعل الخطيب الشربيني عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْصُرَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾^(٢) فقال^(٣) : " واختلف في سبب نزول قوله تعالى : " ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى " فقيل : في اليهود ، وقيل : في المنافقين ، وقيل في فريق من الكفار ، وقيل في فريق من المسلمين ؛ لما روى أبو سعيد الخدري قال : " كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال ﷺ : (ما هذه النجوى ؟ قلنا تبنا إلى الله - تعالى - يا رسول الله ؛ إذ كنا في ذكر المسيح ؛ يعني : الدجال فرقا منه ؛ فقال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بما هو أخوف عندى منه ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ؛ قال : الشرك الخفى ؛ أن يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل)^(٤) ذكره الماوردي.

وقال ابن عباس : " نزلت في اليهود والمنافقين ، كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون

^١ - ذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسيره للآية ٣٣ من سورة محمد ، مع اختلاف النص عن ابن عمر ؛ جعلها سبب نزول الآية " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " [النساء : ٤٨] بدلا من الآية ٥٣ من سورة الزمر ؛ ينظر : الدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ٥٥ .

^٢ - سورة المجادلة : جزء من آية ٨ .

^٣ - ينظر : السراج المنير ج ٧ ص ٣٤١ .

^٤ - أخرجه أحمد في مسنده ، مسند أبي سعيد الخدري ح ١١١٩١ ج ١٠ ص ٩٨ ، وقال محققه حمزة أحمد الزين : إسناده حسن ، وأخرجه ابن ماجه بنحوه ج ٣ ص ٥٠٢ ح ٤٢٠٤ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب : الصلاة ، باب : في النوم قبلها والحديث بعدها ج ٢ ص ٦٢ ، ٦٣ ح ١٧٦٤ ونسبه الهيثمي إلى أحمد عن أبي سعيد ، ورجاله ثقات .

فيما يسوءهم ؛ فيحزنون لذلك ، ويقولون: ما نراهم إلا وقد بلغهم من إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة؛ فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك عليهم وأثر شكوا إلى رسول الله ﷺ؛ فأمرهم ألا يتأجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم؛ فأنزل الله — تعالى —: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى﴾^(١) .

● ثم يبين سبب نزول قوله — تعالى —: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾^(٢) فيقول^(٣): " وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويقولون: السام عليك، والسام: الموت ، وهم يوهمون أنهم يقولون: السلام عليك ، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: وعليكم ؛ فقالت السيدة عائشة، السام عليكم ولعنة الله و غضبه عليكم، فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة ، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ؛ فقالت: أو لم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في) ^(٤) وقال النبي ﷺ عند ذلك: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليكم ما قلت)^(٥) فأنزل الله — تعالى —: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ .

^١ - ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٣٨ .

^٢ - سورة المجادلة : جزء من آية ٨ .

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٧ ص ٣٤٢ .

^٤ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : الأدب ، باب : لم يكن للنبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ؛ ينظر: فتح الباري جـ ١٦ ص ٣٢٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم جـ ٨ ص ٩ ، ٢١٦٥ .

^٥ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة المجادلة جـ ٥ ص ٢٤٤ ح ٣٣٠١ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الأدب ، باب : رد السلام على أهل التمة جـ ٣ ص ٣٠٦ ح ٣٦٩٧ ، وأخرجه ابن أبي شيبة بلخوه في المصنف - كتاب : الأدب ، باب : رد السلام على أهل =

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾^(١) جمع الخطيب الشربيني ما استطاع من أسباب النزول ؛ فقال^(٢) : " واختلف في سبب نزول سورة قل أعوذ برب الفلق" فقال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما - : كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فدنت إليه اليهود فلم يزالوا به ؛ حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه وأعطاهم اليهود ، فسحروه فيها ، وتولى ذلك ليبيد بن الأعصم رجل من اليهود ؛ فنزلت هذه قل أعوذ برب الفلق" فيه^(٣) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - : (أن النبي ﷺ طب ؛ أي : سحر ؛ حتى كأنه يخيل إليه أنه صنع شيئاً وما صنعه وأنه دعا ربه ، ثم قال : أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه ، فقالت عائشة - رضي الله عنها - : وما ذلك : يا رسول الله ؟ قال : جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال الآخر : مطبوب ، قال : من طبه ؟ قال : ليبيد بن الأعصم ، قال : في ماذا ؟ قال : في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ، قال : فأين هو ؟ قال : في دروان ، ودروان بنر بني زريق ، قالت عائشة - رضي الله عنها - : فأتاها الرسول ﷺ ثم رجع إلى عائشة ؛ فقال : والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين ، قالت :

-الذمة؛ ينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العسلي المتوفى ٢٣٥ هـ ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م الثانية ج٥ ص ٢٥١ ح ٢٥٧٥١ .

١ - سورة الفلق: آية ١ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٦٩ .

٣ - ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨١ .

فقلت: يا رسول الله، هل أخرجه ؟ قال أما أنا فقد شفاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس منه شراً^(١).

وعن زيد بن أرقم قال: (سحر النبي ﷺ رجل من اليهود؛ فاشتكى ذلك أياماً وأتاه جبريل - عليه السلام - فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً في بئر كذا وكذا. فأرسل رسول الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة ، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، قال: فما ذكر ذلك اليهودي ولا أرى وجهه قط)^(٢) وروى: (أنه كان تحت صخرة في البئر، فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيها مشاطة من رأسه ﷺ وأسنان مشطه)^(٣). وعن مقاتل والكلبي^(٤): كان ذلك في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة، وقيل^(٥): كانت مغروزة بالإبرة ؛ فأنزل الله

^١ - أخرجه البخاري في صحيحه - ، كتاب: يده الخلق ، باب: صفة إبليس وجنوده ، وكتاب: الطب، باب: السحر وكتاب: الأدب، باب: قوله - تعالى - : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان .. الآية ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٩ ص ٥٢٥ ح ٣٢٦٨، جـ ١٦ ص ٤٥ - ح ٥٣ ح ٥٧٦٣، جـ ١٦ ص ٣٦٢، ح ٣٦٣ ح ٦٠٦٣، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: السلام ، باب: السحر جـ ٤ ص ٢١، ٢٢ ح ٢١٨٩.

^٢ - أخرجه النسائي في سننه - كتاب: تحريم الدم ، باب: سحر أهل الكتاب جـ ٤ ص ٣١ ح ٤٠٩١ ، وقال محققوه: صحيح ، وأخرجه أحمد في مسنده ، مسند زيد بن أبي أرفع جـ ١٤ ص ٤٢٥ - ٤٢٧ ح ١٩١٦٣ ، ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب: الحدود ، باب: ما جاء في الساحر جـ ٦ ص ٤٣٦ ح ١٠٦٩١، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسناد ورجال أحدها رجال الصحيح .

^٣ - ذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٣٨١ .

^٤ - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، باب الرقية بكتاب الله ؛ ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر بن الحسين البيهقي ٣٨٤ - ٤٥٨ هـ، تحقيق: عبد العاطي قلجى ، ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م جـ ٧ ص ٩٤ من رواية عائشة .

^٥ - ذكره الواحدى في أسباب النزول ص ٣٨١ .

فأنزل الله هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية؛ سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها؛ فقام ﷺ كأنما نشط من عقال. وروى: أنه لبث فيه سنة أشهر اشتد عليه بثلاث ليال فنزلت المعوذتان. وروى^(١): أنه كان يخيل له أنه يطأ زوجاته، وليس بواطيء؛ قال سفيان: وهذا أئمد ما يكون من السحر.

وعن أبي سعيد الخدري: (أن جبريل - عليه السلام - أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم؛ قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، والله يشفيك باسم الله أرقيك)^(٢) .

وهكذا نجد الشيخ الخطيب الشربيني عند شرحه لكثير من الآيات القرآنية يرصد ما يستطيع جمعه من أسباب النزول فينقلها لنا معزوة إلى قائلها دون ترجيح أحدها أو مناقشتها وتصحيحها.

٢- ذكر الأسباب دون عزوها إلى قائلها:

المنتبج لتفسير الخطيب الشربيني يجده يذكر أسباباً لنزول الآية القرآنية دون عزو هذه الأقوال إلى قائلها؛ ومن أمثلة ذلك:

● ما كتبه عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْنَعُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْقَهُنَّ نُفُوسَهُمْ حَسَرَاتُكُمْ يُغْنِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾^(٣) إذ يقول في سبب نزولها^(٤):

^١ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر؟ جزء من رواية عن عائشة؛ ينظر فتح الباري ج ١٦ ص ٥٦ ح ٥٧٦٥، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨١.

^٢ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: السلام، باب: الطب والمرضى والرفى ج ٤ ص ٢٠ ح ٢١٨٦.

^٣ - سورة الأنفال: جزء من آية.

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٣٣٣.

نزلت في المطعمين يوم بدر ، وكانوا إثني عشر رجلاً منهم : أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وكلهم من قريش ، وكان يطعم كل واحد منهم أيام بدر عشر جزائر ، أو في أبي سفيان ؛ استأجر يوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش أي : اتخذ جيشاً ، وأفق عليهم أربعين أوقية ، والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً ، أو في أصحاب العير ؛ فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم : أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعننا نذكر ثأرنا ففعلوا^(١).

● وحينما تناول بالتفسير قوله - تعالى : ﴿ وَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بُوَ الذِّهِهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) قال الخطيب الشربيني^(٣) : " نزلت هذه الآية في سعد ابن أبي وقاص الزهري وأمه حمزة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس : روى أنها لما سمعت بإسلامه قالت له : يا سعد بلغني أنك قد صبات؛ فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح - وهو بكسر الصاد المعجمة وبحاء مهملة - : الشمس والريح ، وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب أولادها إليها فأبى سعد وليثت ثلاثة أيام لا تنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب فلم يطعها سعد ، بل قال : والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد ﷺ ثم جاء سعد إلى النبي ﷺ وشكا إليه

^١ - ذكر الواحدى الأسباب الثلاثة في أسباب النزول ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، نسب الأول لمقاتل والكلبي ، والثاني لسعيد بن جبير ، والثالث لمحمد بن اسحاق .

^٢ - سورة العنكبوت : آية ٨ .

^٣ - ينظر : السراج المنير ج ٥ ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ .

فنزلت هذه الآية، وهي التي في لقمان والتي في الأحقاف ؛ فأمره ﷺ أن يداريها ويترضاها بالإحسان^(١) .

● وفي تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُويَ بَنَاتَهُ ﴾^(٢) قال الخطيب الشربيني^(٣) : " وقيل نزلت في عدى بن ربيعة حليف بني زهرة خال الأخنس بن شريق الثقفي وذلك أن عديا أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك ؛ فقال^(٤) : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب ، وعندما تسفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض ؟! ولهذا كان النبي ﷺ يقول: اللهم اكفني جاري السوء عدى بن ربيعة و الأخنس بن شريق . وقيل نزلت في عدو الله أبي جهل ؛ أنكر البعث بعد الموت وذكر العظام " .

وهكذا في مواضع عديدة يستفيض الخطيب الشربيني في ذكر أسباب النزول دون أن يعزو ما يذكره من آراء إلى قائلها أو يناقشها أو يصححها أو يرجح أحدها.

٣- ذكره لمن أخرج أسباب النزول من أصحاب كتب السنة:

وقد يذكر الخطيب الشربيني أحيانا أسباب النزول معزوة إلى من خرجها من أصحاب كتب السنة؛ ومثال ذلك:

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : فضائل الصحابة ، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - بلفظ آخر في حديث طويل فيه أربع قصص لأربع آيات نزلت في سعد بن أبي وقاص ، ج٤ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ح ١٧٤٨ .

^٢ - سورة القيامة: آية ٣.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

^٤ - ذكره الوليد في أسباب النزول ص ٣٦٤ .

• قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(١) عند ذكره لسبب نزول الآية الكريمة ؛ قال الخطيب الشربيني^(٢) : " وفي مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ : (أمره بالتوحيد ؛ فقال : لولا أن تعيرني قريش ؛ تقول : إنما حملة على ذلك الجزع - لأقررت بها عينك ؛ فأنزل الله - تعالى الآية)^(٣) " .

• وقوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(٤) عند ذكره لأسباب النزول ؛ قال^(٥) : " وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : "مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : أصبح من الناس شاكروا ومنهم كافر ؛ فقال بعضهم : هذه رحمة الله - تعالى - وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا ؛ قال : فنزلت هذه الآية ﴿ فَمَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾^(٦) " .

^١ - سورة القصص : آية ٥٦ .

^٢ - ينظر : السراج المنير ج ٥ ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ .

^٣ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزاع وهو العرغرة ، ونسخ جواز الاستغفار للمشركون ، والدليل على أن من مات على الشرك فهو في أصحاب الحميم ولا يلقاه من ذلك شيء من الوسائل ج ١ ص ٦٢ ح (٢٥) .

^٤ - سورة الواقعة : آية ٨٢ .

^٥ - ينظر : السراج المنير ج ٧ ص ٣٠٠ .

^٦ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الإيمان ، باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنبوء ج ١ ص ٩١ ح ٧٣ .

● وقوله - تعالى - : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) ففي ذكر سبب نزولها قال ^(٢) : " روى البخارى عن زيد ابن أرقم قال : كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول : لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال : لئن رجعت إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؛ فذكرت ذلك لعمره فذكره عمى لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا ، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبنى ؛ فأصابنى هم لم يصبنى مثله ؛ فجلست فى بيتى ، فأنزل الله - عز و جل - " إذا جاءك المنافقون " إلى قوله تعالى " هم الذين يقولون لا تتفقوا على من عند رسول الله " وقوله (ليخرجن الأعز منها الأذل) فأرسل إلى رسول الله ﷺ ثم قال : (إن الله قد صدقك) ^(٣) .

و روى الترمذى عن زيد بن أرقم قال : (غزونا مع رسول الله ﷺ ، و كان معنا أناس من الأعراب يبتدر الماء ، و كان الأعراب يسيقونا فيسبق الأعرابى أصحابه فيملأ الحوض ، و يجعل حوله حجارة و يجعل النطع عليه حتى يجىء أصحابه ، قال : فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرعى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه ، فانتزع حجراً ففاض الماء ؛ فرفع الأعرابى خشبة فضرب بها رأس الأنصارى فشجّه ، فأتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين و أخبره و كان من أصحابه ؛ فغضب عبد الله بن أبى ، ثم قال : لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، يعنى : الأعراب و كانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام ، فقال عبد الله : إذا انفضوا من عند محمد فانتوا محمد بالطعام ، فليأكل هو و أنا ردف عمى فسمعت عبد الله بن أبى

١ - سورة المنافقون : آية ٢ .

٢ - ينظر : السراج المنير جـ ٧ ص ٤٤٠ ، ٤٣٩ .

٣ - أخرجه البخارى - كتاب : التفسير ، باب : قوله : سورة المنافقين جـ ١٤ ص

٣٧ - ٤٠ ح ٤٩٠٠ ، وأخرجه مسلم بنحوه فى كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم جـ ٤

ص ٤٤٦ ح ٢٧٧٢ .

فأخبرت عمى فأنطلق فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف و جحد، قال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله و كذلك المنافقون، قال: فوقع على من جرائتهم ما لم يقع على أحد، قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفقت رأسي من الهم، إذا أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني، و ضحك في وجهي فكان ما يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً إلا أنه عرك في أذني و ضحك في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر؛ فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين^(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

٤ - تصحيح سبب النزول:

و أحياناً يذكر الخطيب الشربيني سبب النزول ثم يصححه.

● ومثال ذلك ما كتبه في تفسيره لقوله — تعالى —: وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ^(٢) قال الخطيب الشربيني^(٣): " قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن النبي ﷺ قال ذات يوم: (ليت شعري ما فعل أبو أبي)^(٤) فنزلت هذه الآية؛ فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة و الاهتمام بأعداء الله — تعالى — لكن الخبر ضعيف و المختار أنها نزلت في كفار أهل الكتاب " .

^١ - أخرجه الترمذي في سننه — كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المنافقين جـ ٥ ص ٢٥١ ح ٣٣١٢ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم في المستدرک — كتاب : التفسير ، باب : تفسير سورة المنافقين جـ ٢ ص ٥٣١ ح ٣٨١٢ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

^٢ - سورة البقرة: من آية ١١٩ .

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٤١ ص ١٤٢ .

^٤ - ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٣ .

● و أيضاً يصحح سبب نزول قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طيباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(١) إذ يقول^(٢) : " واختلف في سبب نزول قوله - تعالى - : 'يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً' فقال البيضاوي^(٣) : نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفع الأطعمة و الملابس ؛ أي : لا على وجه التورع كما تفعله الصوفية ؛ وما قاله قول مرجوح ؛ كما قاله شيخنا القاضي زكرياء والمشهور أنه نزلت فيهم آية المائدة وهي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة ٨٧] وأما هذه الآية - يقصد آية البقرة - فإنها نزلت في الكفار الذين حرّموا البحائر و السوائب و الوصائل و نحوها و من ثم غير هنا - أي في آية البقرة - بيا أيها الناس و ثم - يقصد في آية المائدة - بيا أيها الذين آمنوا^(٤) .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَئِمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٥) يذكر سبب نزول هذه الآية فيقول^(٦) : " روى أنه - عليه الصلاة و السلام - بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ، ليخرج منها ناساً من المسلمين سرا ، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها (عناق) وكانت خليلته في الجاهلية ، فأنته و قالت : يا مرثد ألا تخلو ، فقال لها : نعم ،

١ - سورة البقرة: آية ١٦٨ .

٢ - ينظر : السراج المنير ج١ ص ١٧٦ بتصريف .

٣ - ينظر : حاشية زادة على البيضاوي ج٢ ص ٤١٣ .

٤ - أورده الواحدي في أسباب النزول ص ٣٤-٤٤ ج ١٦٨ ، من طريق الكلبي .

٥ - سورة البقرة: آية ٢٢١ .

٦ - ينظر : السراج المنير ج١ ص ٢٢٦ .

ولكن أستأمر رسول الله ﷺ، فلما رجع إليه ؛ قال: يا رسول الله أيجل لى أن أتزوج بها ؟ فأنزلت هذه الآية ^(١).

ثم يشير الخطيب الشربيني إلى أن ما ذكره هو الصحيح فى سبب نزول الآية ، ويرد ما رواه أبو داود وغيره ؛ فيقول ^(٢): " هذا ما أورده الواحدى ^(٣) وغيره، ولكن الذى رواه أبو داود وغيره أنه سبب فى نزول آية النور: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِنَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] الآية، والآية إن كانت شاملة للكتابات ، لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة ٤٥] وقد تزوج عثمان بنصرانية ؛ فأسلمت ، وتزوج حذيفة بيهودية ، وطلحة بن عبيد الله بنصرانية ."

^١ - أخرجه أبو داود فى سننه - كتاب : النكاح ، باب : قوله تعالى : الزانى لا ينكح إلا زانية - ج ٢ ص ٨٧٦ ح ٢٠٥١ ، وأخرجه الترمذى - كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النور - ج ٥ ص ١٧٣، ١٧٢ ح ٣١٧٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب : النكاح - ج ٢ ص ١٨٠ ح ٢٧٠١ ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

^٢ - ينظر: السراج المنير - ج ١ ص ٢٢٦ .

^٣ - أسباب النزول للواحدى ص ٥٩ ، ٦٠ .

موقفه من الأحكام الفقهية

يتضمن القرآن الكريم الأحكام الفقهية بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وكان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ يرجعون إليه ﷺ لفهم ما أشكل عليهم منها، ولما توفي ﷺ جذت للصحابة حوادث تتطلب أحكاماً شرعية، فكان أول ما يرجعون إليه لاستنباط هذه الأحكام هو القرآن الكريم، ثم إلى سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا فيها حكماً اجتهدوا وأعملوا رأيهم في ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة وما سمعوه ونقلوه عن النبي ﷺ، ونهج التابعون نهج الصحابة؛ فجمعوا أقوالهم وأضافوا إليها استنتاجاتهم التي عالجوا بها ما حدث في عصرهم من قضايا وأحداث، وظل الأمر على هذا إلى أن ظهر الأئمة الأربعة وغيرهم.

"وقد عني المفسرون بالأحكام الفقهية التي تضمنتها الآيات القرآنية ومنهم من أفرد لها مصنفات ذكر فيها الأحكام الفقهية فقط مع بيان أدلتها، وترجيح أدلة مذهبه والانتصار له، كما فعل أبو بكر الرازي^(١) من الحنفية المعروف بالخصائص في كتابه (أحكام القرآن)، ومن الشافعية أبو الحسن الطبري^(٢) المعروف بالكفا الهراسي في كتابه (أحكام القرآن)، وأبو بكر بن

^١ - هو أحمد بن علي الرازي أبو بكر الخصائص، فاضل من أهل الري سكن بغداد ومات فيها انتهت إليه رئاسة الحنفية وخطب في أن يلي القضاء فافتع وألف كتاب أحكام القرآن وكتاباً في أصول الفقه، توفي عام ٣٧٠ هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج١ ص ١٧١.

^٢ - هو علي بن محمد بن علي أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكفا الهراسي، فقيه شافعي، مفسر ولد في طبرستان، وسكن بغداد، من كتبه: أحكام القرآن، توفي عام ٥٠٤ هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج٤ ص ٣٢٩.

العربي^(١) من علماء المالكية في كتاب (أحكام القرآن)،^(٢).

وبعض المفسرين يعرضون أقوال الفقهاء أثناء تفسيرهم لآيات الأحكام ويبدعون بأقوال السلف التي تتناسب مع أقوال إمام مذهبهم ، وينتصرون لهذا المذهب ويطيّلون بذكر أدلته، والرد على المذاهب الأخرى وإبطال أدلتهم، كما فعل الألويسي^(٣) في تفسيره (روح المعاني) والفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) والقرطبي^(٤) في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وغيرهم.

والخطيب الشربيني من المفسرين الذين اهتموا بالأحكام الفقهية في تفسيرهم للقرآن الكريم لكنه لا يتوسع في عرضها ولا يستفيض في عرض ومناقشة الاختلافات بين المذاهب الفقهية إلا قليلا، وإنما يتناول المسائل الفقهية بما يعين على فهم المراد من الآية الكريمة ؛ فعندما تتبع آيات الأحكام في تفسيره وجدته يعرض الآراء الفقهية أحيانا دون عزوها إلى قائلها، وأحيانا يناقش الآراء ويرجح أحدها ، وكثيرا ما يقتصر على الرأي

١ - هو محمد بن عبد الله بن محمد الأنسيلي المالكي ، أبو بكر بن العربي ، قاض ، من حفاظ الحديث، برع في الكتب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، من مصنفاته أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ والإنصاف في مسائل الخلاف ، توفي عام ٥٤٣هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج٦ ص ٢٣٠.

٢ - مستقى من مقدمة أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٤٦٨ - ٥٤٣هـ - ط . دار الفكر بيروت لبنان ، الجزء الأول ص ١٢٠ ح بتصرف.

٣ - هو محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي ، شهاب الدين أبو الشتاء ، مفسر، محدث، أديب ، من كتبه روح المعاني في التفسير ومقامات في التصوف والأخلاق ، توفي سنة ١٢٧ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج٧ ص ١٧٦ .

٤ - هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين ، من أهم كتبه: الجامع لأحكام القرآن ويعرف بتفسير القرطبي، توفي سنة ٦٧١ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج٥ ص ٣٢٢.

الذى يختاره، وغالبا ما يكون رأى أصحابه ؛ فهو يميل لمذهبه الشافعى^(١)،
وتتبلور رؤيته للأحكام الفقهية فى تفسيره على النحو التالى :

- ١- يميل لمذهبه الشافعى.
 - ٢- لا يتوسع فى عرض المذاهب الفقهية.
 - ٣- يعرض الأقوال ويناقشها.
 - ٤- يعرض الأقوال ويناقشها ويرجح أحدها.
- وفى ما يلى أتناول هذه الاتجاهات بالأمثلة من تفسيره:

١- يميل لمذهبه الشافعى:

الخطيب الشربى شافعى المذهب ، يعتمد فى الفقه والأحكام على
المذهب الشافعى بصورة رئيسة ؛ فإذا أتى على الآيات التى تتناول أحكاما
اهتم بعرض رأى الشافعى ، وقد يقتصر عليه ، وقد يعرض أقوال أهل العلم
فى معناها ، وما يتعلق بها من قضايا فقهية ولكنه يقدم رأى الشافعى ،
وأحيانا يحقق الأقوال ويرجح ويقارن ، ولكنه فى اختياراته يميل غالبا
للمذهب الشافعى ويتضح هذا من الأمثلة الآتية:

أ- القرء:

يقول الخطيب الشربى فى تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ
يُتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^(٢) : "تمضى من حين الطلاق ، جمع قرء
بفتح القاف وضمها ، وهو يطلق للحيض لقوله - عليه الصلاة والسلام -

^١ - المذهب الشافعى هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة الكبرى فى العالم
الإسلامى ، وسمى بالمذهب الشافعى نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى رحمه
الله ؛ ينظر : التعريفات للجزائى ص ١٢٥ .

^٢ - سورة البقرة : جزء من آية ٢٢٨ .

^٣ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٣٢٢ .

كما رواه أبو داود وغيره : (دعى الصلاة أيام أقرائك)^(١) وللطهر الفاصل بين حيضتين وهو المراد في الآية ؛ لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال العلماء .

فالخطيب الشربيني هنا فسر القرء في الآية بالطهر كما هو مذهب الإمامين مالك^(٢) والشافعي ، لا بالحيض كما هو مذهب الإمامين أبي حنيفة وأحمد .

ب - الرشد :

يرى الخطيب الشربيني أن المراد بالرشد في آية النساء صلاح العقل والدين والأموال ، فيقول عند تفسيره قوله - تعالى - : ﴿ فَإِنْ أَنْسَمَ ﴾^(٣) أي : " أبصرتم ، منهم رشداً " وهو صلاح الدين والمال ؛ أما صلاح الدين فلا يرتكب محرماً يسقط العدالة من كبيرة أو إصرار على صغيرة ويعتبر في رشد الكافر في دينه ، وأما صلاح المال فلا يضيعه بالقائه في بحر أو بصرفه في محرّم أو باحتمال الغبن الفاحش في المعاملة ونحوه ، وليس صرفه في الخير بتبذير ، ولا صرفه في الثياب والأطعمة النفيسة وشراء الجوارى والاستمتاع بهن ؛ لأن المال يتخذ لينتفع به^(٤) .

١ - أخرجه مسلم في كتاب : الحيض ، باب : المستحاضة وعللها وصلاتها جزء من حديث ٣٣٣ ج ١ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ بلفظ " فإذا قيلت الحيضة فدعى الصلاة " ، وأبو داود في سننه - كتاب : الطهارة ، باب : من قال تغتسل من طهر إلى طهر ج ١ ص ١٥٦ ح ٢٩٧ .

٢ - هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي المدني ، إمام دار الهجرة ، أحد أئمة المذاهب المتبعة ، من تابعي التابعين توفي سنة ١٧٩ هـ ؛ ينظر : سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي شمس الدين ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط . مؤسسة الرسالة - بيروت السابعة ج ٦ ص ١٥٩ .

٣ - سورة النساء : جزء من آية ٦ .

٤ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٤٤١ .

فالخطيب هنا يميل أيضاً للشافعية في هذه المسألة، وهذا بخلاف قول الأحناف ؛ فالمقصود بالرشد عندهم العقل.

ج- حد الزنا:

يقول الخطيب الشربيني في تفسيره قوله - تعالى - : ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(١) : "أى طريقاً إلى الخروج منها ، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل الله لهن سبيلاً بجلد البكر مائة وتخريبها عاماً ورجم المحصن ، وفي الحديث لما بين الحد قال : (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً)^(٢) رواه مسلم".

وعلى هذا نجد مقتصر على مذهب الشافعي ؛ لأنه هو الذي زاد في غير المحصن تخريب عام للحديث.

د - اشتراط الإيمان في الرقبة:

"ويقول في كفارة الظهار عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٣) : "أى فعلتهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير رقبة مؤمنة فلا تجزئ كافرة، قال - تعالى - في كفارة القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٤) وألحق بها غيرها قياساً عليها بجامع حرمة سببهما من القتل والظهار، أو حملاً للمطلق على المقيد كما في حمل المطلق في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا

١ - سورة النساء: جزء من آية ١٥.

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٤٩، ٤٥٠.

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: الحدود ، باب: حد الزنا ج٣ ص ١٧٢ ح ١٦٩٠.

٤ - سورة المجادلة: جزء من آية ٣.

٥ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٣٣٥.

٦ - سورة النساء: جزء من آية ٩٢.

شَهِيدِينَ مِنْ رَجَالِكُمْ^(١) عَلَى الْمُقِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوِي عَدْلِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

وهكذا يشترط فيها الإيمان بقياساً على كفارة القتل على رأى الشافعى.

هـ- نصيب قرابة الرسول ﷺ فى الفىء:

كما يأخذ الخطيب الشربيني برأى الشافعى فى عدم إسقاط حق قرابة رسول الله ﷺ بوفاته ولو كانوا أغنياء ؛ فعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^(٣) يقول^(٤): "ولذى القربى أى: منه وهم مؤمنو بنى هاشم وبنى عبد المطلب ؛ لاقتصاره فى انقسم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عمهم نوفل وعبد شمس له ولقوله ﷺ: (أما بنو هاشم وبنو عبد المطلب فثنىء واحد، وشبك بين أصابعه)^(٥) فيعطون ولو أغنياء لأنه ﷺ أعطى العباس وكان غنياً".

وهذا رأى الشافعى فى قسم الفىء إذ يرى إعطاء قرابة النبى ﷺ بعد وفاته ولو كانوا أغنياء.

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢.

٢ - سورة الطلاق: جزء من آية ٢.

٣ - سورة الحشر: جزء من آية ٧.

٤ - ينظر: السراج المنير ج٧ ص ٣٦٧.

٥ - أخرجه البخارى فى صحيحه — كتاب: فرض الخمس ؛ باب: ومن الدليل على أن الخمس للإمام وأنه يعطى بعض قرابته دون بعض ، ما قسم النبى ﷺ لبنى المطلب وبنى هاشم من خمس خيبر ؛ ينظر: فتح البارى ج٩ ص ٣٢٩ — ٣٣٢ ح ٣١٤٠ بلفظ آخر.

٢- لا يتوسع في عرضه للمذاهب الفقهية:

المنتبع لآيات الأحكام في تفسير الخطيب الشربيني يجدد لا يتوسع في عرض المذاهب الفقهية ، ولا يكثر من ذكر الفروع ، فكثيرا ما يتناول الحكم الفقهي بما يعين على فهم الآية فقط ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَتَكَفَّوْا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَوْمُنَا ۖ ﴾^(١) يقول^(٢) : " أى ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهذا على صومه بإجماع .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ ﴾^(٣)

يقول^(٤) : وبَيَّنَّتِ السُّنَّةُ^(٥) أن دية الخطأ مائة، من الإبل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢١.

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٢٧.

٣ - سورة النساء: جزء من آية ٩٢.

٤ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٠٦.

٥ - أخرج الترمذي في سننه - كتاب: الديات ، باب : ما جاء في الدية كم هي من الإبل ج٣ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ح ١٣٨٦ ، عن ابن مسعود ، قال : قضى رسول الله ﷺ في دية الخطأ عشرين بنت مخاض ، وعشرين بنى مخاض ذكورا ، وعشرين بنت لبون ، وعشرين جذعة ، وعشرين حقة " وقال أبو عيسى : حديث ابن مسعود لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد روى عن عبد الله موقوفاً ، وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب الديات ، باب : الدية كم هي ؟ ج٤ ص ١٩٤٨ ح ٥٤٥٤ ، وأخرج البخاري في صحيحه - كتاب: الديات ، باب : جنين المرأة - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قتلتي امرأتان من هذيل رمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلها وما في بطنها ، فاختصموا إلى النبي ﷺ ففضى أن دية جنبها غرة عبد أو وليدة ، وفضى أن دية المرأة على عاقلتها ، ينظر: فتح الباري ج١٨ ص ٣٥٣ ح ٦٩١٠ .

جذعة، وأن عاقلة القائل تتحملها عنه وهم عصبيته لا أصله وفرعه موزعة عليهم على ثلاث سنين على الفتى منهم نصف دينار والمتوسط ربع دينار كل سنة فإن لم يفوا فبيت المال".

● وعندما بين كفارة اليمين في قوله - تعالى - : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ﴾^(١) يقول^(٢) : "أى: لكل مسكين مَدَّ عندنا ونصف صاع عند أبى حنيفة^(٣) رحمه الله".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾^(٤) يقول^(٥) : "ويؤخذ من ذلك أن إجابته ﷺ بالقول: لا تقطع الصلاة وهو كذلك، بل ولا بالفعل الكثير كما قال بعض أصحابنا وهو ظاهر الحديث^(٦) أيضاً".

١ - سورة المائدة: جزء من آية ٨٩.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٢٥.

٣ - هو النعمان بن ثابت بن روطي بن ماة الفقيه الكوفي ولد سنة ٨٠ هـ، كان إماماً في الفقه والقياس، توفي سنة ١٥٠ هـ؛ ينظر: شذرات الذهب ج١ ص ٢٢٧.

٤ - سورة الأنفال: جزء من آية ٢٤.

٥ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٢٥.

٦ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله - استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم - ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم للسر في القرآن قبل أن يخرج من المسجد. ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني، والقرآن الذي أوتيته - وفي كتاب: التفسير أيضاً، باب: "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وآله إليه تحشرون" -

فهو هنا يقتصر على رأى أصحابه الشافعية.

● وكذلك عند شرحه لحد الزنا فى قوله - تعالى - : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ^(١) يقول ^(٢) : " أى ضربة ؛ يقال: جلده إذا ضرب جلدة ، ويزاد على ذلك تغريب عام ، والرقيق على النصف مما ذكر ، ولا رجم عليه لأنه لا ينتصف " .

وهكذا كثيرا ما نجد الخطيب الشربيني يذكر الحكم الشرعى باختصار ؛ فلا ينسب الأقوال ، ولا يفصل الآراء .

٣- يعرض الأقوال ولا يناقشها :

أحيانا يعرض الخطيب الشربيني الآيات دون أن يناقشها أو يرجح أحدها ، ويكتفى فقط بسرد الأقوال المتعلقة بتلك المسألة الفقهية ، ومن أمثلة ذلك :

● عندما فسّر قوله - تعالى - : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ^(٣) يقول ^(٤) : " فمن فرض " على نفسه " فيهن الحج " بالإحرام به عندما أو بالثبوتية أو بسوق الهذلى عند أبى حنيفة ، وفيه دليل على أن من أحرم بالحج فى غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج ، وهو قول ابن عباس وجماعة من

^١ - الرواية نفسها بتقديم وتأخير ، ينظر : فتح البارى ج ١٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٩ ح ٤٤٧٤ ، ج ١٣ ص ١١٤ ح ٤٦٤٧ .

١ - سورة النور: جزء من آية ٢ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج ٤ ص ٣٦٥ .

٣ - سورة البقرة: جزء من آية ١٩٧ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٠٦، ٢٠٥ .

الصحابه ، وإليه ذهب الأوزاعي^(١) والشافعي ، وقال : ينعقد إحرامه عمره ؛ لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بفرض الحج فيها ، فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه تعالى علق الصلاة بالموافقة ، ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لم ينعقد إحرامه عن الفرض ، وإنما انعقد عمره لأن الإحرام شديد التعلق ، وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة ، أما العمرة فجميع السنة وقت لها إلا أن يكون عليه بقية من أعمال الحج كالرمي .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فإِنْ أَلَّفَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) يعرض الآراء في مسألة وقوع الطلاق بعد انتهاء مدة الإيلاء^(٣) فيقول^(٤) : " وإن عزموا الطلاق" أي صمموا عليه بأن لم يفئوا فليوقعوه ، فإن الله سميع لقولهم 'عليم' بعزمهم أي: ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفينة أو الطلاق ، ففيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها؛ لأنه شرط العزم وقال: فإن الله سميع فدل على أنه يقتضي مسموعاً، والمقول هو الذي يُسمع ، وقال بعض العلماء: إذا مضت أربعة أشهر يقع عليه طلاقه بآئنة ، وهو قول ابن عباس وأصحاب الرأي^(٥) ، وقال

١ - هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي النخعي ، ولد سنة ٨٨ هـ ببغداد وهو من فقهاء المحدثين ، أقام بدمشق ثم تحول إلى بيروت فسكنها مرابطاً إلى أن توفي بها ١٥٧ هـ ؛ ينظر : معجم المؤلفين ج ٥ ص ١٦٣ .

٢ - سورة البقرة: آية ٢٢٧ .

٣ - هو البمين على ترك وطء المنكوحة مدة ؛ مثل والله لا أحامك أربعة أشهر ؛ ينظر : التعريفات للجرجاني ص ٥٩ ، ٦٠ .

٤ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٢٣٢ .

٥ - ذكره الطبري في تفسيره للآية نفسها عن ابن عباس وعلى وابن مسعود وقادة - رضي الله عنهم ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

سعيد بن المسيب والزهرى^(١) : يقع عليه طلاق واحدة رجعية ، ولو حلف ألا يظأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مؤلماً ، بل حالفاً ، إذا وطئها قبل مضى تلك المدة وجبت عليه كفارة يمين إذا كان الحلف بالله ، ولا يختص الإيلاء بالحلف بالله تعالى ، فلو قال لزوجته: إن وطئتك فعبدي حر ، أو ضرتك طالق ، أو لله على عتق رقبة أو صوم أو صلاة ، فهو مولد لأن المولى من يلزمه أمر يمتنع بسببه من الوطء .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾^(٢) يعرض الآراء الفقهية فى مسألة الشهادة فيقول^(٣) : " شَهِيدَيْنِ " أى شاهدين " مِنْ رَجَالِكُمْ " أى اليالغين الأحرار والمسلمين دون الصبيان والعبيد والكفار ، وأجاز أبو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض "فإن لم يكونا" أى: الشاهدان "رجلين فرجل" أى : فليشهدوا والمستشهد رجل "وامرأتان".

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال فى الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين ، واختلفوا فى غير الأموال ؛ فذهب جماعة إلى أنه يجوز شهادتان مع الرجال فى غير العقوبات وهو قول سفيان الثورى^(٤) وأصحاب الرأى ، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عتلين ، وذهب الشافعى إلى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع

١ - المرجع السابق ص ٢٦٠ .

٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢ .

٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٩٦، ٢٩٥ .

٤ - هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بنى عبد مناة أمير المؤمنين فى الحديث ، كان رأساً فى التقوى طلبه المنصور ثم المهدي ليلى للحكم فتوارى منهما سنين ، مات بالبصرة مستخفياً ، ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى سنة ١٦١ هـ ، من مصنفاته: الجامع الكبير والجامع الصغير فى الحديث ؛ ينظر الأعلام للزركلى ج ٣ ص ١٠٤ .

والثبوتية والبكارة ونحوها تثبت بشهادة رجل وامرأتين وشهادة أربع نسوة،
واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات.

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(١) فيعرض آراء العلماء فيها إذا كان أحد
الزوجين رقيقاً فيقول^(٢): "تنبيه: اختلف العلماء فيما إذا كان أحد الزوجين
رقيقاً؛ فذهب الأكثر ومنهم الشافعي - رضى الله تعالى عنه - إلى أنه يعتبر
عند الطلاق بالزوج؛ فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلاقات، والعبد لا
يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين. وذهب الأقل ومنهم أبو حنيفة - رضى
الله تعالى عنه - إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق كالعدة، فيملك العبد
على زوجته الحرة ثلاث طلاقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا
طلقتين".

٤- يعرض الآراء ويناقشها ويرجح أحدها:

نادراً ما يناقش الخطيب الشربيني في تفسيره الآراء المتعلقة بالمسائل
الفقهية ويختار أحدها، ومن هذه المواضع النادرة ما يأتي:

● عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾^(٣) يذكر خلاف الشافعي وأبي حنيفة في بلوغ الهدي محله،
ويرد على ما ذهب إليه أبو حنيفة من قول الشافعي الذي اختاره فيقول^(٤):
"وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ" أي: لا تحلقوا حتى تعلموا أن
الهدي المبعوث إلى الحرم "يبلغ محله": أي مكانه الذي يجب أن يُذبح فيه،

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٩.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٣٤.

٣ - سورة البقرة: جزء من آية ١٩٦.

٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٠٤.

وحمل الأولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلاً كان أو حرماً، لكن يندب إرساله إلى الحرم خروجاً من خلاف أبي حنيفة. واقتصاره تعالى على الهدى دليل عدم القضاء كما قاله الشافعي، وذهب أبو حنيفة إلى وجوب القضاء، ولا يد من نية التحلل عند الذبح، أو الخلق أو التقصير بعده مع نية التحلل، وبذلك يحصل التحلل . والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾^(١) يراد على أهل الظاهر القائلين بأنه يجب على المسافر أن يفطر كما يجب عليه قصر الصلاة في السفر ويصوم عدة من أيام أخر، فيقول الخطيب الشربيني: ^(٢) "واختلفوا هل الفطر في السفر أفضل أو الصوم؟ والأصح أنه إن شق عليه الصوم فالفطر أفضل وإلا فالصوم، وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين أنهم قالوا: لا يجوز الصوم في السفر، ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقول النبي ﷺ: (ليس من البر الصيام في السفر)^(٣) وأجاب الأول عن الحديث بأنه محمول على من يشق عليه الصوم فقول جابر بن عبد الله — رضى الله — تعالى — عنه — أن

١ - سورة البقرة: جزء من آية ١٨٥.

٢ - ينظر السراج المنير: ج ١ ص ١٩٠.

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه — كتاب: الصوم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن ظلل عليه ولتشد الحر ليس من البر الصوم في السفر؛ ينظر فتح الباري ج ٦ ص ٣٣١ — ٣٣٦ ح ١٩٤٦، أخرجه مسلم في صحيحه — كتاب: الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان مسافراً مرحلتين فأكثر وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم ولمن يشق عليه أن يفطر ج ٢ ص ٢١٧ ح ١١١٥.

رسول الله ﷺ كان في سفر فرأى رجلاً قد ظلل عليه فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا صائم فقال ﷺ: (ليس من البرّ الصيام في السفر) ، والدليل على جواز الصوم في السفر قول أبي سعيد - رضي الله - تعالى - عنه -: " كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم" (١).

● ومن المواضع التي يناقش المسألة الفقهية فيها أيضاً ويدلل على الرأي الراجح ما قاله عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ (٢) حيث يتناول مسألة الخلع (٣) فيقول بعد انتهائه من تفسير الآية (٤): "تنبيه: ظاهر الآية يدل على أن الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق، ولا بجميع ما ساق الزوج إليها، فضلاً عن الزائد، ويؤيد ذلك قوله ﷺ كما رواه البيهقي: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس - أي: ضرر - فحرام عليها رائحة الجنة) (٥) وما روى أنه ﷺ قال لجميلة: (أتردين

١ - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب: الصيام ، باب: لم يعب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم بعضاً في الصوم والإفطار ؛ ينظر: فتح الباري ج٦ ص ٣٣٧ ح ١٩٤٧ أو أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: الصوم ، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان في سفره مرحلتان فأكثر وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم ولمن يشق عليه أن يفطر ج٢ ص ٢١٨ ح ١١١٦ .

٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٩.

٣ - هو إزالة ملك النكاح بأخذ المال ، ينظر التعريفات للجزائري ص ١٣٥ .

٤ - ينظر السراج المنير: ج١ ص ٢٣٦ .

٥ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب: الطلاق واللعان، باب: ما جاء في المختلعات ج٣ ص ٣٢٠ ح ١٢٨٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في سننه - كتاب: الطلاق ، باب: في الخلع ج٢ ص ٢٧٦، ٢٧٥ ح ٢٢٢٦ ، وأخرجه

عليه حديثه؟ فقالت: أردتها وأزيد عليها، فقال عليه الصلاة والسلام: أما الزائد فلا^(١) فالجمهور استكروهوا الخلع، ولكن نفوه فإن المنع عن العقد لا يدل على فسادِه وإنه يصح بلفظ المقاداة فإنه سماه افتداءً“.

ابن ماجه في سننه - كتاب: الطلاق ، باب : كراهية الخلع للمرأة - ج ١ ص ٦٦٢ ح ٢٠٥٥ ، أخرجه الدارمي في سننه - كتاب : الطلاق ، باب : النهي عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها - ج ٢ ص ٨ ح ٢٢٧٠ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب: الطلاق - ج ٢ ص ٢١٨ ح ٢٨٠٩ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

١ - أخرجه البخاري في - كتاب : الطلاق ، باب : الخلع وكيف الطلاق فيه ح ٥٢٧٣ ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ ص ٣٨.

موقفه من النسخ

تعريف النسخ:

النسخ في اللغة:

" النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه . وفي التنزيل: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ ^(١) والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة.

والنسخ : نقل الشيء من الشيء وهو غيره.

والنسخ : نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو .

ونسخ الشيء بالشيء ينسخه وانتسخه: أزاله به وأداله، والشيء ينسخ الشيء نسخاً ؛ أي : يزيله ويكون مكانه.

والنسخ أن تزيل أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره . ^(٢)

النسخ في الاصطلاح:

" رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي.

ومعنى رفع الحكم الشرعي: قطع تعلقه بأفعال المكلفين إما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير، وهذا هو الحكم التكليفي . ورفع جنس من التعريف: خرج عنه ما ليس برفع، كالتخصيص ^(٣) فإنه لا يرفع الحكم، بل يقصره على بعض أفرادهِ.

^١ - سورة البقرة: جزء من آية ١٠٦ .

^٢ - لسان العرب لابن منظور ج٣ ص ٦١.

^٣ - التخصيص: هو قصر العام على بعض منه بدليل مستقل مقترن به، واحتراز بالمستقل عن الاستثناء والشرط والغلبة والصفة فإنها وإن لحقت العام لا يسمى مخصوصاً . ويقول: "مقترن" عن النسخ ؛ نحو: خالق كل شيء ؛ إذ يعلم ضرورة أن الله - تعالى - مخصوص منه ؛ ينظر: التعريفات للخرجاني ص ٧٥، ٧٦ .

والحكم الشرعي: قيد أول خرج به ابتداء إيجاب العبادات في الشرع ، فإنه يرفع العقل ببراءة الذمة ؛ وذلك كإيجاب الصلاة ؛ فإنه رافع لبراءة ذمة الإنسان منها قبل ورود الشرع بها ، ومع ذلك لا يقال نسخ .
وبدليل شرعي : قيد ثان ، خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي ؛ وذلك سقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفله .^(١)

أهمية النسخ:

من رحمة الله - تعالى - بالأمّة الإسلامية أن يتدرج بها فيما يشرع لها من أحكام حتى يصل بالناس إلى الهداية والرخاء شيئاً فشيئاً ، فيتدرج بهم إلى الكمال وفقاً لما يجد من أحداث ، فتتزل الأحكام وفق اختلاف الزمان والمكان والأحوال ، فإذا شرع حكم في وقت وحال معين فمن الحكمة أن ينسخ بحكم آخر يوافق الحال والوقت الآخر ، فتقوم به المصلحة .

وقد أخبر القرآن الكريم بوجود النسخ في الآية الكريمة : ﴿ مَا نُنسخ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنسخها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلها أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢) فهذه الآية ومثيلاتها وجهت العلماء إلى البحث في المسائل المختلفة المتعلقة بالنسخ ، ومن أهمها بيان الآيات المنسوخة والناسخ لها ؛ فاهتم علماء الصحابة والتابعين ببيانها والحث على معرفتها .

" قال علي بن أبي طالب لقاص^٣ : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : الله أعلم قال : هلكت وأهلكت^(٤) "

" وقال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ^(٥) "

^١ - ينظر: مناهل العرفان للزرقاني جـ ٢ ص ١٧٦، ١٧٧ .

^٢ - سورة البقرة: آية ١٠٦ .

^٣ - ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ٢ ص ٢٩ .

^٤ - ينظر: الاتفاق للسيوطي جـ ٢ ص ٤٤ والبرهان للزركشي جـ ٢ ص ٢٩ .

وذكره الذهبي في العلوم التي يحتاج إليها المفسر؛ فقال^(١): "وبه يعلم المحكوم من غيره، ومن فقد هذه الناحية (يقصد الناسخ والمنسوخ) ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال، وقد أفرد بالتصنيف خلاص لا يحصون؛ منهم وأبو داود السجستاني^(٢)، وأبو جعفر النحاس^(٣) وابن الأنباري^(٤)، هبة الله بن سلامة^(٥)، ومكي^(٦)، وآخرون".^(٧)

^١ - ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢٧٦.

^٢ - هو سليمان بن الأشعث بن إسحق بن داود السجستاني، صاحب السنن توفي ٢٧٥هـ من مؤلفاته: السنن، للناسخ والمنسوخ، القدر، المراسيل؛ ينظر: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٣.

^٣ - هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري أبو جعفر، المعروف بالنحاس، أحد أئمة العلم واللغة بمصر توفي عام ٣٢٧هـ؛ من تصانيفه: معالي القرآن، إعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ؛ ينظر: معجم المؤلفين ج ١ ص ٢٥١.

^٤ - هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان، أبو بكر، ابن الأنباري؛ نحوي، لغوي، أديب، محدث، مفسر من كتبه: للناسخ والمنسوخ، والمشكل في معالي القرآن وإنباء الرواة توفي سنة ٣٢٨هـ؛ ينظر: معجم المفسرين لعادل نويس ج ٢ ص ٦٠٤.

^٥ - هو هبة الله بن سلامة بن أبي القاسم البغدادي، توفي عام ٤١٠هـ، مفسر، ضريز، له كتب؛ منها: الناسخ والمنسوخ في القرآن، والناسخ والمنسوخ من الحديث، والمسائل المنثورة في النحو؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٧٢.

^٦ - هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي المقرئ المتوفي ٤٣٧هـ؛ من مصنفاته: مشكل إعراب القرآن، وكتاب الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه، والكشف عن وجوه الفراءات وعظماها؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٨٦.

^٧ - يراجع: الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٤٤، والبرهان للزركشي ج ٢ ص ٣٨.

موقف العلماء من النسخ:

اختلف العلماء في قضية النسخ بين منكر له بالكلية كأبي مسلم الأصفهاني وغيره ، ومسرف فيه فيقول بالنسخ في كل ما ظاهره التعارض حتى أدخلوا في النسخ ما ليس منه كأبي جعفر النحاس في كتابه "الناسخ والمنسوخ" وهبة الله بن سلامة وغيرهما ، ومقتصد يقول بالنسخ فيقفون به موقف الضرورة التي يقتضيها وجود التعارض الحقيقي بين الأدلة مع معرفة المتقدم فيها والمتأخر .

أما المفسرون:

فقد أكثر بعضهم من الوقوف على الآيات المنسوخة وبيان ناسخها ؛ كالطبري والقرطبي والفخر الرازي .

وقد أفردوا مباحث تناولوا فيها الناسخ والمنسوخ ، ليس محلها علم التفسير ، بل محلها علوم أخرى ؛ كالأصول وعلوم القرآن ؛ فتناولوا حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه وما اتفق عليه منه ، وما اختلف فيه ، وفي جوازه عقلاً ووقوعه شرعاً ، وبماذا ينسخ ، وغير ذلك من أحكام النسخ .

أما الخطيب الشربيني فقد تناول تعريف النسخ لغة واصطلاحاً وفرق بينه وبين التخصيص ، كما أوضح رأيه في قضية النسخ ، وذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلُهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) فيقول^(٢) : " ما نسخ من آية فبين وجه الحكمة في النسخ بهذه الآية ، والنسخ في اللغة شيان ؛ أحدهما : بمعنى التحويل والنقل ؛ ومنه نسخ الكتاب ؛ وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب ؛ فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ ؛ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ . والثاني : بمعنى الرفع ؛ يقال : نسخت الشمس الظل أي : ذهبت عنه وأبطلته ؛ فعلى

^١ - سورة البقرة: آية ١٠٦ .

^٢ - ينظر : السراج المميز ج ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً وهو المراد من الآية ؛ وهذا على وجوه: أحدها: أن تثبت التلاوة وينسخ الحكم كآية الوصية للأقارب وآية عدة الوفاة بالحوال. والثاني: أن ترفع التلاوة ويبقى الحكم كآية الرجم. والثالث: أن يرفع الحكم والتلاوة كما روى: أن قومًا من الصحابة قاموا ليلة ليقرأوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ فغدوا إلى النبي ﷺ ؛ فأخبروه ؛ فقال ﷺ: تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها، وقيل: كانت سورة الأحزاب قبل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكمًا. ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت الميراث ، وعدة الوفاة نسخت من الحوال إلى أربعة أشهر وعشر، ومصابرة الواحد للعشرة بمصابرته للاثنتين. قال البغوي^١: والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الإخبار أ.هـ.

والنسخ اصطلاحاً: رفع تعلق حكم شرعي ، بدليل شرعي ويفارق التخصيص ؛ بأن التخصيص لا يرد إلا على متعدد وبأنه غير مشروط بالنص ، بخلاف النسخ فيهما، وبأنه يفيد عدم إرادة المخرج في الأصل والنسخ يفيد إرادة المنسوخ في الأصل لكن غير مستمر.

"أو ننسها" أي: تؤخرها فلا نقرل حكمها ولا نرفع تلاوتها ، أو تؤخرها في اللوح المحفوظ . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون الأولى وفتح السين وهمزة ساكنة بعد السين ولم يبدل هذه الهمزة أحد من السبعة ، وقرأ الباقيون بضم النون وكسر ولا همزة بعد السين ؛ أي: ننسها ؛ أي: نمنحها من قلبك، وقال ابن عباس - رضي الله - تعالى - عنه -: نتركها لا ننسخها قال - تعالى -: ﴿ تَسْأَلُ اللَّهَ فَتَنَسِيهِمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: تركوه فتركهم. وجواب الشرط "تأت بخير منها" أي: بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر

^١ - ينظر: تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل جـ ١ ص ٩٤ .

لأجركم ، وإن كان كلام الله كله خيراً "أو مثلهما" في التكليف والثواب والمنفعة ، وتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختبار "ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير. والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الإنزال؛ إذ الأصل اختصاص أن وما يتضمنها بالأمور المحتملة؛ وذلك: لأن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة ، وذلك يختلف باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش، فإن النافع في عصر قد يضر في غيره. واحتج بها من منع النسخ بلا بدل أو ببدل أثقل، ومن منع نسخ الكتاب بالسنة ؛ فإن الناسخ هو المأتي به بدلاً ، والسنة ليست كذلك ؛ قال البيضاوي^(١): والكل ضعيف ؛ إذ قد يكون عدم الحكم، والأثقل أصلح ، والنسخ قد يعرف بغيره ، والسنة ما أتى به الله. واستدل بهذه الآية المعترلة على حدوث القرآن؛ فإن التغير والتفاوت من لوازم الحدوث ؛ وأجاب أهل السنة بأنهما من عوارض الأمور المتعلقة بها المعنى القائم بالذات القديم لا من عوارض هذا المعنى...

وهكذا نجد الخطيب الشربيني يقول بجواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً، ويرد على من ينكره.

والخطيب الشربيني من المفسرين الذي اعتدلوا في إيضاح الآيات المنسوخة وبيان ناسخها، وباطلاعي على ما كتبه في تفسيره وجدت أن الآيات التي شملها هذا البحث (الناسخ والمنسوخ) في تفسيره بلغت ما يقرب من الخمسين آية من بينها الإحدى والعشرون آية التي ذكرها السيوطي في الإتقان واعتبرها من قبيل النسخ.

وقد اتجه الخطيب الشربيني في تناوله للنسخ عدة اتجاهات؛ أهمها:

١- يذكر الآية المنسوخة ويبين ناسخها.

^١ - ينظر: حاشية زاده على البيضاوي ج ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥ .

٢- يذكر آراء العلماء دون التعليق عليها.

٣- يذكر آراء العلماء ويوجهها.

٤- يبين الآيات التي تحتمل النسخ باعتبار والإحكام باعتبار آخر.

٥- يرد القول بالنسخ.

٦- يذكر النسخ في الآية بصيغ أخرى .

وتفصيل ذلك الآتي:

١- ما يذكر فيه أن الآية منسوخة ويبين ناسخها ؛ وله في ذلك عدة أمثلة أذكر منها:

● وكذلك عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قُتِلَ فِيهِ قُلٌ قَتَالَ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) يقول الخطيب الشربيني^(٢): "وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله — تعالى —: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٣)."

● وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾^(٤) يقول^(٥): "ولم تحل الغنائم لأحد قبل الإسلام ، بل كانت الأنبياء إذا غنموا مالا جمعوه؛ فتأتي نار من السماء تأخذه ، ثم

١ - سورة البقرة: آية ٢١٧.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٥٠.

٣ - سورة التوبة: جزء من آية ٥٢.

٤ - سورة الألفال: آية ٤١.

٥ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٣٣٦.

أُحِلَّتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وكانت في صدر الإسلام له خاصة ؛ لأنه كالمقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم، ثم نسخ ذلك واستقل الأمر على أنها تجعل خمسة أقسام متساوية .

● ومثال ذلك أيضا قوله — تعالى —: ﴿ وَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَذَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾^(١) فبعد انتهائه من شرح الآية يقول^(٢): "قال البغوي^(٣): وهذا منسوخ بآية القتال ."

● وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ {٢} نَصَفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا {٣} أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا^(٤) يقول^(٥): " وأو للتخيير ؛ فكان ﷺ مخيرا بين هذه المقادير الثلاثة، وكان ﷺ يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض أصحابه، واشتد ذلك عليهم حتى انتفضت أقدامهم ، وقد تقدم أن ذلك نسخ بإيجاب الصلوات الخمس ؛ فصار قيام الليل تطوعا " .

٢- ما يذكر فيه آراء العلماء دون التعليق عليها:

أحيانا يذكر الخطيب الشربيني أقوال العلماء دون أن يعلق عليها بشيء يكشف ما يرتضيه من النسخ أو الإحكام.

● ومثال ذلك قوله — تعالى —: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) يقول^(٢): " "فاعفوا" أي: اتركوهم

١ - سورة الأحزاب: آية ٤٨ .

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ٣٦٨ .

٣ - ينظر: تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن جـ ٣ ص ٢٦٧ ، وذكره هبة الله بن سلامة في الفاتح والمنسوخ ص ٢٥٨ .

٤ - سورة المزمل: من آية ٢ إلى آية ٤ .

٥ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ١٤٤ .

٦ - سورة البقرة: جزء من آية ١٠٩ .

و"اصفحوا" أى: أعرضوا عنهم فلا تجاوزوهم . وكان هذا قبل آية القتال؛ ولهذا قال - تعالى - 'حتى يأتى الله بأمره' فيهم من القتال ، وقد أثن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم، وروى عن ابن عباس وابن مسعود أن هذا منسوخ بقوله - تعالى -: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٢) ^(٣)، وأبى النسخ جماعة من المفسرين والفقهاء واحتجوا بأن الله تعالى لم يأمر بالعفو والصفح مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية ، وما بعد الغاية يخالف ما قبلها ، وما هذا سبيله لا يكون من باب النسخ بل ، يكون الأول قد انقضت مدته والآخر يحتاج إلى حكم آخر .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾^(٤) يقول الخطيب الشربيني^(٥): " عطف على 'اثنان' ومن فسر 'غيركم' بأهل الذمة جعله منسوخاً؛ فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعاً، وقد اتفق الأكثرون على أنه لا نسخ فى سورة المائدة، وعن مكحول نسخها قوله -

^١ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٣٦، ص ١٣٧.

^٢ - سورة التوبة: جزء من آية ٢٩.

^٣ - أخرجه البغوى فى تفسيره ج١ ص ٩٦ ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ؛ ينظر: تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعائى ٢١١: ١٢٦هـ "تحقيق د. عبد المعطى أمين قلجى ، دار المعرفة بيروت، لبنان الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ م ، ج١ ص ٧٥ ، وذكره ابن حاتم فى تفسيره عن ابن عباس وأبى العالية وقال : وروى عن قتادة والسدى والزبيد بن أنس نحو ذلك ج١ ص ٢٠٦.

^٤ - سورة المائدة: جزء من آية ١٠٦.

^٥ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٨٥.

تعالى :- ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾^(١) وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعدد وجودهم في حال السفر^(٢) .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾^(٣) بين اختلاف العلماء في نسخ هذه الآية بآية المواريث ، فيقول^(٤) : " واختلف العلماء في حكم هذه الآية ؛ فقال قوم : هي منسوخة بآية المواريث كالوصية . وعن سعيد بن جببر أن ناساً يقولون : نسخت ؛ والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاون به الناس^(٥) " .

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^(٦) بين اختلاف العلماء في نسخها ؛ فقال^(٧) : " واختلفوا ؛ هل هذه الآية منسوخة أو لا ؟ فقال مجاهد وعكرمة^(٨) : هي منسوخة

١ - سورة الطلاق : جزء من آية ٢ .

٢ - ينظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ١٥٦ ، ١٥٧ ، وزاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، تحقيق أحمد شمس الدين عط ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ج ٢ ص ٢٧١ وقال : هو قول زيد بن أسلم بإليه يعيل أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي .

٣ - سورة النساء : جزء من آية ٨ .

٤ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣ .

٥ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : التفسير باب : " وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين " الآية ، عن ابن عباس قال : هي محكمة وليست منسوخة تابعه سعيد بن جببر ؛ ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٢ ص ٥٩٨ .

٦ - سورة الأنفال : جزء من آية ١ .

٧ - ينظر : السراج المنير ج ٢ ص ٣٠٨ .

٨ - أخرجه البغوي في تفسيره معالم التنزيل (على هامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) ج ٣ ص ٣٤٤ ، وذكره هبة الله بن سلامة في الناسخ والمنسوخ ؛ ينظر : أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ تأليف : الشيخ الإمام =

بقوله - تعالى - : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾^(١) فكانت الغنائم يومئذ للنبى ﷺ فنسخها الله - تعالى - بالخمس . وقال بعضهم : هي ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه ؛ وذلك أن الغنائم كانت حراماً على الأمم الذين من قبلنا فى شرائع أنبيائهم ، وأباحها الله - تعالى - بهذه الآية لهذه الأمة ، وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ، ثم نسخت بأية الخمس . وقال عبد الله بن زيد بن أسلم^(٢) : هي ثابتة غير منسوخة ، ومعنى الآية : قل الأنفال لله وللرسول يضعها حيث أمره الله - تعالى - وقد بين الله - تعالى - مصارفها فى - قوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾^(٣) الآية .

٣ - يذكر أقوال العلماء ويوجهها :

ونادراً ما يناقش الخطيب الشربيني أقوال العلماء فى النسخ ويوجهها أو يرجح الأظهر منها ؛ ومن هذه المواضع النادرة ما يأتى :

● قال عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنْ مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾^(٤) إذ بيّن أنه استثناء من النساء ؛ لأنه يتناول الأزواج والإماء ؛ فقد ملك بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات ، ثم يشير إلى اختلاف الأقوال فى النسخ ؛ فيقول^(٥) : " واختلفوا ؛ هل أبيع له النساء من بعد ؟ قالت عائشة : (ما مات

-المحقق أبى القاسم هبة الله بن سلامة أبى النصر، مكتبة الدعوة - القاهرة -
ص ١٧٥، ١٧٦ .

١ - سورة الأنفال : آية ٤١ .

٢ - ذكره الطبري فى تفسيره ج ٩ ص ١١٤ .

٣ - سورة الأنفال : جزء آية ٤١ .

٤ - سورة الأحزاب : جزء من آية ٥٢ .

٥ - ينظر : السراج المبرج ج ٥ ص ٣٧٩ .

رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء^(١) أي: ففسخ ذلك وأبيح له أن ينكح أكثر منهن بآية ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾^(٢) فإن قيل : هذه الآية مقدمة وشرط الناسخ أن يكون متأخرا؟ أجيب بأنها مؤخرة في النزول مقدمة في التلاوة، وهذا أصح الأقوال .

● ما قاله عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾^(٣) فبعد إنتهائه من تفسيرها يقول^(٤) : " وهذا منسوخ بآية الموارث وبقوله ﷺ : (إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث)^(٥) بناء على الأصح من أن الكتاب ينسخ بالسنة وإن لم تتواتر وبذلك ظهر ما في قول بعضهم أن الكتاب ينسخ بالسنة وأن الحديث من الأحاد ."

١ - أخرجه الترمذى فى صحيحه - كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأحزاب ح ٣٢١٦ ج ٥ ص ١٩٧ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد فى مسنده ج ١٧ ص ٢٤٠ ، ٦٠٥ ، ح ٢٤٠١٩ ، ٢٥٣٤٣ وقال محققه : صحيح ، والنسائى فى سننه - كتاب : النكاح ، باب : ما افترض الله - عز وجل - على رسوله عليه السلام وحزبه على خلقه ليزيده إن شاء الله قرينة إليه ح ٣٢٠٤ ج ٣ ص ٣٦٥ ، والدارمى فى سننه - كتاب : النكاح ، باب : قول الله - تعالى - : (لا يحل لك النساء من بعد) ج ١ ص ٦٤١ ح ٢٢٤١ .

٢ - سورة الأحزاب : جزء من آية ٥٠ .

٣ - سورة البقرة : آية ١٨٠ .

٤ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ١٨٦ .

٥ - أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء لا وصية لوارث ج ٤ ص ١٨٧ ، ١٨٨ ح ٢١٢٠ وقال أبو عيسى: وهو حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود فى سننه - كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء فى الوصية للوارث برقم (٢٨٧٠) ج ٣ ص ١٢٥٣ ، وابن ماجه فى سننه - كتاب : الوصايا ، باب : لا وصية لوارث برقم (٢٧١٣ - ٢٧١٤) ج ٢ ص ٤٧٥ ، وقال محققه : (قال البوصيرى فى الروايد : إسناده صحيح ومحمد بن شعيب وثقه رحيم وأبو داود وباقى رجال الإسناد على شرط البخارى) .

وهذه من المواضع النادرة التي يناقش فيها الخطيب الشربيني أقوال العلماء في النسخ ، ويوجهها ، ويختار الأظهر منها.

٤ - يبين الآيات التي تحتل النسخ باعتبار والإحكام باعتبار آخر:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١) يبين اختلاف العلماء في نسخها فيقول^(٢) : " واختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها ؛ فذهب أكثرهم إلى أنها منسوخة ؛ وهو قول ابن عمر وسلمة ابن الأكوع^(٣) وغيرهما ؛ وذلك أنهم كانوا في صدر الإسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا ، وإنما خیرهم الله - تعالى - لأنهم كانوا لم يتعودوا الصيام ، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله - تعالى - : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ قال ابن عباس^(٤) : إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد ، فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ، وذهب جماعة منهم إلى أن لفظة "لا" مقدرة في الآية ؛ أي : وعلى

١ - سورة البقرة : آية ١٨٤ .

٢ - ينظر السراج المنير : ج ١ ص ١٨٨ .

٣ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب : الصوم ، باب : «وَأُطِيَ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ» ح ١٩٤٨ ؛ ينظر : فتح الباري ج ٦ ص ٣٣٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : الصيام ، باب : بيان نسخ - تعالى - : (وَأُطِيَ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ) بقوله (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) ج ٢ ص ٢٣٥ .

٤ - ذكره الطبري في تفسيره ج ١ ص ١١٤ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ج ١ ص ٣٠٧ .

الذين لا يطيقونه لكبر أو مرض لا يرجى برؤه - فدية + وهو قول سعيد بن جبير^(١) وجعل الآية محكمة .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾^(٢) يقول^(٣) : " وكان ذلك ثابتاً في ابتداء الإسلام ؛ فذلك قوله - تعالى - : ﴿ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ ﴾ [النساء: ٣٣] أي : أعطوهم حظهم من الميراث ، ثم نسخ ذلك بقوله - تعالى - : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥ ، الأحزاب: ٦]

وقال مجاهد^(٤) : أراد : فاتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث ؛ وعلى هذا الآية غير منسوخة ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] وقوله ﷺ في خطبته يوم فتح مكة : (لا تحدثوا حلفاً في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ؛ فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة)^(٥) .

قال الزمخشري^(٦) : وعند أبي حنيفة - رحمه الله - تعالى - لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة ، خلافاً للشافعي - رحمه الله - تعالى - أ.هـ .

١ - ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد جـ ١ ص ٣٠٧ .

٢ - سورة النساء : آية ٣٣ .

٣ - ينظر : السراج المنير جـ ١ ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

٤ - ذكره الطبري في تفسيره جـ ٥ ص ٣٥ .

٥ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب : فضائل الصحابة ، باب : مواهب النبي ﷺ بين أصحابه - رضى الله عنهم - جـ ٤ ص ٢٦٦ ح ٢٥٣٠ بلفظ " لا حلف في الإسلام ، وأما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة " .

٦ - ينظر : الكشاف جـ ١ ص ٥٢٣ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(١) يقول الخطيب الشربيني^(٢) : " يبتغون فضلاً من ربهم " وهو الثواب " ورضواناً " أى : وأن يرضى عنهم ، والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين ؛ أى : لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم ؛ تعظيماً لهم واستكثاراً أن يتعرض لمثلهم ، وقيل : معناه يبتغون من الله رزقاً بالتجارة ورضواناً بزعيمهم ؛ لأنهم كانوا بظنون ذلك ؛ فوصفوا به بناء على ظنهم ، ولأن الكافر لا نصيب له فى الرضوان ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] قال ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنهما -^(٣) : كان المسلمون والمشركون يحجون جميعاً ؛ فنهى الله تعالى المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله تعالى " لا تحلوا شعائر الله " فعلى الأول الآية محكمة ؛ قال الحسن^(٤) : ليس فى المائدة منسوخ. وعلى الثانى ؛ قال البيضاوى^(٥) : " فالآية منسوخة ؛ أى : لما فيها من حرمة القتال فى الشهر الحرام ، ومن حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام ، والأول منسوخ بقوله - تعالى - : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] والثانى بقوله - تعالى - : ﴿ فَلَا يَغْرِبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة: ٢٨] فقوله : منسوخ منزل

١ - سورة المائدة: آية ٢.

٢ - ينظر : السراج المنير جـ ٢ ص ٧.

٣ - ذكره الطبرى فى تفسيره جـ ٥ ص ٣٦ .

٤ - لم نقف عليه فى كتب الحديث التى اطلعت عليها وكذا التفسير.

٥ - هذا قول البيضاوى ، وقد أضاف إليه قول شيخ زاده فى حاشيته ؛ ينظر : حاشية زاده على البيضاوى جـ ٣ ص ٤٦٨، ٤٦٩.

على هذا، لكن إذا قلنا بشمول " آمين " للمسلمين والمشركون - إنما يكون النسخ في حق المشركون خاصة ، وهو في الحقيقة تخصيص لا نسخ ؛ ففي تسميته نسخاً نسمح ."

وهذه من المواضع القليلة التي يذكر فيها الخطيب الشربيني وجهين لتفسير الآية ؛ فيجعل الآية محكمة على أحدهما ومنسوخة على الآخر .

٥ - يرد القول بالنسخ:

رد الخطيب الشربيني القول بالنسخ في مواضع قليلة في تفسيره:

● ومثال ذلك عند انتهائه من تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(١) يقول^(٢):
"تنبیه: ليس في الآية ما ينافي فرض الزكاة لينسخ به كما قيل؛ لأن الزكاة لا تعطى للوالدين ولا للأقربين من الأولاد وأولاد الأولاد ؛ فالآية محمولة على الإنفاق على من ذكر تطوعاً ، أو على الإنفاق على الفقراء من الوالدين والأولاد وأولاد الأولاد. وذلك ليس بمنسوخ ."

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(٣) يقول^(٤): " آي: أردتم القيام إليها كقوله - تعالى - : ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] عتر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها ؛ للإيجاز والتنبية على أن من أرك العباداة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة، وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثاً، لكن صد عنه الإجماع ؛ لما روى

١ - سورة البقرة: آية ٢١٥ .

٢ - ينظر السراج المنير: ج١ ص ٢٢١ .

٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٦ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ١٤ ، ١٥ .

أنه ﷺ صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح ؛ فقال له عمر: صنعت شيئا لم تكن تصنعه ؛ فقال: عمدا فعلته ؛^(١)، فقيل هو مطلق أريد به التقييد ؛ والمعنى: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين. وقيل : الأمر فيه للندب وقيل: كان ذلك أول الأمر ثم نسخ ؛ قال البيضاوى^(٢): وهو ضعيف ؛ لقوله ﷺ: (المائدة آخر القرآن نزولا؛ فأحلوا حلالها وحرموا حرامها) (٣) .

● وكذلك عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٤) يقول^(٥): " قال بعضهم: إن قوله — تعالى —: "وإن عاقبتم" إلى "لهو خير للصابرين" منسوخ بآية السيف ؛ قال الرازى^(٦): وهذا في غاية البعد ؛ لأن المقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوى إلى الله — تعالى — وترك التعدى وطلب الزيادة ، ولا تعلق لهذه الأشياء بآية السيف ."

● وأيضا عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٧)

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه — كتاب: الطهارة، باب: جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، ج ٢٧٧ ص ١ ص ٢٤٢ ..

^٢ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوى ج ٣ ص ٤٨٢ .

^٣ - أخرجه الترمذى في سننه — كتاب: الطهارة، باب: ما جاء أنه يصلى الصلاة بوضوء واحد برقم (٦١) ج ١ ص ٤٣ ط . دار الحديث. والنسائى — كتاب: الطهارة ، باب: الوضوء لكل صلاة برقم (١٥٣) ج ١ ص ١٠٧، ١٠٨ ط . دار الفكر.

^٤ - سورة النحل: آية ١٢٦.

^٥ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٣٩٢، ٣٩٣.

^٦ - ينظر: التفسير الكبير للرازى ج ٢٠ ص ١١٥ .

^٧ - سورة الفرقان: جزء من آية ٦٣.

ردّ ما ذهب إليه أبو العالية^(١) من نسخها بآية القتال ؛ فقال الخطيب الشربيني^(٢) : " ولا حاجة إلى ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها ؛ لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشرعية ، أسلم للعرض والورع . "

وهذه بعض من المواضع النادرة التي ردّ فيها الخطيب الشربيني القول بالنسخ .

٦ - يذكر النسخ في الآية بصيغ أخرى :

وأحيانا ينبه على النسخ في الآية بصيغ أخرى مختلفة ؛ مثل : قبل الإباحة ، أو قبل الأمر ، ومثال ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾^(٣) أوضح أنه - تعالى - كنى عن الجماع ؛ استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة ؛ فيقول^(٤) : " وكنى عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٢١] استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة ، ولذلك سماه فيما يأتي خيانة ؛ قال ابن عباس - رضى الله - تعالى - عنهما^(٥) : إن الله - تعالى - حييٌ كريمٌ يكنى كل ما

^١ - هو رفيع بن مهران اليرباعي سولاهم ، أبو العالية ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بستين ، وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير ، روى عن علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وكانت وفاته سنة ٩٠ هـ وقيل سنة ٩٦ هـ ؛ ينظر طبقات الفراء لابن الجزري ج ١ ص ٣٨٤ هـ .

^٢ - ينظر : السراج المنير ج ٤ ص ٤٧٥ .

^٣ - سورة البقرة : جزء من أية ١٨٧ .

^٤ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ١٩٤ .

^٥ - ذكره الطبري في تفسيره ج ٢ ص ١٠٥ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ج ١ ص ٣١٧ .

ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإقصاء والدخول، فالرفث إنما عني به الجماع. وقال الزجاج^(١): الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء؛ قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والنساء إلى أن العشاء الآخرة، أو يرقد قبلها؛ فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة "

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٢) يقول^(٣): "أى: لا تتعرض لهم ولا تشغل بمكافاتهم؛ فإن ذلك ترك للدعاء إلى الله - تعالى وكان هذا قبل الأمر بالقتال، فإنه ﷺ منع في أول الإسلام من قتال الكفار، وأمر هو وأصحابه بالصبر على أذاهم بقوله - تعالى -: ﴿لَتَكُونَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦] الآية، ثم أمر به؛ ابتدؤوا بقوله - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠] ثم أبيح له ابتداؤه في غير الأشهر الحرم، ثم أمر به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله - تعالى -: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] "

وهكذا نجد الخطيب الشربيني لم يستخدم تعبير المنسوخ أو الناسخ في بيان النسخ في الآيات الكريمة السابقة؛ ففي الآية الأولى عبر عن النسخ بالإباحة، وفي الآية الثانية والثالثة أشار إلى المنسوخ بـ "قبل الأمر" والناسخ بـ "الأمْر" "ثم أمروا" وبالإباحة "ثم أبيح لهم".

وهذه مواضع قليلة استخدم فيها الخطيب الشربيني تعبيرات مغايرة للإشارة إلى الناسخ والمنسوخ في الآيات الكريمة.

^١ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١ ص ٢١٢ .

^٢ - سورة المزمّل: آية ١٠ .

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٢٥١ .

منهج في التفسير العلمي

تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات الكونية التي تناولها المفسرون بالشرح والبيان، وتوضيح أسرارها ودقائقها ، وإبراز ما تنطوي عليه من مظاهر قدرة الخالق — عز وجل — والإقرار بواحدنيته.

وقد اختلفت اتجاهات المفسرين في بيان هذه الآيات من خلال التفسير، تبعاً لثقافة المفسر؛ فمنهم من اكتفى بنقل المأثور من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين في المعنى المراد من هذه الآيات ؛ كالطبري والقرطبي وابن كثير، ومنهم من أضاف إلى ذلك عرض مذاهب الفلاسفة والحكماء والطبيعيين وعلماء الفلك ، مع ذكر حججهم ومناقشتها والرد عليها ؛ كما فعل الفخر الرازي والنيسابوري والآلوسي.

أما الخطيب الشربيني فقد اتخذ اتجاهها وسطاً ؛ فذكر ما ورد في الأثر فيها، واعتمد على الدلالات اللغوية في بيان المراد منها ، وكان يذكر أقوال العلماء ولكن بقلّة ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● فمثلاً عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾^(١) وجدته يتناول مسألة كروية الأرض ؛ فيقول: " ومعنى جعلها فراشاً: أن جعل بعض جوانبها بارزاً عن الماء مع ما في طبع الماء من الإحاطة بها ، وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفرش المبسوط ، وذلك لا يستدعي كونها مسطحة ؛ لأن كُرْبَةً شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الفرش عليها؛ فليس في ذلك إلا أن الناس يفتershونها كما يفعلون بالمفارش ، وسواء كانت على شكل السطح أو على شكل الكرة "^(٢)

^١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢.

^٢ - ينظر: السراج المميز ج ١ ص ٦٢.

● وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾^(١) يقول الخطيب الشربيني^(٢): " قال العلماء: الغذاء يصير جزءاً من جوهر المتغذى ، ولا بد أن يحصل للمتغذى أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلًا في الغذاء ، والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المنهيات ، فحرم أكله على الإنسان ؛ لئلا يتكيف بتلك الكيفية ، ولذلك إن الفرنج لما واطبوا على أكل لحم الخنزير أورثهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة في المنهيات ، وأورثهم عدم الغيرة ؛ فإن الخنزير يرى الذكر من الخنازير ينزو على الأنثى التي له ولا يتعرض له ؛ لعدم الغيرة "

● وأيضاً عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾^(٣) يبين منازل القمر؛ فيقول^(٤): " فائدة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً، وأسمائها: السرطان، والبطين، والثرى، والدبران، والبقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعوا، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعام، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقتم، وفرغ الدلو المؤخر، وبطن الحوت. وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجاً: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت؛ فكل برج منزلان وثلاث، فينزل القمر في كل ليلة منها منزلاً، فيستقر ليلاً إن كان الشهر ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين؛ فليلة واحدة، فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل، ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر

^١ - سورة المائدة: جزء من آية ٣.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٨.

^٣ - سورة يونس: جزء من آية ٥.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٨ ، ٩.

يوماً، فيكون انقضاء السنة مع انقضائها ، وانتقاع الخلق بضوء الشمس، وبنور القمر عظيم ؛ فالشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، وبحركة الشمس تتفصل السنة إلى هذه الفصول الأربعة، وبالفصول الأربعة تنظم مصالح هذا العالم، وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل، والنهار يكون زماناً للتكسب والطلب، والليل يكون زماناً للراحة "

● ومن الآيات الكونية التي شرحها بالآثر - الرعد؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى: ﴿ وَيَسْمِعُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾^(١) يقول^(٢): " قال ابن عباس: (أقبلت يهود على النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة، موكل بالسحاب ، معه مخاريق^(٣) من نار يسوق بها السحاب)^(٤) "

● وكذلك تناول آيات الله - عز وجل - في خلق التين والزيتون عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَالتِّينَ وَالزَّيْتُونَ ﴾^(٥) يقول^(٦): " أقسم بهما؛ لأنهما عجبتان من بين أصناف الأشجار المثمرة ؛ روى أنه: (أهدى للنبي ﷺ طيق من تين؛ فأكل منه، وقال لأصحابه: كلوا ، فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوها؛ فإنها تقطع

^١ - سورة الرعد: جزء من آية ١٣.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٢٢٠، ٢٢١.

^٣ - مخاريق: آلة تصرب بها الملائكة السحاب وتسوقه ، جمع مخراق ، وهو في الأصل عند العرب ثوب يلف به الصبيان بعضهم بعضاً ؛ ينظر: لسان للعرب لابن منظور جـ ١٠ ص ٧٦ .

^٤ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : التفسير باب " ومن سورة الرعد " برقم ٣١١٧ جـ ٥ ص ١٨٣ ، وقال: هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه أحمد في مسنده "مسند عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما" جـ ٣ ص ١٢٨، ١٢٩ ح ٢٤٨٣ بتقديم وتأخير، وفيه زيادة وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح .

^٥ - سورة التين: آية ١.

^٦ - ينظر: تفسير السراج المنير جـ ٨ ص ٣٧٦.

البواسير، وتتفع من النقرس) ^(١) ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به ، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة ؛ يطيب الفم ، يذهب بالحفرة) وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي) ^(٢). وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما- : هو تينكم هذا الذي تأكلون ، وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت. وقال عكرمة: هما جبلان من الأرض المقدسة ، يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا؛ لأنهما منبتا التين والزيتون*

^١ -أورده الإمام السيوطي في الجامع الصغير/قبض القدير جـ ٥ ص ٤٣ ح ٦٣٩٣ ونسبه إلى ابن السني وأبي نعيم والذيل، وأشار إليه بالضعف. وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ١ ص ١٩٨ ح ١٦٥ وأشار إليه بالضعف ، وقال: يغلب على الظن أن هذا الحديث موضوع فإنه ليس عليه نور النبوة ، وقال : الشيخ العجلوني في كشف الخفاء : جميع ما ورد في الفاكهة من الأحاديث موضوعة ؛ ينظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على لسان الناس للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى ١٠٦٢ هـ ط. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان جـ ١ ص ٤٢٣ .

^٢ -أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط باب من اسمه أحمد بن علي ؛ ينظر: المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ ت ٣٦٠ هـ ، تحقيق : صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ، ط. دار الحديث القاهرة ١٤١٧ هـ — ١٩٩٦ م جـ ١ ص ٢٨٨ ح ٦٨٢ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد — كتاب: الصلاة، باب : بأى شيء يستاك جـ ٢ ص ١٠٠ وعزاه إلى الطبراني في الأوسط ، وأورده العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس جـ ٢ ص ٤٢٣ ونسبه إلى الطبراني في الأوسط عن معاذ بن جبل — رضي الله عنه .

الفصل الثاني : الجانب العقائدي في تفسيره

جاء النبي ﷺ وسلم بالعقيدة الصحيحة ، وظلت هي السائدة بين المسلمين حتى ظهرت الفرق ونشأت المذاهب المتعددة ، واختلفت الأمة فرق عديدة ، يدافع علماء كل فرقة عن مذهبهم وعقائدهم، ويؤيدونها بتفسير النصوص الشرعية (قرآن - سنة) وكلما ظهرت فرقة سميت باسم خاص ، وبقي أصحاب العقيدة الصحيحة هم أهل السنة والجماعة

"وأهل السنة والجماعة هم الذين على هدى الرسول ﷺ أصحابه علماء واعتقاداً ، وقولاً ، عملاً ، وأدباً ، وسلوكاً ، وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة . وعلى أئمتهم وأئمة الهدى المتبعين لهم وكل من سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل والسلوك إلى يوم الدين ؛ مثل الأئمة الأربعة ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، وابن المبارك^(١) ، وابن تيمية ، وابن القيم^(٢) ، ومن سار على دربهم ، وهم الذين استقاموا على الاتباع و جانبوا الابتداع في كل زمان ومكان ؛ فهم باقون ظاهرون منتصرون إلى يوم القيامة ؛ قال ابن حزم^(٣) في الفصل : ' وأهل السنة الذين نذكرهم أهل

^١ - هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي ، التميمي ، المروزي ، أبو عبد الرحمن : الحافظ ، شيخ الإسلام ، جمع الحديث والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر وفصاحة العرب وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، من كتبه تفسير القرآن ، ينظر : معجم المفسرين ج ١ ص ٣٢٠ .

^٢ - هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، المعروف بابن قيم الجوزية : من كبار فقهاء الحنابلة ، محدث ، مفسر ، متكلم جدلي ، ولد بدمشق ولزم ابن تيمية ونشر علمه ، توفي سنة ٧٥١ هـ ، من كتبه : تفسير المعوذتين ، وتفسير الفاتحة والتفسير القيم ؛ ينظر : معجم المفسرين ج ٢ ص ٥٠٣ .

^٣ - هو أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد الأندلسي القرطبي ، الإمام الأوحدي البحر ذو الفنون والمعارف ، الفقيه ، الحافظ ، المتكلم ، الأديب ، الوزير ، الظاهري ، كتب =

الحق، ومن عداهم فأهل البدعة . فأهل الحق هم الصحابة - رضى الله عنهم - وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين - رحمة الله عليهم - ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها - رحمة الله عليهم - كما يطلق عليهم السلف الصالح ، وأهل الحديث، والفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وأهل الاتباع ، وأهل الجماعة ، وبهذا المعنى الخاص فإن مصطلح السلفية الذى نشأ عندما تنازعت الفرق الكلامية وأهل الأهواء مصطلح أهل السنة وتسموا به ' الخلفية ' فبرز مصطلح السلفية للتمييز والدلالة على المتمسكين بالأمر الأول " (١).

" ويسمون بأهل الكتاب والسنة ؛ لأنهم يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب و السنة " (٢).

وقد علل ابن تيمية - رحمه الله - هذه التسمية بقوله: " وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة - وإن كان لفظ

^١ - أمير المؤمنين عمر على دمشق، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفي ٤٦٥ هـ، من كتبه: الإيصال إلى فهم الخصال ، المحلى ، الفصل فى المال والنحل ، الرد على من اعترض على الفصل ؛ ينظر: سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٨٤ - ٢١٢ .

^٢ - ينظر: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، بإشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهنى - ط . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض ، الثالثة ١٤١٨ هـ ، ج ٢ ص ١١٣ .

^٣ - ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القاسمى النجدى الحنبلى وابنه محمد ، الطبعة الثانية ١٢٩٩ هـ ص

الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين "و الإجماع" هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين^(١).

ويقول أيضاً : " فمن قال بالكتاب و السنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة "^(٢).

وقد اهتم المفسرون ببيان مسائل العقيدة التي لها علاقة بالآيات القرآنية، و توسع بعضهم في عرض آراء الفرق والرد عليهم و إبطال حججهم و دفع شبههم ؛ كما فعل الفخر الرازي ، والنيسابوري ، والآلوسي ، وغيرهم ممن عنوا بمباحث العقيدة .

والمطالع لتفسير السراج المنير يلحظ حرص الخطيب الشربيني على بيان العقيدة التي يلزم أن يعقد المؤمن قلبه عليها حتى يكون مؤمناً حقاً ، بعيداً عن الزيغ و البدع المضلة في الاعتقاد ؛ فيتناول العقيدة بمباحثها المختلفة: الإلهيات ، النبوات ، والغيبيات ، وينهج منهج أهل السنة والجماعة، و يتصدى عند تفسيره لبعض الآيات لتفنيد آراء الفرق الأخرى خاصة المعتزلة،^(٣) مقررًا لمذهب أهل السنة والجماعة في نقاط النزاع بينهم، لكنه لا يستفيض كثيره من المفسرين في المباحث العقلية ؛ وإنما يكتفى

١ - ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٣ ص ١٥٧.

٢ - ينظر: المرجع السابق ج ٣ ص ٣٤٦ .

٣ - المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء الغزالي ؛ اعتزل عن مجلس حسن البصري، وهم فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في أواخر العصر العباسي ، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى إنحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها المعتزلة ، والقدرية ، والعدلية ، وأهل العدل والتوحيد والمقتصد ، والوعدية ؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٨٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ج ١ ص ٦٩ .

بعرض آراء الفرق و بيان أن الآية لا تصلح دليلاً لهم ، مستنداً بما ظهر من الآية ، وقد ينقل مناقشة غيره + ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية :

١ - الإلهيات

● صفات الله :

تعرض الخطيب الشربيني للآيات التي تتحدث عن صفات الله والتي توهم التشبيه ؛ كالثبوت ، والوجه ، والاستواء ، وتناول ما تعرض له العلماء من تأويل لها أو نفى لمعناها أو تفسير أو شرح ، فالمطالع لتفسيره يجد بثبت الصفات لله - عز وجل - ويعرض آراء السلف والخلف على النحو التالي :

● اليد :

في تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) يقول^(٢) : "يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدى المتأبيعين ؛ قال البقاعي^(٣) : فلجنة الله على من حمله على الظاهر من أهل العناد ببدعة الاتحاد ، وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله ﷺ وسائر الأئمة الأعلام ، ورضوا لأنفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون النعنين ، وناهيك به من ضلال مبين أ.هـ - وقد مر أن التأويل في الآيات المتشابهات مذهب الخلف ، ومذهب السلف السكوت عن التأويل وإمرار الصفات على ما جاءت و تفسيرها وقراءتها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل".

١ - سورة الفتح : جزء من آية ١٠ .

٢ - ينظر : السراج المنير ج ٧ ص ٦٧ .

٣ - ينظر نظم الدرر للبقاعي ج ٧ ص ١٩٤ .

• العين:

وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(١) يقول ^(٢) :
 " أى : محفوظة من أن تدخل بحر الظلمات ، أو يأتى عليها غير ذلك من
 الآفات بحفظنا على ما لنا من العظمة - حفظ من ينظر الشيء بأعين كثيرة
 ولا يغيب عنه أصل ، وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء " .

• الوجه :

يرى الخطيب الشربيني إثبات الوجه لله - عز وجل - ففى تفسيره
 لقوله - تعالى - : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ^(٣) يقول ^(٤) : " أى : ذاته ؛
 فإن الوجه يعبر عن الذات ؛ قال أبو العالية : إلا ما أريد به وجهه . و قيل
 إلا ملكه " .

وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا نَنْظُرُكُمْ لَوَجْهِ
 اللَّهِ ﴾ ^(٥) يقول ^(٦) : " لوجه الله ؛ أى : لذات الملك الذى استجمع الجلال والإكرام
 لكونه أمرنا بذلك ، و عبر بالوجه ؛ لأن الوجه يستحى منه و يرجى و يخشى
 عند رؤيته " .

• العلم :

أثبت الخطيب الشربيني لله - عز وجل - العلم ، فعند انتهائه من
 تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ

١ - سورة القمر : جزء من آية ١٤ .

٢ - ينظر : السراج المنير جـ ٧ ص ٢٢٢ .

٣ - سورة القصص : جزء من آية ٨٨ .

٤ - ينظر : السراج المنير جـ ٥ ص ١٧٩ .

٥ - سورة الإنسان : جزء من آية ٩ .

٦ - ينظر : السراج المنير جـ ٨ ص ٢٠٦ .

مِنْهَا لَمَّا يَشْقَىٰ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۝ (١)
 يقول (٢): "فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى؟ أجيب بأن الله يفهمه و يلهمه فيخشي بإلهامه، قال البغوي (٣): ومذهب أهل السنة أن الله - تعالى - علماً في الجمادات و سائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره؛ فلها صلاة و تسبيح ؛ كما قال - جل ذكره - : "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" [الإسراء: ٤٤] وقال - تعالى - : "و الطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه" [الإسراء ٤٤][النور ٤١] وقال - تعالى - : "ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض و الشمس و القمر" [الحج ١٨] الآية فيجب على المرء الإيمان به و بكل علمه إلى الله - سبحانه وتعالى - ."

• قضية الجبر و الاختيار :

عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۝ (٤) يقول الخطيب الشربيني (٥) : "أرادوا أن يجعلوا قولهم: لو شاء الله ما أشركنا حجة لهم على إقامتهم على الشرك ، و قالوا: إن الله قادر على أن يحول بيننا و بين ما نحن فيه حتى لا نفعله فلو أنه رضى ما نحن فيه و أَرادَه منا و أمرنا به لحال بيننا و بين ذلك؛ فقال الله تعالى تكذيباً لهم : "كذلك كذب الذين من قبلهم أى : كفار الأمم الماضية حتى

١ - سورة البقرة : جزء من آية ٧٥ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١١٤، ١١٥ .

٣ - ينظر: تفسير البغوي على هامش الخازن ج ١ ص ٧٤ .

٤ - سورة الأنعام : جزء من آية ١٤٨ .

٥ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ١٦٧ .

ذاقوا بأسنا 'أى :عذابنا، و يستدل أهل القدر^(١) بهذه الآية يقولون :إنهم لما قالوا :لو شاء الله ما أشركنا " كذبهم الله ورد عليهم ؛ فقال :كذلك كذب الذين من قبلهم 'و أجاب أهل السنة :بأن التكذيب ليس فى قولهم :إن الله أمرنا بها و رضى ما نحن عليه كما أخبر - تعالى - عنهم فى سورة الأعراف 'وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها '[الأعراف ٢٨] فالرد عليهم فى هذا كما قال - تعالى - :قل إن الله لا يأمر بالفحشاء'[الأعراف ٢٨] و الدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا فى قولهم :لو شاء الله ما أشركنا " قوله - تعالى - :كذب الذين من قبلهم" بالتشديد ولو كان (كذلك) خيراً من الله عن كذبهم فى قولهم :لو شاء الله ما أشركنا "قال : كذب الذين من قبلهم" بالتخفيف ، وكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب . وقال الحسين بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيماً أو إجلالاً لله - تعالى - ومعرفة منهم لما غلبهم بذلك ؛ لأن الله - تعالى - قال :و لو شاء الله ما أشركوا '[الأنعام ١٠٧] وقال - تعالى - :وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله '[الأنعام ١١١] والمؤمنون يقولون ذلك و لكن المشركين قالوا تكذيباً و تحريضاً و جدلاً من غير معرفة بالله وبما يقولون . نظيره قوله - تعالى - وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم '[الزخرف ٢٠] وقد علم من ذلك أن أمر الله - تعالى - بمعزل عن مشيئته و إرادته فإنه يريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن يتبع أمره و ليس له أن يتعلق بمشيئته ؛ فإن مشيئته لا تكون عتراً لأحد .^٣

١ - أهل القدر : هم إحدى الفرق الكلامية المنسوبة إلى الإسلام ، ذات المفاهيم والآراء الاعتقادية الخاطئة فى مفهوم القدر حيث قالوا بعبادة أفعال العباد إلى قدرتهم وأنه ليس لله تعالى عن قولهم دخل فى ذلك ولا قدرة ولا مشيئة ولا قضاء كما أنكروا علم الله تعالى السابق ، وقد وجدت طائفة منهم تثبت العلم والكتاب وتكرر المشيئة ؛ ينظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب للجهنى ج ٢ ص ١١٢٤ ، ١١٢٥ .

وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ^(١) يقول ^(٢) : نطبع ؛ أى : نختم 'على قلوب المعتدين' فى كل زمان لكل من تعد العُدول فيما لا يحل له ؛ فلا يقبل الإيمان لانهم اكتم فى الضلال واتباعهم المألوف ، وفى أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدر الله - تعالى - وكسب العبد .

• رؤية الله:

يقول الخطيب الشربيني بحصول رؤية الله عز وجل فى الآخرة ؛ فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ^(٣) يقول ^(٤) : " إلى ربها " أى : المحسن إليها خاصة ؛ باعتبار أن عد النظر إلى غيره كلا نظر ، "ناظرة" أى : دائما هم محققون أبصارهم لا غفلة لهم عن ذلك ، فإذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم ؛ بدليل التعدى بـ"إلى" ، وذلك النظر جهة من غير اكتتام ولا تضام ولا زحام ؛ كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وأكثر المفسرين ، وجميع أهل السنة ، وروى عن النبى ﷺ فى الأحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة ، وتكون الرؤية كما مثلت فى الأحاديث كما يرى القمر ليلة البدر ؛ أى : كل من يريد رؤيته من بيته يراه مجليا له ، هذه وجه الشبه ، إلا أنه فى جهة ولا فى حالة لها شبيهه - تعالى - الله الكريم عن التشبيه.

فمن تلك الأحاديث ما روى عن جرير بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر ، فقال ﷺ : (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة

^١ - سورة يونس : جزء من آية ٧٤ .

^٢ - ينظر : السراج المنير ج ٣ ص ٤٧ .

^٣ - سورة القيامة : آية ٢٣ .

^٤ - ينظر : السراج المنير ج ٨ ص ١٩٠ .

قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾^(١) [طه: ١٣٠].

وفي كتاب النسائي عن وهب قال: "يُكشَفُ الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر ولا أقر لأعينهم"^(٢).

ورد الخطيب الشربيني على المعتزلة في إنكارهم الرؤية ؛ فقال عند تفسيره الآية نفسها السابقة^(٣): "وأنكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله - تعالى - : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ويقولون: النظر المقرون بالي ليس إسماً للرؤية بل لمقنمة الرؤية ؛ وهي ثقلب الحدة نحو المرئى التماساً لرؤيته ، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع، ويدل على ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] فأثبت النظر حال عدم الرؤية، فتكون الرؤية غاية النظر، وأن النظر يحصل والرؤية غير حاصلة. قالوا: ويمكن أن يكون معنى قوله - تعالى -: 'ناظرة' فتتظره ؛ كقولك أنا أنظر إليك في حاجتي"

١ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: التفسير ؛ باب: قوله تعالى 'فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب' ح ٤٨٥١، والترمذي في سننه - كتاب: صفة الجنة ؛ باب: ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ج ٤ ص ٣٩٨ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

٢ - أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: الإيمان ، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح ١٨١ ج ١ ص ١٧١ .

٣ - ' إلى ربها ناظرة ' القيامة ' آية ٢٣ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ١٩٠ ، ١٩١ .

وأجيب عن استدلالهم: " بقوله — تعالى —: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ بأنه لا تدركه بالإحاطة والجهة ؛ فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه . وعن بقية استدلالهم بما ذكروه بجوابين:

أحدهما: أن نقول: النظر هو الرؤية لقول موسى — عليه السلام —: ﴿ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الآية إثبات الجهة والمكان، ولأنه آخر النظر عن الإرادة فلا يكون تقليب الحدقة.

الجواب الثاني: إذا سلمنا ما ذكرتموه من أن النظر تقليب الحدقة ؛ تعذر حمله على الحقيقة ؛ فيجب حمله على الرؤية إطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو أولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة؛ لأن تقليب الحدقة كالسبب للرؤية، ولا تعلق بينه وبين الانتظار.

وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه: بأن الذى هو بمعنى الانتظار فى القرآن غير مقرون بإلى، كقوله — تعالى —: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ ﴾ [الأعام: ١٥٨] والذى ندعيه أن النظر المقرون بإلى ليس إلا بمعنى الرؤية؛ لأن وروده بمعنى الرؤية ظاهر؛ فلا يكون بمعنى الانتظار؛ دفعا للاشتراك.

كلام الله:

يثبت الخطيب الشربيني صفة الكلام لله — عز وجل — ويرى أنها صفة أزلية قديمة، وأن كلام الله — عز وجل — ليس بمخلوق؛ فيقول عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(١) (٢): "هو منتهى مراتب الوحي ؛ أى: كلمه على التدرج شيئا فشيئا بحسب المصالح بغير واسطة

^١ - سورة النساء: جزء من آية ١٦٤.

^٢ - ينظر: السراج المميز جـ ١ ص ٥٤٣ ، ٥٤٤.

ملك، فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة ، وما كان بلا واسطة ،
وخص به موسى من بين سائر الأنبياء غير نبينا، وأما نبينا ﷺ فقد فضله الله
بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم“.

وعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾^(١) يقول الخطيب الشربيني^(٢): “ دلّت الآية الكريمة على أنه — تعالى —
كلم موسى — عليه السلام — والناس مختلفون في كلام الله ؛ قال
الزمخشري في كشافه^(٣): ‘وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك . وهذا
مذهب المعتزلة ، ولا شك في بطلانه وفساده لأن ذلك الجرم كالشجرة لا
يقول: أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة تذكري ؛ فثبت بذلك بطلان
ما قالوه . وذهب بعض الحنابلة والحنوية^(٤) إلى أن كلام الله — تعالى —

^١ - سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٢٥٠.

^٣ - ينظر: الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١١١ .

^٤ - هذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة ولا في العرف العام
ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمر بن عبيد حين ذكر له عن ابن عمر رضي
الله عنه ما يخالف مقولته فقال: كان ابن عمر حشويًا ، و أصل ذلك أن كل طائفة قالت
قولا تخالف به الجمهور والعامية ينسب إلى أنه قول الحشوية ، أي الذين هم حشو في
الناس ليسوا من المتأهلين عندهم ، فالمعتزلة تسمى من أثبت الفذر حشوية ، والجهمية
يسمون مثبت الصفات حشوية والزائفة يسمون قول أهل السنة والجماعة قول الجمهور
وكذلك الفلاسفة تسمى ذلك قول الجمهور فقول الجمهور وقول العامة من جنس
واحد، وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء لما استأذن ابن أبي داود على الجاحظ
قال: من أنت؟ قال رجل من أصحاب الحديث فقال: أوما علمت أني لا أقول بالحشوية،
والجاحظ متكلم معتزلي يرى أن أهل الحديث والأثر حشوية، ينظر: فتاوى ابن تيمية
ج ١٢ ص ١٧٦ منهاج السنة النبوية لابن تيمية العباس نقى الدين أحمد بن
عبد الحليم بتحقيق د محمد رشاد سليم ط. مكية بن تيمية القاهرة ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م
الثانية ج ٢ ص ٥٢٠ ، سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٣٥٠ .

حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم، قال الإمام الرازي: ^(١) "وهذا القول أخس من أن يلتفت إليه العقل. والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن كلام الله - تعالى - صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات، وأن موسى سمع تلك الصفة الحقيقية الأزلية؛ قالوا: كما أنه لا يبعد رؤية ذاته مع أن ذاته ليست جسماً ولا عرضاً؛ كذلك لا يبعد سماعه كلامه مع أن كلامه لا يكون حرفاً ولا صوتاً. وفيما يروى أن موسى - عليه السلام - كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة - تنبيه على أن سماع كلامه - تعالى - القديم ليس من جنس كلام المحدثين".

ويرد الخطيب الشربيني القول بأن القرآن مخلوق عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٢) إذ يقول ^(٣): "تنبيه: احتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي؛ نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٦]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: ١] على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضي سابقة المخبر عنه، والقديم يستحيل أن يكون مسبوقاً بغيره؛ فأجاب أهل السنة: بأن ما جاء فيه بلفظ الماضي مقتضى تعلق الحكم بالمخبر عنه، وحدث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث المخبر عنه؛ فلا يستلزم حدوث كلام الله؛ كما في عمله - تعالى - فإنه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث؛ والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق - وهو الكلام اللفظي - حدوث الكلام النفسي.

^١ - ينظر: مقانيع الغيب للرازي ج ٤ ص ١٨٦.

^٢ - سورة البقرة: آية ٦.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٥، ٤٦.

٢ - النبوات

النبوات من المسائل الرئيسية في العقيدة ؛ وذلك لأن اتصال السماء بالأرض بتبليغ رسالة من رسالات الله - عز وجل - لا يمكن أن يكون إلا بواسطة، وهذه الوسطة هي الرسول أو النبي ؛ لذا نرى أن مباحث النبوات تلي مباحث الإلهيات.

ومن هنا جاء اهتمام المفسرين ببيان ما يتعلق بالنبوات من مسائل، والقارىء لتفسير " السراج المنير " الذي نحن بصددده يلحظ أيضا عناية المفسر بمسائل النبوات ؛ ومن أهم المسائل التي تناولها الخطيب الشربيني في تفسيره الآية:

١ - الشفاعة:

يقول الخطيب الشربيني بالشفاعة لعصاة المسلمين يوم القيامة ، ويرد على من ينكرها عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾^(١) يقول^(٢) : " تنبيه: قول البيضاوي^(٣) وإبراهه أي: شيئا منكرا مع تكثير النفسين للتعميم والإقناط الكلي - تبع فيه صاحب الكشف^(٤) وهو جارئ على مذهب المعتزلة من أنهم ينكرون الشفاعة للعصاة ، وسيأتي الجواب على مذهبهم "ولاتقبل" بالتاء على التانيث كما قرأ به ابن كثير وأبو عمرو، و بالياء على التذكير كما قرأ به الباقر "منها شفاعه" أي: من النفس الثانية ؛ لقوله - تعالى - : "ولا يؤخذ منها عدل" أي: فداء " ولا هم ينصرون" أي: يمنعون من عذاب الله ؛ إذ الضمير في الجملةين للنفس

^١ - سورة البقرة آية ٤٨ .

^٢ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٩٤ .

^٣ - ينظر : حاشية زاده على البيضاوي ج ٢ ص ٣٩ .

^٤ - ينظر : الكشف للزمخشري ج ١ ص ٢٧٩ .

العاصية ، ويصح رجوعه للنفس الأولى ؛ لأنها المحدث عنها فى قوله — تعالى —: "لا تجزى نفس عن نفس" والثانية مذكورة على سبيل الفضلة لا العمدة وتذكير ضمير "ولا هم ينصرون" مع أن الضمير راجع للنفس، وكان المناسب هنّ بالتأنيث — لأنه بمعنى العباد أو الإناث ؛ كما نقول ثلاثة أنفس "بالتاء" مع تأنيث النفس ؛ بتأويل النفوس بالأشخاص أو الرجال. والنصرة أخص من المعونة ؛ لاختصاصه بدفع الضرر. وقد تمسكت المعترلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر؛ وأجاب أهل السنة عن ذلك بأجوبة ؛ منها: أن الآية مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة فى الشفاعة ؛ ويؤيد هذا أن الخطاب معهم ؛ وعلى هذا يتمشى قول البيضاوى المار؛ ويكون المراد حينئذ أنه ليس لها شفاعاة فتقبل ؛ كما قال — تعالى — حاكياً عنهم: ﴿ مَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

ومنها: أن الآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن أباءهم تشفع لهم. ومنها: أنها لا تشفع إلا بإذن الله -

٢ — المعجزة:

قرر الخطيب الشربيني ما جاء به القرآن الكريم من معجزات الأنبياء عند تفسيره للآيات القرآنية التى شملها ، واعترض على من ينكر هذه المعجزات .

● فعند انتهائه من تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ^(١) يقول ^(٢): " من أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله — تعالى — وقلة تدبره فى عجائب صنعه ، فإنه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يخلق

^١ - سورة البقرة: آية ٦٠.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٠٤.

الشعر + كالنورة ، ويجذب الحديد + كالمغناطيس ، وينفر الخل + كالهريبان ؛ فإنه إذا وضع في إناء لا يحصل الخل في ذلك الإناء — لم يمتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب الأربعة ويصيره ماء بقوة التدبير، ونحو ذلك .”

● وأيضاً يؤكد أن المعجزة من دلائل النبوة التي تصدق النبي و تشهد له عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَإِلَىٰ مَذِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾^(١) فيقول^(٢): ” فإن قيل: ما كانت معجزته إذ لم تذكر له معجزة؟ أجيب: بأنه قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله: ”قد جاءتكم بيينة من ربكم“ ولأنه لا بد لمذعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه ؛ وإلا لم تصح دعواه ، وكان متنبئاً لا نبيّاً، غير أن معجزته لم تذكر في القرآن ؛ كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا محمد ﷺ .”

وقد تعرض الخطيب الشربيني بالشرح والبيان لكل ما ورد في القرآن الكريم من معجزات للأنبياء .

● فعند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾^(٣) يقول^(٤): ” أى علامة على صدقي ، أو آية نصبت على الحال ؛ عاملها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ؛ كأنه قال: أشير إليها آية . و”لكم“ بيان لـ”من“ هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود ؛ لأنهم عاينوها ؛ وسائر الناس أخبروا ؛ وليس الخبر كالمعاين ؛ كأنه قال لكم خصوصاً ؛ وإنما أضيفت إلى الله — تعالى — تعظيماً لها وتقخيماً لشأنها ؛

^١ - سورة الأعراف: جزء من آية ٨٥.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٢٢٢.

^٣ - سورة الأعراف: جزء من آية ٧٣.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٢١٦.

كما يقال: بيت الله ؛ ولأنها جاءت من عند الله - تعالى - بلا وسائل وأسباب معهودة ؛ ولذلك كانت آية ﴿ فَذَرُوهَا ﴾ أى: اتركوها ﴿ تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ أى: العشب ؛ فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات إتيانكم ﴿ وَلَا تَمْسُوها بِسُوءٍ ﴾ أى: بشيء من أنواع الأذى ؛ لا بعقر ولا بغيره . وقوله ﴿ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى: بسبب أذاها - جواب النهي - .

● كما أشار إلى معجزات عيسى - عليه السلام - عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) فيقول ^(٢): " قد جئتكم بآية " أى: علامة " من ربكم " تصدق قولي ، وإنما قال بآية وقد أتى بآيات ؛ لأن الكل دل على شيء واحد وهو صدقه فى الرسالة ... " أخلق " أى: أصور " لكم من الطين كهيئة الطير " أى: مثل صورته فيصير طيرا كسائر الطيور ، وحرثا طيارا " فأنفخ فيه " الضمير للكاف أى: فى ذلك المماثل للطير ؛ أى: فى فيه فيكون طيرا بإذن الله " أى: بإرادته ، نبه بذلك على أن إحياءه من الله - تعالى - لا منه ... " وأبرئ " أى: أشفى " الأكمه " وهو الذى ولد أعشى أو ممسوح العينين ، ... " والأبرص " وهو الذى به برص وهو بياض شديد يقع الجلد ويذهب دمويته ، وإنما خص هذين المرضين بالذكر ؛ لأنهما أعيايا الأطباء ، وكان الغالب فى زمن عيسى الطب ؛ فأراهم المعجزة من جنس ذلك ... وإنما قال ، ثانيا " وأحى الموتى بإذن الله " وكرر " بإذن الله " دفعا لتوهم الألوهية ، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية ... " وأنبئكم " أى: أخبركم " بما تأكلون " بما لم أعينه " وما تدخرون " أى: تخبئون للعشاء حتى

١ - سورة آل عمران: آية ٤٩ .

٢ - السراج المنير: ج ١ ص ٣٤٠، ٣٣٩ باختصار .

تأكلوه ؛ فكان يخبر الرجل بما أكل البارحة ، وبما أكل اليوم ، وبما اندخره للعشاء .”

وهذه بعض من أمثلة كثيرة تتبع فيها الخطيب الشرييني معجزات الأنبياء^(١).

٣ - العصمة:

يقول الخطيب الشرييني بعصمة الأنبياء بعد النبوة ، ويرد على من ينكرها، لكنه لا ينكر صدور المعصية عنهم قبل النبوة:

● فعند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٢) يقول^(٣): ” واستدل بعض الخوارج كالحشوية - وهم قوم جوزوا الخطاب بما لا يفهم بها على عدم عصمة الأنبياء بوجود: الأول: أن آدم - عليه السلام - كان نبيا وارثا لآدم المنهى ، والمرتكب له عاص. والثاني: أنه جعله بارتكابه من الظالمين، والظالم ملعون ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] والثالث: أنه أسند إليه العصيان والغى ؛ وقال: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه: ١٢١] والرابع: أنه - تعالى - لقنه التوبة ؛ وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه. والخامس: اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله له ؛ بقوله: ﴿ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] والخاسر من يكون ذا كبيرة. والسادس: أنه لو لم يذنب ما جرى عليه ما جرى.

^١ - ينظر السراج المنير: ج ٢ ص ١٢٧، ٢٣٣، ٢٣٢ ، ج ٣ ص ٣٩٥، ٣٩٤، ج ٥ ص ٤٣، ٤٤، ج ٧ ص ٢٢٠، ٢٣٢.

^٢ - سورة البقرة: آية ٣٩.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٨٨ .

وأجيب عن ذلك بوجوه:

الأول: أنه لم يكن نبيا حينئذ ، والمدعى مطالب بالدليل ولا دليل.

الثاني: أن النهي للتنزيه، وإنما سمي ظالما وخاسرا ؛ لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى ، وإنما أجرى الله - تعالى - ما جرى ؛ معاتبه على ترك الأولى ووفاء بما قاله - تعالى - للملائكة قبل خلق آدم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ [البقرة: ٣٠] ولا يكون خليفة في الأرض إلا بالإهباط إليها. وأمر بالتوبة تلافيا لما فاتته.

الثالث: أنه فعله ناسيا ؛ لقوله - تعالى - : ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه: ١١٥] ولكن عوقب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ؛ إذ رفع الإثم بالنسيان من خصائص هذه الأمة ؛ كما ثبت في الأخبار الصحيحة ؛ كخبر الشيخين: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)^(١)

وروي الترمذي وصححه: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة ثم الأمثل فالأمثل) رواه الحاكم بلفظ (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون)^(٢).

الرابع: أنه - عليه الصلاة والسلام - أقدم عليه بسبب اجتهد أخطأ فيه فإنه ظن أن النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها، وكان المراد بالإشارة الإشارة إلى النوع لا إلى شجرة معينة كما

^١ - سبق تخريجه ص ٧٦ -

^٢ - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب : الزهد، باب : ما جاء في الصبر على البلاء ج ٤ ص ٣٢٨ ح ٢٣٩٨ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في - كتاب: الفتن ، باب : الصبر على البلاء ج ٣ ص ٤٢٧ ح ٤٠٢٣ برقم (٢٣٩٨) والدارمي في الرقاق، باب: في أشد الناس بلاء ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٢٧٨٣ . وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٢٧ ح ١٤٨١ ، والحاكم في المستدرک - في كتاب معرفة الصحابة ، باب : محبة أبي ذر رضي الله عنه ج ٣ ص ٣٨٦ ح ٥٤٦٣ وسكت عنه الحاكم.

روى أبو داود وغيره، أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريراً وذهباً بيده وقال: (هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهما) ^(١).

فإن قيل: المجتهد إن أخطأ لا يؤخذ ؛ أجيب: بأنه إنما عوتب على ذلك ؛ تعظيماً لشأن الخطيئة ليجنبها أولاده .

● وعند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢) يقول ^(٣) : " وقد استدل من يرى صدور الذنب من الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — بهذه الآية، ورد بأن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله — تعالى — في أعلى الدرجات، ولكن يؤخذون بما لم يؤخذ به غيرهم ، وأنهم ربما عوتبوا بأمر صدرت منهم على سبيل التأويل ؛ فهم بسبب ذلك خائفون وجلون ، وهى ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة إلى كمال طاعتهم ، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ؛ ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم وفزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوى والذكر القيسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله — تعالى — ذنوب بالنسبة إلى أحوالهم ؛ فقالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات وتحقير العظيم من الحسنات . وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة "البقرة" ومن جملة ذلك إنما أكل الشجرة قبل النبوة " .

^١ - أخرجه النسائى فى سننه - كتاب: الزينة جـ ٤ ص 512 ح ٥١٥٩ . وابن ماجه فى سننه - كتاب: اللباس باب: لبس الحرير والذهب للنساء جـ ٣ ص ٢٧١ ح ٣٥٩٥ من طريق أبى أفلح بلفظ (إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم) . وأبو داود فى سننه - كتاب: اللباس، باب فى الحرير للنساء جـ ٤ ص ١٧٤١ رقم (٤٠٥٧) بلفظ (إن هذين حرام على ذكور أمتي) وقال محققوه: صحيح .

^٢ - سورة الأعراف: آية ٢٣ .

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ^(١) يقول الخطيب الشربيني ^(٢): "أى: أولاده ؛ وهذا يقتضى حصول تمام النعمة لآل يعقوب، وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مر ؛ فلزم حصولها لآل يعقوب ، وأيضاً أن يوسف — عليه السلام — قال: ' إني رأيت أحد عشر كوكباً ' وكان تأويله : أحد عشر نفساً لهم فضل وكمال — ويستضىء بعلمهم ودينهم أهل الأرض ؛ لأنه لا شيء أضوأ من الكواكب وبها يهتدى، وذلك يقتضى أن تكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلًا.

فإن قيل: كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف — عليه السلام —؟ أجيب: بأن ذلك وقع منهم قبل النبوة، والعصمة من المعاصي إنما تعتبر بعد النبوة لا قبلها على خلاف فيه " وهكذا نجد منهج الخطيب الشربيني في تفسيره تقرير عصمة الأنبياء بعد النبوة والرد على من ينكرها. ^(٣)

^١ - سورة يوسف: جزء من آية ٦.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ١٣٢، ١٣٣.

^٣ - ينظر السراج المنير: جـ ٢ ص ٢٧٨، ٢٠٢، جـ ٣ ص ٤٩٤، ٩٠،

جـ ٤ ص ٢٠٧، جـ ٥ ص ٢٩، جـ ٧ ص ٦٠.

٣ - الغيبيات

عَدَّ أَهْلُ السَّلَفِ وَرِجَالُ الْحَدِيثِ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ جُزْءًا مِنْ أَصُولِ الدِّينِ يَسْتَوِي مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا اسْتَطِيعَ ذِكْرُ كُلِّ الْأُمُورِ السَّمْعِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْإِيمَانُ بِهَا؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَضِيقُ عَنْ ذِكْرِهَا، وَلَكِنِّي سَأَتَأَوَّلُ أَظْهَرَهَا بِإِخْتِصَارٍ.

فَقَدْ حَرَصَ الْخَطِيبُ الشَّرِيبِيُّ عَلَى إِقْرَارِ الْغَيْبِ:

فَعِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) يَقُولُ^(٢):
"أَيُّ يَصْذِقُونَ بِمَا غَابَ عَنْهُمْ مِنَ الْبَعْثِ ، وَالْجَزَاءِ ، وَالْجَنَّةِ ، وَالنَّارِ ،
وَالصِّرَاطِ ، وَالْمِيزَانِ"

وَمِنْ أَهَمِّ الْمَسَائِلِ السَّمْعِيَّةِ الَّتِي نَبَّهَ عَلَيْهَا الْخَطِيبُ الشَّرِيبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ:

الْبَعْثُ:

فَعِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٣)
يَقُولُ^(٤): "أَيُّ: عَلَى سَبِيلِ التَّجْدِيدِ كَمَا تَشَاهِدُونَ: وَأَشَارَ إِلَى تَعْظِيمِ الْإِعَادَةِ
بِأَدَاءِ التَّرَاخِي ؛ فَقَالَ 'ثُمَّ يُعِيدُهُ' أَيُّ: بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْبَعْثِ"

وَيُرَدُّ عَلَى مَنْكَرِي الْبَعْثِ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ
اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَى بِخَلْقِهِنَّ بِقَدَارٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ
الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥) فَيَقُولُ^(٦): "عَلَى أَنْ يَحْيِيَ" أَيُّ: عَلَى

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٣.

٢ - ينظر السراج المنير: ج١ ص ٤٢.

٣ - سورة الروم: جزء من آية ٢٧.

٤ - ينظر السراج المنير: ج٥ ص ٢٣٩.

٥ - سورة الأحقاف: آية ٣٣.

٦ - ينظر السراج المنير: ج٧ ص ٣١.

سبيل التجديد مستمرا "الموتى" وأسهل صنعا ، وأجاب بقوله - تعالى -
 "بلى" لأن هذا الاستفهام الإنكارى فى معنى النفى؛ أى: قد علموا أنه قادر
 على ذلك علما هو فى إيقانه كالبحر؛ لأنهم يعلمون أنه المخترع لذلك، وأن
 الإعادة أهون من الابتداء فى مجارى عاداتهم، ولكنهم عن ذلك غافلون ؛
 لأنهم عنه معرضون. وقوله - تعالى - : "إنه على كل شيء قدير" تقدير
 للقدرة على وجه عام ، يكون كالبرهان على المقصود ؛ كأنه لما صذر
 بتحقيق المبدأ أراد ختمها بإثبات المعاد".

الحشر:

يشير الخطيب الشربيني الى الحشر عند تفسيره لقوله - تعالى -:
 ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ تُرَى الْأَرْضُ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾
 (١) فيقول (٢): "وحشرناهم" أى: الخلائق قهرا إلى الوقت الذى تتكشف فيه
 المخبات، وتظهر القبائح والمغيبات ، ويقع الحساب فيه على النقيض والقطمير،
 والناقد فيه بصير "فلم نغادر" أى: نترك "منهم" أى: الأولين والآخرين "أحدا"
 لأنه لا دمول ولا عجز. ونظيره ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
 {49} لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] فإن قيل: لم
 جىء فحشرناهم ماضيا بعد "نسير" و"ترى" ؟ أجيب: بأن ذلك يقال للدلالة
 على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم ؛ كأنه
 قيل: وحشرناهم قبل ذلك ".

^١ - سورة الكهف: آية ٤٧.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٥١.

الحساب:

فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ {7} فسوف يحاسب حسابا يسيرا^(١)، يقول^(٢): " فأما من أُوتِيَ كتابه" أى: كتاب عمله الذى كتبه الملائكة. "بيمينه" أى: من أمامه وهو المؤمن المطيع، فسوف يحاسب" أى: يقع حسابه بوعده لا خلف فيه، وإن طال الأمد لإظهار الجبروت والكبرياء والقهر "حسابا يسيرا" هو عرض عمله عليه كما فسر فى حديث الصحيحين^(٣) وفيه (من نوقش هلك: وفى رواية: "من حوسب عذب". وقالت عائشة: "أليس يقول الله - تعالى -: 'فسوف يحاسب حسابا يسيرا' فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب) وإنما حوسب حسابا سهلاً؛ لأنه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة إلا ذهولاً؛ فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسناتها ويعفى عن سيئها".

الصراط:

عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾^(٤) يقول^(٥): " نقتبس: أى: نستضيء "من نوركم" أى: هذا الذى نراه لكم ولا يلحقنا منه شيء ؛ كما كنا فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشيء ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦] وذلك ؛ لأن الله - تعالى - يضيء للمؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطى المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم وهو قوله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] فبينما

١ - سورة الانشقاق: الآيةان ٧، ٨.

٢ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٢٩٤.

٣ - سبق تخريجه ص ٥٦.

٤ - سورة الحديد: جزء من آية ١٣.

٥ - ينظر: السراج المنير ج ٧ ص ٣٦٣، ٣١٤.

هم يمشون ؛ إذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفا نور المنافقين ؛ فذلك قوله — تعالى — : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨] الآية، مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين. والقيس : الشعلة من النار، أو السراج .

الميزان:

فعند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) يقول^(٢) : " فمن ثقلت موازينه " أى: بالأعمال المقبولة ؛ قال البقاعي^(٣) : ولعل الجمع ؛ لأن لكل عمل ميزانا يعرف أنه لا يصلح له غيره، وذلك أدل دليل على القدرة "فأولئك" أى: خاصة . قال أيضا: ولعله جمع للشارة بكثرة الناجي بعد أن أفرد ؛ للدلالة على كثرة الأعمال ، أو على عموم الوزن لكل فرد "هم المفلحون" أى: الفائزون بالنجاة والدرجات العلى "

الحوض:

عند تفسير الخطيب الشربيني لسورة الكوثر يقول^(٤) : " الكوثر " أى: نهرا في الجنة هو حوضه ﷺ ترد عليه أمته (كما روى عن أنس أنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاء ، ثم رفع رأسه مبتسما؛ فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: أنزل على أنفا سورة ؛ فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ إلى آخرها، ثم قال : أتدرون ما الكوثر؟ قلنا : " الله ورسوله أعلم ؛ قال: فإنه نهر وعدنيه ربي ،

^١ - سورة المؤمنون: آية ١٠٢.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٤ ص ٣٥٩.

^٣ - ينظر: تفسير نظم الدرر ج ٥ ص ٢٢٢.

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٤٤٢.

خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، أنيته عدد النجوم فيخسج
العبد منهم فأقول ربى إنه من أمتى فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك^(١)

الملائكة:

عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي
الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) يقول الخطيب الشربيني^(٣): " والملائكة جمع ملك ، أصله
ملك ، والتاء لتأنيث الجمع ، وهو مقلوب مألك من الألوكة ؛ وهى الرسالة ؛
لأنهم وسائط بين الله — تعالى — وبين الناس ؛ فهم رسل الله أو كالرسل
إليهم لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس ، واختلف العلماء فى حقيقتهم بعد
اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة عنها بأنفسها ؛ فذهب أكثر المسلمين
إلى أنها أجسام لطيفة شفافة ، ويعبرون عنها بنورانية ، قادرة على التشكيل
بأشكال مختلفة. والجنّ قادرة على ذلك ؛ واستدلوا على ذلك بأن الرسل كانوا
يرونهم أجساماً لطيفة متشكلة بأشكال مختلفة. وزعم الحكماء — يعنى
الفلاسفة — أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة. وقالت
طائفة من النصارى: هى النفوس الغاضلة ؛ أى: المتصفة بفضائل العلم
والعمل، بخلاف الشريرة فإنها عندهم: الشياطين البشرية الناطقة. قوله:
البشرية وما بعده: صفة للنفوس المفارقة للأبدان ؛ يعنى: ما دامت فى الأبدان
تسمى النفوس، فإذا فارقتها كانت الملائكة، والمقول له الملائكة كلهم لعموم
اللفظ وعدم المخصص، وقيل ملائكة الأرض ؛ وذلك لأن الله — تعالى —
خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجنّ ؛ فأسكن الملائكة السماء ،
وأسكن الجنّ الأرض فمكثوا فيها دهرًا طويلاً ، ثم ظهر فيهم الحسد والبغى
فأفسدوا فيها ؛ فبعث الله — تعالى — إليهم جنداً من الملائكة يقال له: الجنّ ؛

^١ - سبق تخريجه ص ٥٦ .

^٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٣٠ .

وهم خزان الجنان ، اشتق لهم اسم من الجنة، رأسهم إبليس ؛ فكان رئيسهم ومن أشدهم وأكثرهم علماً؛ فهبطوا إلى الأرض ، وطرّدوا الجن إلى شعوب الجبال ويطون الأودية وجزائر البحور، وسكنوا الأرض وخفف الله - تعالى- عنهم العبادة ، وأعطى الله تعالى إبليس ملك الأرض ، وملك السماء الدنيا ، وخزّانة الجنة ، وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة ؛ فدخله العجب ، وقال : ما أعطاني الله - تعالى - هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه؛ فقال - تعالى - له ولجنده: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .

وهذه بعض الأمثلة التي ذكر الخطيب الشربيني الكثير غيرها في تفسيره؛ مما يظهر اهتمامه بمسائل العقيدة^(١) ؛ فقد جاء تفسيره للآيات التي تضمنت مسائل العقيدة مصحوباً بتعليق يوضح مذهبه العقدي وهو مذهب أهل السنة والجماعة، ولم يكتف بالأدلة النصية من القرآن والسنة ، بل تعرض للأدلة العقلية وأقوال الآخرين من العلماء والمفسرين ، مفنداً المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، ويتضح بذلك أن للخطيب الشربيني فكره المتميز في علوم العقيدة.

ينظر: السراج المنير ج ١ ص ١٣، ٤٣، ٧١، ٧٢، ٧٦، ١٢٥، ١١٨، ١٣٠، ٩٠، ١٣٤، ٢٣٠، ٣١٠، ٣١١، ٤٨٢، ٣١٢، ٥٠٧، ٥٣٣، ٢ ص ٤٣، ٦، ٦٣، ١٢٥، ٢٥٠، ٣٠٢، ٤٧٠، ٤٨٢، ٥٤٣، ٥٤٣ ص ٨، ٩، ١٠، ٤٠، ٤٤، ٤٩، ٤٧، ١٢٥، ٢١١، ٢١٤، ٢٥٧، ٤١٢، ٤١٤، ٤٤١، ٤ ص ٣١، ٩٣، ١٦٨، ١٩٠، ٥ ص ٤٣، ٤٤، ١٧٩، ١٧٩ ص ٢٢٧، ٣٢٠، ٣٢١، ٢٣٢، ٣٣٩، ٤٠٨، ج ٧ ص ١٨٩، ٢٠١، ٢٤٥، ٣٠٦، ٣٥٦، ٤٥٣، ٨ ص ٦٥، ١٣٩، ١٩٠، ٢٣٠.

الفصل الثالث : توظيفه علوم اللغة فى التفسير

" أجمع علماء الشريعة وفقهاؤها على أهمية الدراسة اللغوية للنص؛ للوصول إلى مراد الله - عز وجل - فاشتراط أهل العلم فى أى مجتهد أن يكون إمامه عميقاً بأسرار العربية ؛ لذلك لجأ أئمة الاستنباط إلى قواعد اللغة يستعينون بها على بيان أحكام الله ، بل جعلوها أحياناً حكماً بين الآراء ومرجعاً لبعض الأحكام ؛ فكانت مباحث الألفاظ العربية باباً رئيساً فى علم أصول الفقه".^(١)

" واشتراط العلماء فى المفسر للقرآن الكريم أن يكون متبحراً فى علوم اللغة؛ ليستطيع دراسة النص من جوانبه اللغوية المتعددة ؛ لما لها من أثر فى فهم النص القرآنى ؛ ومن أهم هذه العلوم: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم الصرف ، وعلوم البلاغة (المعاني والبيان والبدع) ".^(٢)

وقد عنى المفسرون بفروع اللغة فجاءت مقولاتهم فى مقدمات تفاسيرهم تنبئها على أهمية التعمق فى العربية بعلومها المختلفة ؛ لفهم اللغة.

" يقول الزمخشري فى مقدمة كشفه: " ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق إلا رجل برع فى علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعانى وعلم البيان، وتمهل فى ارتيادهما أونة ، وتعب فى التتقير عنهما أزمنة ... فارساً فى علم الإعراب ... متصرفاً ذا دراية بأساليب النظم والنثر ... ولقد رأيت

^١ - النحو والصرف فى خدمة النص القرآنى، أبحاث وقضايا لغوية، أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالأزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م، ص ١٠، ٦، بتصرف.

^٢ - تراجع الإنتقان للسيوطى ج ١ ص ٣٩٧؛ ص ٤٠٠ ، والنزهان ج ١ ص ١٧٣، ص ١٧٤ للزركشى والتفسير والمفسرون للذهبي ج ١ ص ٢٧٥، ص ٢٧٦ والتحزير والتوير للظاهرين عاشور ج ١ ص ١٨، ص ١٩.

إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية. كلما رجعوا إلى في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ؛ أفاضوا في الاستحسان والتعجب".^(١)

ويقول أبو حيان في مقدمة بحره المحيط^(٢): "فجدير لمن تأقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب 'سبويه'، فهو في هذا الفن المعول عليه، والمستند في حل المشكلات إليه".

"وأفرد الطاهر بن عاشور المقدمة الثانية من بين عشر مقدمات لتفسيره في استمداد علم التفسير" أكد فيها على أهمية علوم اللغة للتفسير والمفسر".^(٣)

ومن العلماء من أفرد مصنفات تناولت النصوص القرآنية من الناحية اللغوية، منها ما اختص بإعراب القرآن ؛ مثل : 'معاني القرآن وإعرابه' للزجاج ، 'إملاء ما من به الرحمن' للعكبري، و 'إعراب القراءات الشاذة' للعكبري، و 'تأويل مشكل القرآن' لابن قتيبة ، ومنها ما تناول الناحية البلاغية؛ مثل : 'أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز' للإمام عبد القاهر الجرجاني.

"وفي كتب التفسير عناية كبيرة بهذه المباحث، وإن كان بعضها يركز على المباحث النحوية كما في 'البحر المحيط' لأبي حيان، ومنها ما يعنى بالمعاني البلاغية ؛ مثل تفسير 'الكشاف' للزمخشري، ومنها ما يعنى بالأحكام واستنباطاتها من النص ؛ مثل 'الجامع لأحكام القرآن' للقرطبي ، وهكذا".^(٤)

١ - الكشاف للزمخشري ج ١ ص ١٦-١٨ باختصار.

٢ - ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ١٠١.

٣ - ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج ١ ص ١٨ - ٢٣.

٤ - النحو والصرف في خدمة النص القرآني للدكتور/ محمد المختار ص ١٤ بتصرف.

والخطيب الشربيني الذي نحن بصدد تفسيره أيضا على عناية فائقة بمباحث اللغة ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ حرصه على توظيف الدلالات اللغوية بكل ألوانها في استنباط المعنى المراد من الآية ؛ الدلالة المعجمية ، والدلالة النحوية ، والدلالة الصرفية ، والدلالة الصوتية ، والدلالة الاجتماعية ، والمقاصد البلاغية ؛ ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

المبحث الأول: توظيف الدلالة المعجمية في التفسير:

يعتمد الخطيب الشربيني على التحليل اللغوي المعجمي للكلمة في استنباط المعنى المراد بها في سياق الآية، وقد أخذ في تحليله عدة اتجاهات؛ فنجد أنه يذكر المعنى المرادف للكلمة، ويبين التضاد في الألفاظ ، والمشتراك اللفظي ، أو يرجع بالكلمة عند تفسيرها إلى أصلها المادي قبل أن يعرج على استعمالها في العرف الشائع بعد نقلها إلى أصلها، أو يفسرها بحسب المشهور من لغة العرب ويراعي عرفهم في استعمالها قبل أن يشيع فيها اللحن ؛ مستعينا في ذلك بالشعر والنثر والعرف، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية:

● عند تفسيره "افتح" من قوله - تعالى - : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ۖ ﴾^(١) يقول^(٢): " رَبَّنَا افْتَحْ " أى: اقض وافصل واحكم .

● وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۖ ﴾^(٣) يبين معنى "مختالاً" فيقول^(٤): " أى: متكبرا على الناس من أقاربه، وأصحابه، وجيرانه، وغيرهم ، ولا يلتفت إليهم " .

١ - سورة الأعراف: جزء من آية ٨٩ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٢٥ .

٣ - سورة النساء: جزء من آية ٣٦ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٧٢ .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ ذَلِكْ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ ^(١) يبين معنى 'خزى' فيقول ^(٢) : " أى: ذل وإهانة " .

● كما يبين التضاد فى كلمة 'القرء' عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ ^(٣) فيقول ^(٤) : " جمع قرء بفتح القاف وضمها ، وهو يطلق للحيض ؛ لقوله - عليه الصلاة والسلام - كما رواه أبو داوود وغيره: (دعى الصلاة أيام أقرائك) وللتطهر الفاصل بين حبستين ، وهو المراد فى الآية " .

● وأيضاً يبين التضاد فى كلمة 'أسروا' فى قوله - تعالى - : ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ ^(٥) فيقول ^(٦) : " وقيل: معنى الإسرار: الإظهار ، وهو من الأضداد ؛ أى : أظهروا الندامة " .

● كما يوضح المشترك اللفظى ؛ فعند تفسيره لكلمة 'يمل' فى قوله - تعالى - : ﴿وَلْيُمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ ^(٧) يقول ^(٨) : " أى: وليكن الممل على الكاتب من عليه الحق ؛ لأنه المقر المشهود عليه . والإملال والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن ، فالإملال ها هنا وهو لغة الحجاز ، والإملاء قوله تعالى : ﴿فَهِيَ تَمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] وهى لغة تميم " .

^١ - سورة المائدة: جزء من آية ٣٣ .

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٣٩ .

^٣ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٨ .

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٣٢ .

^٥ - سورة سبأ: جزء من آية ٣٣ .

^٦ - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ٣٩ .

^٧ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٨٢ .

^٨ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٩٥ .

● وكذلك يوضح المشترك اللفظي في كلمة "الضالين" عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ فَعَلَّهَا إِذَا وَاَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾^(١) فيقول^(٢): "أى: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله، والمخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمّد للقتل. قال ابن جرير: والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال".

● ويتتبع الخطيب الشربيني التطور الدلالي للكلمة فيأتي بالمعنى الأصلي الذي وضعت له ، ثم ينقلها من المعنى المادى إلى المعنى الحسى، ويبين المراد بها على المعنى القرآنى فى الآية؛ كما فعل عند تفسيره لكلمة "الكتاب" فى قوله - تعالى -: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(٣) فيقول^(٤): "والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة ، أو فعال بنى للمفعول كاللباس ، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب ؛ لأنه مما يكتب، وأصل الكتب الضمّ والجمع . سمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى حرف . والكتاب جاء فى القرآن على وجوه؛ أحدها: الفرض قال - تعالى -: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣] وثانيها: الحجة والبرهان قال تعالى: ﴿ فَاتُّوا بِكُتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الصافات: ١٥٧] أى: برهانكم، وثالثها: الأجل : قال - تعالى -: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٤] أى أجل، ورابعها: بمعنى مكتوبة السيد رفيقه؛ قال - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ [النور: ٣٣].

١ - سورة الشعراء: آية ٢٠.

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ١٢.

٣ - سورة البقرة: جزء من آية ٢.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٠.

● وأيضاً عند تفسيره لكلمة فتنة في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ
فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾^(١) يبين أصل الكلمة وما آلت إليه؛ فيقول^(٢) : "أى: ابتلاء من
الله - تعالى - للناس ليمتحانهم بتعليمه . وأصل الفتنة : الاختبار والامتحان؛
من قولهم: فتنت الذهب والفضة ؛ إذا أذبتها بالنار ؛ لتمييز الجيد من الرديء".

● وكذلك عند تفسيره لكلمة "فاقرة" في قوله - تعالى - : ﴿ تَظُنُّ أَنْ
يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾^(٣) يقول^(٤) : " وهى الداهية العظيمة ؛ قال أبو عبيدة: سميت
بذلك؛ لأنها تكسر فقار الظهر؛ يقال: فقرته الفاقة ؛ أى: كسرت فقار ظهره،
ومنه سمي الفقير لانكسار فقاره من القل ."

● وعنى الخطيب الشربيني عند بيانه المعانى المعجمية للكلمات بالعرف
الساند عند العرب فى استعمال الكلمة؛ فالمطالع لتفسيره يجده كثيراً ما يرجع
إلى كلام العرب للاستشهاد على المعنى المراد بالكلمة فى الآية الكريمة ؛
كما فعل عند تفسيره لمعنى (المعاهدة) فى قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ
عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(٥) فيقول^(٦) : " والمعاهدة : المعاهدة والمخالفة . والأيمان :
جمع يمين؛ بمعنى القسم أو اليد ؛ وذلك أنهم كانوا عند المخالفة يأخذ بعضهم
ببذ بعض على الوفاء والتمسك بالعهد، ومخالفتهم أن الرجل كان فى الجاهلية
يعاهد الرجل؛ فيقول: دمي ذمك ، وثأرى ثأرك ، وحربى حربك ، وسلمى
سلمك، وترثنى وأرثك ، وتطلب منى وأطلب منك ، وتعقل عنى وأعقل
عنك؛ فيكون للحليف السدس من مال الحليف . وكان ذلك ثابتاً فى ابتداء

١ - سورة البقرة: جزء من آية ١٠٢.

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٣١.

٣ - سورة القيامة: آية ٢٥.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ١٩٢.

٥ - سورة النساء: جزء من آية ٣٣.

٦ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٦٧.

الاسلام فنلك قوله تعالى: ﴿ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ ﴾ [النساء: ٣٣] أى : أعطوهم حظهم من الميراث .“

● وأيضا عند تفسيره لكلمة (الأزلام) فى قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ ^(١) يقول ^(٢) : " والأزلام : جمع زلم يفتح الزاى وضمها مع فتح اللام: قدح - بكسر القاف - صغير، وهو سهم لا ريش له ولا نصل؛ وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها : أمرنى ربى، وعلى الآخر: نهانى ربى، والثالث : غفل أى: لا سمة عليه فإن خرج الأمر مضوا على ذلك ، وإن خرج الناهى تجنبوا عنه ، وإن خرج الغفل أداروها ثانيًا؛ فمعنى الاستقسام : طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام .“

● ويشير الخطيب إلى استعمال الفعل الماضى بمعنى الإرادة ، ويضرب أمثلة من استعمالات الناس ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ^(٣) فيقول ^(٤) : " والذى ذهب إليه الأكثرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار ، أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا : ومعنى الآية : إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله وتبعثهم على ذلك فلها قنرت ذلك فى الآية الكريمة. ومثل ذلك قوله - تعالى - : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] ومثله من الكلام: إذا أكلت فسم ؛ أى: إذا أردت أن تأكل فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا سافرت فتأهب ؛ أى: إذا أردت السفر فتأهب .“

^١ - سورة المائدة: جزء من آية ٣.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ١٠.

^٣ - سورة النحل: جزء من آية ٩٨.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣٧٦.

● ويرجع الخطيب الشربيني إلى كلام العرب لترجيح المعنى المراد في الآية ؛ كما فعل عند تفسيره لكلمة 'تخوف' في قوله - تعالى - : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾^(١) فيقول^(٢) : " وفي تفسير التخوف قولان ؛ الأول : التخوف : تفعل من الخوف يقال : خفت الشيء وتخوفته ؛ والمعنى : أنه - تعالى - لا يأخذهم بالعذاب أولاً ، بل يخيفهم أولاً ثم يعذبهم بعده ، وتلك الإضافة هو أنه - تعالى - يهلك قرية فتخاف التي تليها فيأتهم العذاب. والثاني : التخوف بمعنى التنقص ؛ أي : أنه تعالى ينقص شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفه إذا تنقصه. وروى أن عمر - رضي الله تعالى عنه - قال على المنبر : ما تقولون في هذه الآية ؟ فسكتوا ؛ فقال شيخ من هذيل : هذه لغتنا ؛ التخوف : التنقص ؛ فقال عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير :

تخوف الرجل منها تامكا قرذاً كما تخوف عود النبعة السفن^(٣)

تخوف ؛ أي : تنقص - الرجل - أي : رجل ناقته - منها تامكا ؛ أي : سناماً - قرذاً ؛ أي : مترامكاً أو مرتفعاً وهو يسكون وراء - كما تخوف عود النبعة السفن .

والنبعة : بالضم واحدة النبع ؛ وهو شجر يتخذ منه السفن ، والسفن بفتح السين والفاء ما ينحت به الشيء ، وهو فاعل (تخوف) ومفعول (عود) . فقال

^١ - سورة النحل : جزء من آية ٤٧ .

^٢ - ينظر : للسراج المنير جـ ٣ ص ٣٣٨ ص ٣٣٩ .

^٣ - البيت في شرح شواهد الكشاف جـ ٤ ص ٤٩٥ ، ونسبه الزمخشري لأزهير عند تفسيره للآية ٤٧ من سورة النحل ، ونسبه الألويسي لأبي كبير الهذلي عند تفسيره للآية نفسها في روح المعاني جـ ٧ ص ٣٩٠ ، ونسبه القرطبي أيضاً لأبي كبير الهذلي في الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ ص ١١٦ ، ونسبه ابن منظور في لسان العرب جـ ٢ ص ١٢٩٢ مادة : (خ ، و ، ف) لابن مقبل ، ونسبه في موضع آخر إلى ذي الرمة جـ ٣ ص ٢٠٣٢ مادة : (م ، ف ، ن) ، ولم أجده في دواوين من نسبوه إليهم .

عمر: عليكم بديوانكم. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم. ومعنى البيت: أن رجل ناقته ينقص سنامها المتراكم أو المرتفع كما ينقص السفن عود النبعة^١.

● ومن ترجيحه للمعنى بحكم اللغة أيضا تفسيره - لقوله -: ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إلى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ^(١) فيقول^(٢): "وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه أيضا بأن الذي هو بمعنى الانتظار في القرآن غير مقرون بالي؛ كقوله - تعالى -: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] والذي ندعيه أن النظر المقرون بالي ليس إلا بمعنى الرؤية؛ لأن وروده بمعنى الرؤية ظاهر؛ فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك".

هذه بعض أمثلة لتوظيف الخطيب الشربيني للدلالة اللغوية المعجمية في استنباط المعنى المراد من الآية الكريمة. والمطالع لتفسيره يجد الكثير منها.

^١ - سورة القيامة: الآيتين ٢٢، ٢٣.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ١٩١.

المبحث الثاني: توظيف الدلالة الصرفية في التفسير:

على الخطيب الشربيني بالأثر المعنوي لمعرفة الصيغ ؛ فالقارئ لتفسيره يلحظ توظيفه للدلالة الصرفية في استنباط المعاني القرآنية؛ فيبين اختلاف الصيغ وينزلها على المعاني القرآنية ، ويبين اختلاف المعنى باختلاف الصيغة ومثال ذلك ما فعله عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(١) يقول^(٢): " وآدم اسم أعجمي كسائر الأنبياء إلا صالحا وشعيبا ولوطا ومحمدا بل قيل إن (آدم) أيضا عربي ؛ وعلى هذا فاشتقاقه^(٣) من الأئمة بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة ، أو الأئمة بفتح الهمزة والدال بمعنى الأسوة ؛ أي: القدوة ، أو من أدبم الأرض ؛ أي: ظاهر وجهها".

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾^(٤) يفسر معنى كلمة "اقترب" أي : قرب . ثم يبين الأثر المعنوي لاختيار صيغة هذا الفعل ؛ فيقول^(٥): " وأشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب "

● وأبضا عند تفسيره كلمة "جمع" في قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾^(٦) يستدل بالدلالة الصرفية على المعنى ؛ فيقول^(٧): " وقرأ ابن

١ - سورة البقرة : جزء من آية ٣١ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٧٩ .

٣ - الاشتقاق : هو نزع لفظ من آخر ، بشرط مناسبتها معنى وتركيباً ، ومغايرتهما في الصيغة ينظر التعريفات للجرجاني ص ٤٣ .

٤ - سورة الأنبياء: جزء من آية ١ .

٥ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٢٦٥ .

٦ - سورة الهمزة: آية ٢ .

٧ - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٤٢٥ .

عامر وحمزة والكسائي بتشديد الميم على المبالغة والتكثير؛ ولأنه يوافق قوله - تعالى - 'وعنده' والباقون بتخفيفها ، وهي محتملة للتكثير وعدمه.

● ويحتكم للدلالة الصرفية في بيان المعنى عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ ثُمَّ يَغْتَابُهُمُ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِينَ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ۖ ۱) فعند انتهائه من تفسيرها يقول (٢): " تنبيه: أحصى فعل ماضٍ أى : أيهم ضبط أمر أوقات لبثهم ، وأما من جعله أقفل تفضيل ؛ فقال في الكشاف (٣): ليس بالوجه السديد ؛ وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ؛ ونحو: أعدى من الحرب، وأفلس من ابن المذلق - شاذ ؛ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع ؛ فكيف به ١٢؟ "

● كذلك يشير الخطيب الشربيني إلى المعاني البلاغية لأبنية المشتقات كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ ٤) إذ يقول (٥): " فإن قيل: لم جمع جمع قلة (٦) أمع أن المقام يستدعي الإتيان بجمع الكثرة (يقصد: لم لم يقل رب العوالم) أجيب: بأن فيه تنبيها على أنهم وإن كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه - تعالى - "

● كما عنى الخطيب بإبراز المعاني البلاغية ؛ لصيغ المشتقات كاستعمال القرآن لصيغ المبالغة ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - :

١ - سورة الكهف: آية ١٢.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ١٤.

٣ - ينظر: الكشاف للزمخشري ج١ ص ٤٧٤.

٤ - سورة الفاتحة: جزء من آية ٢.

٥ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣٠.

٦ - جمع القلة : هو الذي يطلق على عشرة فما دونها من غير قرينة وعلى ما فوقها بقرينة، ينظر التعريفات للجرجاني ص ١٠٥.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾^(١) فيقول^(٢): " فإن قيل: لم قال 'خَوَّانًا أَثِيمًا' على المبالغة؟ أجيب: بأن الله - تعالى - كان عالماً من 'طعمة'^(٣) بالإقراط في الخيانة وركوب المأثم، ومن كانت تلك خلقه أمره لم يشك في حاله، وقيل: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر - رضي الله - تعالى عنه - أنه أمر بقطع يد سارق؛ فجاءت أمه تبكي وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه ؛ فقال: كذبت ؛ إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة ".

● وأيضاً يبين المعنى البلاغي لصيغة الفعل المضارع 'تُخْرِجُ' عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾^(٤) فيقول^(٥): " أى: لم يكفهم خطورها في أنفسهم وترتدّها في صدورهم حتى تلفظوا بها وكان صدورهم بها على وجه التكرير كما يشير إليه التعبير بالمضارع ".

● وكذلك يبين السر البلاغي للصيغة عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾^(٦) فيقول^(٧): " وفي التعبير هنا بالماضي وفي الأول^(٨) بالمضارع بشارة بدخول كثير في هذا الدين ، وأنهم لا يرتدون بعد

١ - سورة النساء: جزء من آية ١٠٧.

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٥٢٩.

٣ - طعمة بفتح الطاء وكسر ها ، هو رجل من الأنصار نزلت فيه الآية فينظر السراج المنير ج١ ص ٥١٨ .

٤ - سورة الكهف: جزء من آية ٥.

٥ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٧.

٦ - سورة لقمان: جزء من آية ٢٣.

٧ - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٢٧٨.

٨ - يقصد الآية ٢٢ من سورة لقمان ، وهي قوله - تعالى - : ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ .﴾

إسلامهم - وترغب في الإسلام لكل من كان خارجاً عنه؛ فالآية من الاحتباك".

● وقد يتطرق الخطيب الشربيني لشرح القاعدة الصرفية؛ كما فعل عند تفسيره لمعنى (الحمد) في قوله - تعالى -: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(١) إذ يقول^(٢): "وظاهر قول الزمخشري^(٣): الحمد والمدح أخوان - أنهما مترادفان، وبه صرح في 'الفائق'^(٤) لكن الأوفق ما عليه الأكثر أنهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقاً كبيراً؛ والاشتقاق ثلاثة أقسام: كبير^(٥)، وأكبر^(٦)، وأصغر^(٧)، وقد يعبر عنه بالصغير، فالكبير أن يشتركا في أكثر الحروف الأصول؛ كالفلق، والفلج، والفلذ - مع اتحاد في المعنى أو تناسب. والأصغر أن يشتركا في الحروف الأصول المترتبة؛ كضرب والضرب".

١ - سورة الفاتحة: جزء من آية ٢.

٢ - ينظر: السراج المثير ج١ ص ٢٨.

٣ - ينظر: للكشاف للزمخشري ج١ ص ٤٦.

٤ - ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين - ط. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ج١ ص ٢٧٣.

٥ - الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب؛ نحو: حبذ من الحذب؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٤.

٦ - الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج؛ نحو: نطق من اللّهُق؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٤.

٧ - الاشتقاق الصغير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب؛ نحو: ضرب من: الضرب؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٤.

المبحث الثالث: توظيفه القاعدة النحوية في استنباط المعنى:

" الدارس والقارئ للنص الشرعي لابد له بعد أن يدرك المعنى اللغوي للمفردات الواردة في النص ، وبعد أن يدرك الصيغة التي وردت عليها الكلمات... لابد له أن يعرف موقع كل كلمة في هذا النص؛ من حيث الإسناد والعلاقات التركيبية ؛ حتى لا ينسب حدث إلى من لم يَقم به؛ فيختلف المعنى المراد للشرح ؛ والذي يتكفل بهذه المعرفة هو علم النحو الذي يحدد الموقع الإعرابي للكلمات من خلال قواعده واحتمالاته ".^(١)

وقد عني الخطيب الشربيني بالصناعة النحوية ؛ فالمطالع لتفسيره يجد قد اهتم بتوظيف القاعدة النحوية في استنباط المعاني المرادة من الآيات القرآنية؛ فيذكر وجوه الإعراب التي تحتلها الآية ، وينزل الآية على اختلاف الأعراب ، وقد يرجح واحدا منها ويدلل على رجائه، وقد يشرح القاعدة النحوية دون إنزالها على المعاني القرآنية، ولكنه التزم بما اشترطه على نفسه في مقدمة تفسيره ؛ فلم يقم نفسه فيما لا يعني المفسر من ذكر الأعراب التي لا تمت إلى التفسير بسبب . وسأعرض فيما يلي اتجاهه في توظيفه الدلالة النحوية بالأمثلة:

● يبين الخطيب الشربيني المعنى استنادا إلى الإعراب ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾^(٢) إذ يقول^(٣) : " خير مبتدأ محذوف ؛ أي: هم سماعون والضمير في (سماعون) للفرقيين ، أو للذين يسارعون ، ويجوز أن يكون مبتدأ (ومن الذين) خبره ؛ أي: ومن اليهود قوم سماعون للكذب الذي افترته أخبارهم سماع قبول " .

^١ - النحو والصرف في خدمة النص القرآني للدكتور محمد المختار محمد المهدي ، ص ٣٠ بتصرف.

^٢ - سورة المائدة: جزء من آية ٤٢.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٤١ .

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَتَىٰ لَنَا إِلَٰهٌ آٰلَا فَاَعْبُدُونَ ﴾^(١) يعتمد على الأثر المعنوي للقاعدة النحوية في استنباط المعنى المراد من الآية ؛ فيقول^(٢) : " قال - تعالى - : (إلا أنا) ولم يقل (نحن) لئلا يجعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادعوه من تعدد الآلهة ؛ ولذلك قال : (فاعبدون) بالإفراد " .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾^(٣) يقول^(٤) : " تنبيه : في انتصاب (سرا وعلانية) وجوه : أحدها : أن يكون على الحال ؛ أى : ذوى سر وعلانية ؛ بمعنى : مسرين ومعلنين . والثاني : على الظرف ؛ أى : وقت سر وعلانية . وثالثها : على المصدر ؛ أى : إنفاق سر وإنفاق علانية " .

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(٥) يعتمد على القاعدة النحوية في استنباط المعنى المراد ؛ فيقول^(٦) : " تنبيه : فى نصب (أثاثا) وجهان : أحدهما : أنه منصوب عطفاً على بيوتاً ؛ أى : وجعل لكم من أصوافها أثاثاً . والثاني : أنه منصوب على الحال " .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ﴾^(٧) يبين وجوه القراءات ، ثم يبين أوجه إعرابها بناء على

١ - سورة الأنبياء : جزء من آية ٢٥ .

٢ - ينظر : السراج المنير جـ ٤ ص ٢٢٦ .

٣ - سورة إبراهيم : جزء من آية ٣١ .

٤ - ينظر : السراج المنير جـ ٣ ص ٢٦٥ .

٥ - سورة النحل : آية ٨٠ .

٦ - ينظر : السراج المنير جـ ٣ ص ٣٦٦ .

٧ - سورة النبأ : جزء من آية ٣٧ .

هذه القراءات فيقول^(١): " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن برفع (رب) و (الرحمن) وابن عامر وعاصم بخفضهما والآخران^(٢) بخفض الأول ورفع الثاني.

أما رفعهما فمن أوجه: أحدها: أن يكون رب خبر مبتدأ مضمرة؛ أي: هو رب ، والرحمن كذلك، أو مبتدأ خبره لا يملكون. ثانيها: أن يجعل رب مبتدأ والرحمن خبره، ولا يملكون خبراً ثانياً أو مستأنفاً. ثالثها: أن يكون رب مبتدأ والرحمن نعته، ولا يملكون خبر رب. رابعها: أن يكون رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثانياً، ولا يملكون خبره، والجملة خبر الأول، وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه ، وهو رأى الأخفش، ويجوز أن يكون (لا يملكون) حالاً وتكون لازمة.

وأما جرهما فعلى البيان والنعت ، أو يجعل (رب السموات) تابعاً للأول، و (الرحمن) تابعاً للثاني، وأما جرّ الأول فعلى التبعية للأول ، ورفع الثاني فعلى الابتداء والخبر الجملة الفعلية وهي (لا يملكون) أي: الخلق .

● ويتعرض الخطيب الشربيني لاختلاف الآراء في الإعراب كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾^(٣) يقول^(٤): "وقوله تعالى: 'حقاً' مصدر؛ قال البيضاوي^(٥) تبعاً للزمخشري^(٦) وغيره: مؤكداً لمضمون الجملة قبله ؛ أي: حق ذلك حقاً ؛ وردّه أبو حيان^(٧) بأن

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٣٩، ٢٤٠.

^٢ - أي: الكسائي وحمزة.

^٣ - سورة البقرة: آية ١٨٠.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ١٨٥.

^٥ - ينظر: حاشية زادة على البيضاوي جـ ٢ ص ٤٤٢.

^٦ - ينظر: الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٣٣٤.

^٧ - ينظر: البحر المحيط لأبي حيان جـ ٦ ص ١٠١.

قوله - تعالى -: "على المتقين" متعلق بحقا ، أو صفة له ، وكل منهما يخرج عن التأكيد ؛ أما الأول فلأن المصدر المؤكد لا يعمل ، إنما يعمل المصدر الذي يتحل إلى حرف مصدري ، والفعل أو المصدر الذي هو بدل من اللفظ بالفعل ، وأما الثاني فلأن "حقاً" مصدر مخصص بالصفة فلا يكون مؤكداً . وقيل : حقاً نعت لمصدر (كتب) أو أوصى ؛ أى : كتب أو إيصاء حقاً ، وقيل حال من مصدر أحدهما معرفاً . وقيل : نصب على المفعولية ؛ أى : جعل الوصية حقاً على المتقين .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١) يتناول الآراء في قضية العلم بتأويل المتشابه ويعتمد في مناقشة الآراء والترجيح بينها على شرح معنى (الواو) ووجود الإعراب في الآية الكريمة ؛ فيقول^(٢) : " تنبيه : اختلف العلماء في نظم هذه الآية ؛ فقال قوم : الواو في قوله : "والراسخون" واو العطف ؛ أى : أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم ، وهم مع علمهم "يقولون آمنا به" وهذا قول مجاهد والربيع ؛ وعلى هذا يكون قوله "يقولون" حالاً معناه والراسخون في العلم قائلين : آمنا به . وذهب الأكثرون إلى أن الواو في "والراسخون" واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله "وما يعلم تأويله إلا الله" ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحد من خلقه ؛ كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها ، وخروج النجال ، وعدد الزبانية ، ونزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - ونحوها . والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به ، وفي المحكم بالإيمان به والعمل . وقال عمر ابن عبد

١ - سورة آل عمران : آية ٧ .

٢ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٣١٠ ، ٣١١ .

العزیز فی هذه: " انتهى علم الراسخين فی العلم بتأویل القرآن إلى أن قالوا: أمنا به . قال فی "الكشاف": والاول أوجه^(١) أ. هـ.

ووجهه شيخنا القاضي زكريا^(٢) بقوله: " لأن المتشابه على الثاني يصير الخطاب به كالخطاب بالمهمات " أ. هـ.

ومع هذا فالوجه هو الثاني ؛ لأنه أشبه بظاهر الآية ، ويدل له وجود: أحدها: أنه ذم طالب المتشابه بقوله — تعالى —: "أما الذين في قلوبهم زيغ" الآية، وثانيها: أنه مدح الراسخين في العلم بأنهم يقولون: "امنا به" وقال في أول البقرة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦] فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأویل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الإيمان به مدح؛ لأن كل من عرف شيئاً على سبيل التفصيل فلا بد أن يؤمن به، وثالثها: لو كان قوله والراسخون معطوفاً لصار قوله: يقولون أمنا به ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة، وكان الأولى أن يقال "وهم يقولون" أو يقال "ويقولون".

فإن قيل: في تصحيحه وجهان: الأول: أن يقولون "خبر مبتدأ" ، والتقدير: هؤلاء العالمون بالتأویل يقولون أمنا. والثاني: أن يكون "يقولون" حالا من "الراسخون": أجيب: بأن الأول مرفوع بأن تفسير كلام الله - تعالى - بما لا يحتاج معه إلى إضمار أولى، والثاني أن ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وهم "الراسخون" ؛ فوجب أن يكون قوله: "أمنا به" حالا من "الراسخون" لا من الله. وذلك ترك للظاهر.

^١ - ينظر: للكشاف للزمخشري ج ١ ص ٤١٣.

^٢ - هو زكريا بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي شيخ الإسلام ، فاض مفسر ، من حفاظ الحديث ، من كتبه: فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن تعليق على تفسير البيضاوي ، وتحفة الناري على صحيح البخاري ، ولب الأصول ، ولد سنة ٨٢٣ هـ ومات سنة ٩٢٦ هـ ؛ ينظر: الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٨١، ٨٠.

● وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾^(١) يقول^(٢): "واختلف النحويون في نصب قوله - تعالى - : قِيمًا على أوجه؛ الأول: قال في "الكشاف"^(٣): لا يجوز حمله حالا من الكتاب ؛ لأن قوله - تعالى - : "ولم يجعل له عوجا" معطوف على قوله - تعالى - : "أنزل" فهو داخل في حيز الصلة وأنه لا يجوز. قال: ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير "ولم يجعل له عوجا" جعله "قيما" لأنه - تعالى - إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. قال: فإن قلت : فما فائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد ، ورب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السير والتصفح.

الوجه الثاني: أنه حال ثانية والجملة المنفية قبله حال أيضا كما مر، وتعذر الحال الذي هو حال واحد جائز؛ والتقدير: أنزله غير جاعل له عوجا قيما. الوجه الثالث: أنه حال أيضا، ولكنه بدل من الجملة قبله؛ لأنها حال ، وإبدال المفرد من الجملة إذا كانت بتقدير مفرد - جائز ."

● وأيضا يبين الاستثناء^(٤) ودلالته على المعنى عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ﴾^(٥) فيقول^(٦): " استثناء متصل؛ أي: إلا ما أنركم ذكاته وصار فيه حياة مستقرة من ذلك ، فهو حلال ؛ وقيل: الاستثناء

^١ - سورة الكهف: جزء من آية ٢.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص٦.

^٣ - ينظر: الكشاف للزمخشري ج٢ ص٤٧٢، ٤٧١.

^٤ - الاستثناء: هو إخراج الشيء من الشيء لولا الإخراج لوجب دخوله فيه ، وهذا يتناول المنصل حقيقة وحكما ، ويتناول المنفصل حكما فقط ؛ ينظر: التعريفات للجزجاني ص١٧.

^٥ - سورة المائدة: جزء من آية ٣.

^٦ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص٩.

مخصوص بما أكل السبع . وقيل: الاستثناء منقطع؛ أي: ولكن ما ذكيتم من غيرها فحلّال أو فكلوه؛ وكان هذا القائل رأى أنها وصلت بهذه الأسباب إلى الموت أو إلى حالة قريبة منه ؛ فلم نقد نذكيتها عنده شيئاً. وقيل الاستثناء من التحريم لا من المحرّمات؛ أي: حرّم عليكم ما مضى إلا ما ذكيتم فإنه لكم حلّال ؛ فيكون الاستثناء منقطعاً أيضاً *.

وهذه بعض أمثلة من مواضع كثيرة اتخذ فيها الخطيب الشربيني وجوه الاعراب وسيلة للتفسير، يتوصل بها إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض، ويحاول أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية.

● وقد يذكر المذاهب النحوية عند الإعراب كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ أَنْ تَبَرُّوا ﴾^(١) يقول^(٢): " أي: مخافة ألا تبرّوا فهو في موضع نصب مفعول من أجله. وعند الكوفيين لئلا تبرّوا ؛ كقوله - تعالى -: ﴿ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلوا، وقال أبو اسحاق^(٣)^(٤): في موضع رفع بالابتداء ، والخبر محذوف؛ أي: أن تبرّوا وتتقوا خير لكم. وقيل: التقدير: في أن تبرّوا؛ فلما حذف حرف الجرّ نصب . وقيل: هو في موضع جرّ بالحرف المحذوف ".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾^(٥) ينبه على المذاهب النحوية ؛

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٢٤.

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٢٩.

٣ - هو الزجاج وتقدم التعريف به ص ٢٥.

٤ - ينظر معاني القرآن للزجاج ج١ ص ٢٥٧ ، وهذا معنى كلام الزجاج ، ونصه " ويجوز أن يكون موضع "لن" رفعاً فيكون المعنى أولى ؛ أي : للبر والتقوى أولى ، ويكون أولى محذوفاً كما جاء حذف أشياء في القرآن ، لأن في الكلام دليلاً عليها ".

٥ - سورة النساء: جزء من آية ١٤.

فيقول^(١): "خالداً فيها" حال كما مرّ . ولا يجوز أن يكون "خالدين" و"خالداً" صفتين لجنات ونار ؛ لأنهما جرياً على غير من هما له ، فلا بد من الضمير وهو قولك: خالدين هم فيها، وخالداً هو فيها. هذا على مذهب البصريين ، أما على مذهب الكوفيين فهو جائز عندهم عند أمن اللبس كما هو ، وهو الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره ."

● وقد تناول الخطيب الشربيني الحروف بأنواعها، وعنى بما كثر استعماله في القرآن الكريم ؛ فبين معانيها، وذكر خلاف العلماء فيها؛ ومن ذلك ما ذكره عند الكلام على "الباء" في قوله - تعالى - : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(٢) فقال^(٣): " والباء في 'باسم الله' متعلقة بمحذوف تقديره: باسم الله اقرأ ؛ لأنّ الذي يثلوه مقروء ؛ إذ كل فاعل يبدأ في فعله باسم الله يضم ما يجعل التسمية مبدأ له ؛ كما أنّ المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال: بسم الله الرحمن الرحيم - كان المعنى باسم الله أحل باسم الله أرتحل ، وذلك أولى من أن يضم (أبدأ) لعدم ما يطابقه وما يدل عليه ، ومن أن يضم (ابتدأني) لما ذكرنا .

فإن قيل: المصدر لا يعمل محذوفاً ؛ أجيب: بأنه يتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما، وتقديره مؤخراً - كما قال الإمام الرزّي - أولى كما في "إياك نعبد وإياك نستعين" لأنه أهم وأدلّ على الاختصاص ، وأدخل في التعظيم ، وأوفق للوجود ؛ فإن اسمه - تعالى - مقدم ذاتاً ؛ لأنه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكره .

فإن قيل: قال الله - تعالى - : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١] فقدم الفعل ؛ أجيب: بأنه في مقام ابتداء القراءة وتعليمها؛ لأنها أول سورة نزلت ، و

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٤٩ .

^٢ - سورة الفاتحة: آية ٢ .

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٥ .

كان الأمر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض ، وإن كان ذكر الله - تعالى - أهم في نفسه، وذكرت أجوبة غير ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة. والياء للاستعانة أو للمصاحبة والملابسة على جهة التبرك؛ والمعنى : متبركا باسم الله اقراء، والثاني أولى لما فيه من التحاشي عن جعل اسمه تعالى آلة، والأحسن أن تكون لهما إعمالا للفظ في معنييه الحقيقيين أو الحقيقي والمجازي عند من يجوز؛ كما مانا الشافعي . والبسملة وما بعدها إلى آخر السورة مقول على السنة العباد ؛ ليعلموا كيف يتبرك باسمه ، ويحمد على نعمه ، ويسئل من فضله . ويقدر في أول الفاتحة : قولوا كما قال الجلال المحلي ؛ ليكون ما قيل (إياك نعبد) مناسبا له بكونه من مقول العباد .

● كذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾^(١) يقول^(٢) : " ومن مزيدة للاستغراق " .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾^(٣) يقول^(٤) : " أى : الذين يخلدون فيه، والإتيان بثم إشارة إلى تراخي ذلك عن الإهلاك في الدنيا بالمكث في البرزخ ، أو إلى أن عذابه أدنى من عذاب يوم الدين " .

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾^(٥) يقول^(٦) : " وقيل : من زائده. وقيل :

١ - سورة المائدة: آية ٧٣.

٢ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٦٣.

٣ - سورة يونس: جزء من آية ٥٢.

٤ - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٣٧.

٥ - سورة الكهف: جزء من آية ٣١.

٦ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٤١.

للابتداء . ومن في قوله - تعالى - : "من ذهب" للبيان صفة لأساور،
وتكثيرها لتعظيم جنسها عن الإحاطة به. وقيل : للتبعيض ."

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾^(١)
يقول^(٢) : "وفي إذا هذه احتمالان؛ أحدهما: أن تكون شرطية، والثاني أن تكون
غير شرطية؛ فعلى الأول في جوابها أوجه: أحدها: أنه محذوف ؛ ليذهب
المقدر كل مذهب، أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكويد والانفطار،
وهو قوله - تعالى - : ﴿ عَلِمْتُ نَقْصٌ ﴾ [الانفطار : ٥، سورة التكويد : ١٤]
والثاني: جوابها ما دل عليه "فملاقيه". الثالث: أنه " يا أيها الإنسان" على
حذف الفاء، وعلى كونها غير شرطية ؛ فهي مبتدأ، وخبرها (إذا) الثانية
والواو مزيدة؛ تقديره: وقت انشقاق السماء وقت من الأرض؛ أى: يقع
الأمران فى وقت؛ قاله الأخفش. وقيل: إنه منصوب مفعولا به بإضمار
(أذكر) انشقاقها بالغمام، وهو من علامات القيامة ؛ كقوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ
تُشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعَابِ﴾ [الفرقان: ٢٥] ."

وهذه بعض أمثلة من نماذج كثيرة اعتنى فيها الخطيب الشربيني
بتوظيف إعراب الحروف ومعانيها فى التفسير؛ كحروف الجر، والعطف،
ونواصب الأسماء، وأدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة ، وغيرها.

^١ - سورة الإنشقاق: آية ١.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٨ ص ٢٩٢.

المبحث الرابع: توظيفه دلالة السياق في استنباط المعنى:

حتى يتم البيان والوضوح للأسلوب القرآني لابد من معرفة سياق النص، وما لحقه من أسباب النزول "السياق الاجتماعي" واللوان البلاغة التي تبرز أسرار التركيب؛ والخطيب الشريفي كثير العناية بالسياق الاجتماعي (أسباب النزول) وقد تناولته في مبحث خاص به، كما أنه كثير العناية أيضا بالناحية البلاغية للقرآن الكريم؛ فالمطالع لتفسيره يجد مهتمًا بأن يكشف عن النواحي البلاغية للقرآن وأسرار إعجازه في نظمه وأسلوبه، فيكاد ينبه على كافة أساليب البلاغة من بيان وبديع ومعان، ويهتم بإبراز المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتى حظًا وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية؛ فالفقيه لتفسيره يجد بارزاً في هذه الناحية؛ ويتضح ذلك من الأمثلة:

● فعند تفسيره للآيات الكريمة يؤكد على إعجاز القرآن الكريم في نظمه ومعناه؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ﴾^(١) فيقول^(٢): "أى: المحكم بعظيم النظم وبديع المعاني".

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) يقول الخطيب الشريفي^(٤): "الحكيم" الذي يضع الأشياء في مواضعها، ولا يضع شيئاً إلا كذلك، كما أحكم أمره ونهيه وجمع شرعه، وأحكم نظم هذا القرآن جملاً وآيات وفواصل وغايات بعد أن حرر معانيه وتنزيله؛ فصار معجزاً في نظمه ومعناه".

^١ - سورة يس: آية ٢.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج ٦ ص ٩٢.

^٣ - سورة الحاثية: جزء من آية ٣٧.

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ٦ ص ٤٨٧.

واهتم الخطيب الشربيني ببيان فنون البلاغة الثلاثة: البيان والبديع والمعاني وذكر الأغراض البلاغية ؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ اهتمامه ببيان صور "البيان"^(١) وأثرها في تأدية المعنى، فيوضح صور التشبيه والاستعارة^(٢) والمجاز^(٣) والكناية^(٤) ودلالاتها على المعنى المراد:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) يبين أن الكلام على المجاز ؛ فيقول^(٦):

"مجاز باعتبار المال؛ أي: لا تفعلوا ما يؤدي إلى الفساد ، وليس معنى الإفساد هنا الإتيان بالفساد ليصح حمل الكلام على الحقيقة؛ ثبه على ذلك السعد التفتازاني^(٧) ."

^١ - علم البيان ، هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح دلالة عليه ؛ ينظر : التعريفات للجرجاني ص ٢٠٠ .

^٢ - الاستعارة: هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين ؛ ينظر : التعريفات للجرجاني ص ٣٥ .

^٣ - المجاز: هو العدول عن الحقيقة الموضوعية للمعنى المراد ، بحيث يأتي المتكلم لاسم موضوع لمعنى فيختصره إما بأن يجعله مفردا بعد أن كان مركبا ، أو غير ذلك من وجوه الاختصار ، أو يذكر ما هو متعلق به ، أو كان من سببه لفائدة ؛ ينظر : تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري ٥٨٥-٦٥٤ هـ تحقيق د/حنفي محمد شرف - ط . المجلس الأعلى للشتون الإسلامية ، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ص ٣٣٥ .

^٤ - الكناية: هي أن يعبر عن شيء لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح من الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإيهام على السامع ؛ ينظر : التعريفات للجرجاني ص ٢٤٠ .

^٥ - سورة البقرة: جزء من آية ١١ .

^٦ - ينظر : السراج المنير ج ١ ص ٥١ .

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾^(١) يقول^(٢) : " وهذا من باب التمثيل ؛ مثل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاطئ جبل فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه " .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَالذَّاقُهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾^(٣) يبين الاستعارة في هذا التعبير القرآني ؛ فيقول^(٤) : " تنبيهه : استعير الذوق لإدراك أثر الضرر ، واللباس لما عشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف ، وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له ؛ كقول كثير عزة :

غَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابَ الْمَالِ^(٥)

فإنه استعار الرداء للمعروف ؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقي عليه ، وأضاف إليه (الغمر) الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظراً إلى المستعار له ؛ ولو نظر إلى المستعار لقال : ضافى الرداء ؛ أى : سابهه ومعنى البيت ، إذا ضحك المسئول ضحكة أيقن السائل بذلك التبسّم استرقاق رقاب ماله وأنه يعطى بلا خوف . وقد ينظر إلى المستعار له كقوله :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عِنْدَ عَمْرٍو رُوَيْدُكَ أَخَا عَمْرٍو بْنِ بَكْرِ

^١ - سورة لقمان : جزء من آية ٢٢ .

^٢ - ينظر : للسراج المنير ج ٥ ص ٢٧٨ .

^٣ - سورة النحل : جزء من آية ١١٢ .

^٤ - ينظر : للسراج المنير ج ٣ ص ٣٨٢ .

^٥ - البيت من الكامل ، وهو لكثير عزة في ديوانه ، شرح عدنان زكي درويش ، ط ، دار

صادر - بيروت ، الأولى ١٩٩٤ ص ٢٦٨ .

لى الشَّطْرُ الذى مَلَكْتَ يَمِينى ودونك فاعتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرٍ^(١)
استعار الرداء للسيف ، ثم قال : فاعتَجِرْ ؛ نظراً إلى المستعار ، ولو نظر
إلى المستعار منه لقال - تعالى - فى الآية : وكساهم لباس الجوع والخوف ،
ولقال كثير : ضافى الرداء إذا نيسم ضاحكا . وهذا نهاية ما يقال فى
الاستعارة .

• كما يبين الخطيب الشربيني "علم المعانى"^(٢) عند تفسيره الآيات
القرآنية ويوضح أسرارها البلاغية وأثرها فى المعنى المراد فى الآية ؛ كما
فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ
فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾^(٣) فيقول^(٤) : " استفهام تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون
به والحال أن الحكم منصوص عليه فى كتابهم الذى هو عندهم ، وتنبه على
أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع ، وإنما طلبوا منه ما
يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله - تعالى - فى زعمهم " .

• وأيضاً يشير إلى القصر فى قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ
بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥) فعند انتهائه من تفسير هذه الآية
يقول^(٦) : " فإن قيل : (إنما) تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من محرّم لم ؛
يذكر أجيب : بأن المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلّه الكفار لا

^١ - البيهقي من الوافر ، وهما بلا نسيه فى لسان العرب (رد ، ي) جـ ٤ ص ٣١٧ وقال
رويداً يا أبا سعد بن بكر وفى شرح شواهد الكشاف جـ ٤ ص ٤٩٣ .

^٢ - علم المعانى : هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى الذى يطابق مقتضى الحال ؛
ينظر : التعريفات للجرجاني ص ٢٠١ .

^٣ - سورة المائدة : جزء من آية ٤٣ .

^٤ - ينظر : السراج المنير جـ ٢ ص ٤٤ ، ٤٥ .

^٥ - سورة البقرة : آية ١٧٣ .

^٦ - ينظر : السراج المنير جـ ١ ص ١٨٠ .

مطلقاً وقصر ما ذكره على حال الاختيار؛ كأنه قيل: إنما حرم عليكم هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها^١.

كما عني الخطيب الشربيني ببيان المحسنات البديعية في النظم القرآني بمختلف صورها المعروفة في 'علم البديع'^(١) من: جناس،^(٢) وسجع،^(٣) وطباق،^(٤) ومقابلة،^(٥) وغيرها.

● فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَيُضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَاتِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾^(٦) يبين الصورة البلاغية؛ فيقول^(٧): "ومعنى فأرسل إلى هارون: أرسل إليه جبريل واجعله نبياً، وأزرنى به، واشدد به عضدي، وهذا الكلام مختصر، وقد بسطه في غير هذا الموضع"^(٨) وقد أحسن في الاختصار؛ إذ قال: "فأرسل إلى هارون" فجاء بما يتضمن معنى

^١ - علم البديع: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة للكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة؛ أي: الخلو عن التعقيد المعنوي؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٠٠.

^٢ - الجناس: هو بيان المعاني بأنواع من الكلام بجمعها أصل واحد من اللغة؛ ينظر: تحرير التحبير ص ١٠٢.

^٣ - السجع: هو تواطؤ الفاصلتين من الشتر على حرف واحد في الآخر؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٥٦.

^٤ - المطابقة: هي أن يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما؛ ثم إذا شرطهما بشرط وجب أن تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٢٧٩.

^٥ - المقابلة: هي توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر الكلام أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالتالي لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق؛ ينظر: تحرير التحبير ص ١٧٩.

^٦ - سورة الشعراء: أية ١٣.

^٧ - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٩.

^٨ - لعله يقصد قوله - تعالى - "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى، اتسدت به أزرى، وأشركه في أمرى" سورة طه الآيات ٢٩ - ٣٢.

الاستنباء؛ ومثله في تَقْصِير الطويلة والحسن^(١) قوله - تعالى - : ﴿ فَكَلَّمْنَا
 أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْغْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٦]
 اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير، ودل
 ذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا
 بآيات الله ؛ فأراد الله إلزام الحجة عليهم ؛ فبعث إليهم رسولين ؛ فكذبوهما ؛
 فأهلكهم .”

● وأيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ
 لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾^(٢) يبين الصورة البلاغية في الآية ويعرفها بأنها طباق
 بديعي؛ فيقول^(٣): ” يَبْسُطُ الرِّزْقَ “ أي: يوسع في كل وقت أراده بالأموال
 والأولاد وغيرهما، ”لَمَن يَشَاءُ“ امتحانا ”ويَقْدِرُ“ أي: يضيقه على من يشاء
 ابتلاء ؛ بدليل مقابله ببسط ؛ وهذا هو الطباق البديعي، فالرزق في الدنيا لا
 تدل سعته على رضا الله - تعالى - ولا ضيقه على سخطه ؛ وربما وسع
 على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس ؛ وربما وسع عليهما وضيق
 عليهما، وكم من موسر شقي ، وكم من معسر نقي .”

● وأيضاً عند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي
 الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُمَسِّئُ قَلِيلًا مَّا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٤) يقول^(٥): ” تنبيه: التناقل يأتي على ثلاث طرق ؛ إحداها: أن

^١ - لعله يقصد الإيجاز ؛ فقد اختصرت القصة كلها في هذه الآية ؛ لأنه ذكر أصول
 الأسباب المستلزمة لجميع المسببات التي هي جملة القصة ؛ ينظر : تحرير التحرير لأبي
 الأصمعي المصري ، باب : الإيجاز ص ٤٧٠ .

^٢ - سورة سبأ: جزء من آية ٣٩.

^٣ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٤٠.

^٤ - سورة غافر: آية ٥٨.

^٥ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ٣٢١.

يجاور المناسب ما يناسبه ؛ كهذه الآية. والثانية: أن يتأخر المتقابلان ؛ كقوله - تعالى - : "مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع" [هود: ٢٤]. الثالثة: أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر كقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ {19} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴾ [غافر: ١٩، ٢٠] كل ذلك تفنن في البلاغة .

● ويذكر الخطيب الشربيني المصطلحات البلاغية لما يشير إليه من فنون البلاغة؛ كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾^(١) إذ يشير إلى أسلوب الحكيم^(٢) في الآية الكريمة ؛ فيقول^(٣): "أى: هم أولى به ؛ سأل عن المنفق فأجيب: ببيان المصروف؛ لأنه أهم ؛ فإن اعتداد النفقة باعتباره " .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾^(٤) يقول^(٥): " وقرأ ابن عامر بالتاء على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو أنزل على الغضب،،، .

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٦) يبين ما فيه من الاحتباك ؛

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢١٥ .

٢ - أسلوب الحكيم: هو ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم ؛ ينظر: التعريفات للخرجاني ص ٣٩ .

٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٢٢١ .

٤ - سورة المائدة: جزء من آية ٥٠ .

٥ - ينظر: السراج المنير ج ٢ ص ٤٩ .

٦ - سورة الاسراء: جزء من آية ٢ .

فيقول^(١): "بالحمل على العدل في التوحيد والأحكام ، وأسرينا بموسى — عليه السلام — وبقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة ولم يصلوا ، ومات كل من خرج إلا المتقين الموفين بالعهد ؛ فقد بان بين الإسرائيليين كما بان الفضل بين الكتابيين، فنكّر الإسرائاء أولاً دليل على حذف مثله أولاً؛ فالآية من الاحتباك".^(٢)

● وكذلك عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ {٨} فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ^(٣) يشير إلى الاحتباك ؛ فيقول^(٤): "أى: نار نازلة سافلة جداً، فهو بحيث لا يزال بهوى فيها نازلاً ؛ فهو فى عيشة ساخطة ؛ فالآية من الاحتباك ؛ ذكر العيشة أولاً ؛ دليلاً على حذفها ثانياً ، وذكر الأم ثانياً ؛ دليلاً على حذفها أولاً " .

● وقليل ما يتطرق الخطيب الشربيني إلى شرح المصطلحات البلاغية فعند تفسيره — لقوله تعالى —: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٥) يوضح وجه الالتفات^(٦) فى الآية الكريمة ، ثم يبين أقسام الالتفات ؛ فيقول^(٧): " فإن قيل: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ أجيب: بأن عادة العرب التفتن فى الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر؛ تحسيناً للكلام وتنشيطاً للسامع ؛

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٤٠٥ .

^٢ - الاحتباك: هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله : علفتها ثناً وماء بارداً ؛ أى : علفتها ثناً وسقيتها ماء بارداً؛ ينظر: التعريفات للجزجاني ص ٢٥ .

^٣ - سورة الفارعة: الأيتن: ٩، ٨ .

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٤٦٤ .

^٥ - سورة الفاتحة : آية ٥ .

^٦ - الالتفات : هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس ؛ ينظر: التعريفات للجزجاني ص ٢٩ .

^٧ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٣٢ .

فيكون أكثر إصغاء للكلام ؛ فتعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس فيهما ؛ فهذه أقسام أربعة ذكرها البيضاوي ؛ والتحقيق كما قاله بعض المتأخرين: أنها ستة ؛ لأنّ الملفت إليه اثنان وكل منهما إما غيبة أو خطاب أو تكلم ؛ من ذلك قوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ فِيهِمْ ﴾ [يونس: ٢٢] الأصل بكم ؛ فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة. وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَمُنْفِقَاهُ ﴾ [قاطر: ٩] الأصل فساقه؛ فهو التفات من الغيبة إلى التكلم *.

● ويدرّس الخطيب الشربيني الآية من حيث مخالفة سباقها للجمع والإفراد ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَّكُمُ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ {٢١} وتلك نعمة تمنّوها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل ﴿ ^(١) يقول ^(٢) : " فإن قيل: لم جمع الضمير في 'منكم وخفّكُم' مع إفراده في 'تمنّوها وعبّدت' أجيب: بأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله، كما مرت الإشارة إليه؛ بدليل قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الْمُلَأَّاتِ يُثْمِرُونَ بِكَ لِيُقَتَّلُوا ﴾ [القصص: ٢٠] وأما الامتنان فمنه وحده ، وكذلك التعبيد *.

● كما عني الخطيب الشربيني بالمعاني البلاغية لبعض الحروف ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ ^(٣) يقول ^(٤) : " يا " حرف وضع لنداء البعيد ، وقد ينادى به القريب ؛ تنزيلاً له منزلة البعيد؛ إما لمعظمته ؛ كقول الداعي: يارب ، و يا الله - وهو أقرب إليه

^١ - سورة الشعراء: ٢١، ٢٢.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ١٣.

^٣ - سورة البقرة: جزء من آية ٢١.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٦٠.

من حبل الوريد - أو لغفلة وقلة فهمه، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه*.

● وأيضاً عند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) يقول^(٢): " فإن قيل: لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ؟ أجيب: بأن الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسندين فيهما ؛ إذ "على هدى من ربهم" و "المفلحون" وإن تناسبتا تعلقاً مختلفتان مفهوماً ووجوداً ومقصوداً ؛ لأن الهدى في الدنيا ، والفلاح في العقبى ، وإثبات كل منهما مقصود في نفسه بخلاف "كالأنعام" و "الغافلون" فإنهما وإن اختلفا مفهوماً قد اتحداً مقصوداً ووجوداً ؛ إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة في الغفلة في الدنيا؛ فناسب العطف في الأول دون الثاني".

● وبهتّم الخطيب الشربيني بالجمع بين الآية ونظيرتها وإبراز السر البلاغي في اختلاف السياق بينهما ؛ كما فعل عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٣) يقول^(٤): " وقدّم هذا لفظ الجلالة في قوله لغير الله به وأخرت في البقرة^(٥) ؛ لأنها هناك فاصلة أو تشبه الفاصلة ، بخلافها هنا؛ لأن بعدها معطوفات".

● كما يوضح المعاني البلاغية لصيغ الأفعال ؛ فعند انتهائه من تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ

^١ - سورة البقرة: آية ٥.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٤ ص ٤٥.

^٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٣.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ٩.

^٥ - يقصد قوله تعالى: " وما أهل به لغير الله " البقرة من الآية ١٧٣.

في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ﴿^(١) يقول^(٢)﴾: " تنبيه: قال - تعالى - 'يولج' بصيغة المستقبل، وقال في الشمس والقمر 'وسخر' بصيغة الماضي ؛ لأن إيلاج الليل في النهار أمر يتجدد كل يوم ، وتسخير الشمس والقمر أمر مستمر؛ كما قال - تعالى -: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩] ."

● وأيضاً عن الخطيب الشربيني ببيان السر البلاغي في استعمال لفظ دون لفظ في السياق القرآني ؛ فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣) يقول^(٤): " فإن قيل: لم عبر في هذه الآية بـ 'لا يعلمون' وفي التي قبلها بـ 'لا يشعرون' ؟ أجيب: بأن التعبير بـ 'لا يعلمون' أكثر مطابقة لذكر السفه؛ لأن السفه جهل ؛ فطابقه العلم، ولأن أمر الإيمان أخروي يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبر في الآية التي اشتملت عليه بلا يعلمون، وأمر البغي والفساد دنيوي فهو كالمحسوس لا يحتاج إلى دقة نظر؛ فعبر في الآية التي اشتملت عليه بـ 'لا يشعرون' ."

● وأيضاً يزيل الاشكال في مخالفة مقتضى النظم عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَظِي إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾^(٥) فيقول^(٦): " فإن قيل: قابل التعجيل في الآية بالاستعجال، وكان مقتضى النظم أن يقابل التعجيل بالتعجيل والاستعجال بالاستعجال - أجيب: بأن تقدير الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه

١ - سورة لقمان: جزء من آية ٢٩.

٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ٢٨٢.

٣ - سورة البقرة: جزء من آية ١٣.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٥٢.

٥ - سورة يونس: جزء من آية ١١.

٦ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ١٣.

استعجالاً كاستعجالهم بالخير، فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه. وقال في "الكشاف"^(١): أصل هذا الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير، إلا أنه وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم بالخير؛ إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم، حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم.

وهذه بعض أمثلة ذكر الخطيب الشربيني غيرها الكثير؛ فالمطالع لتفسيره يلحظ عنايته الفائقة بالناحية البلاغية، وحرصه الشديد على إبراز كافة فنون البلاغة في القرآن الكريم، فيذكر فروعها وأنواعها، كما يذكر الكثير من المصطلحات البلاغية، وغالباً يبين الأغراض البلاغية لما يذكره من فنون بما يوضح أثرها في قوة المعنى المراد، فلا يكاد يترك موضعاً إلا ويشير إلى الأسرار البلاغية فيه بما يثبت إعجاز القرآن وإحكامه في نظمته، فنجد أنه يذكر السر في مجيء الكلام في صورة الاستفهام بأنواعه والسر في طرح القضايا في صورة الخبر، وأغراض القصر، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر؛ مثل: الدعاء، والتهكم، والتعجب، والأغراض التي خرج إليها أسلوب النهي والنداء، كما ذكر أنواع الإطناب^(٢)؛ كالتكرار، وذكر الخاص بعد العام، والتفصيل بعد الإجمال والاعتراض^(٣)، كما عني بملاءمة الكلمة لسياقها من حيث هيئتها والمعاني البلاغية لأبنية المشتقات^(٤).

^١ - ينظر: الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢٢٧.

^٢ - الإطناب: هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة، وأن يخبر المطلوب بمعنى المعشوق بكلام طويل؛ لأن كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة؛ فإن كثرة الكلام توجب كثرة للنظر؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٤٦.

^٣ - الجملة المعترضة: هي التي تتوسط بين أجزاء الجملة لتفريز معنى يتعلق بها أو بأحد أجزائها؛ ينظر: التعريفات للجرجاني ص ٦٩.

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٣، ج ١ ص ٦٦، ج ١ ص ٣٣، ج ١ ص ١٩٩، ج ١ ص ٤٤٨، ج ١ ص ٢٣١، ج ٢ ص ٢٢، ج ٣ ص ٢٠٨، ج ٣ ص ٣١١.

وهكذا يقف الخطيب الشربيني عند مفردات النص القرآني يتأمل
كلماتها ويبين وقعها وملاءمتها للسياق من حيث مادتها وهيئتها، وهنقه من
هذا كله إظهار بلاغة القرآن الكريم وإحكام نظمها ؛ فكل كلمة تتناسب الغرض
الذي سيقت له والمقام .

ص ٢٠٩، ج ٤ ص ١٣، ج ٤ ص ٤١٦، ج ٤ ص ٢٣٧، ج ٤ ص ٦، ج ٤ ص
٧، ج ٤ ص ٤٥٦، ج ٥ ص ٢٨، ج ٦ ص ٢٥٣، ج ٦ ص ٧١، ج ٧ ص ١٧،
ج ٧ ص ٢٥٢، ج ٨ ص ٤٥٩.

المبحث الخامس: توظيفه الدلالة الصوتية في استنباط المعنى:

من الظواهر الصوتية التي اهتم بها الخطيب الشربيني مراعاة الفاصلة القرآنية والتناسب بين رؤوس الآي:

● فعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾^(١) يقول^(٢): "تقديم 'رزقناهم' على 'ينفقون' للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس الآي".

● وعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) يقول^(٤): " فإن قيل لم قدم 'الرؤوف' على 'الرحيم' مع أنه أبلغ؟ أجيب: بأنه قتم محافظة على الفواصل".

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾^(٥) يقول^(٦): " فإن قيل: لو قيل: أم لم تعظ كان أخصر، والمعنى واحد؟ أجيب: بأن ذلك لتوخي القوافي".

● وأيضا عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾^(٧) يقول^(٨): " أما من نون سلاسل فوجه بأوجه ؛ منها أنه قصد بذلك التناسب ؛ لأن ما قبله وما بعده منون منصوب".

١ - سورة البقرة: جزء من آية ٣.

٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٤٣.

٣ - سورة البقرة: جزء من آية ١٤٣.

٤ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ١٥٩.

٥ - سورة الشعراء: جزء من آية ١٣٦.

٦ - ينظر: السراج المنير ج٥ ص ٤٠.

٧ - سورة الانسان: آية ٤.

٨ - ينظر: السراج المنير ج٨ ص ٢٠١.

● وكذلك عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(١) يقول ^(٢) : " وتركت الكاف ؛ لأنه رأس آية ؛ كقوله - تعالى - : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] أى : الله ."

ولم أجده يهتم كغيره من المفسرين ببيان إحياء الكلمة وأثرها المعنوى وما تبعته فى النفس من ناحية دلالتها الصوتية؛ كالتمثيل بالزلزلة فى قوله - تعالى - : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ^(٣) أو الوسوسة فى قوله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ^(٤) الذى يوسوس فى صدور الناس ^(٥) .

^١ - سورة الضحى: آية ٣ .

^٢ - ينظر : السراج المنير ج ٨ ص ٣٦٢ .

^٣ - سورة الزلزلة: آية ١ .

^٤ - سورة الناس: الايتان ٥، ٤ .

المبحث السادس: كثرة استشهاده بالشعر

استشهد أكثر علماء التفسير بالشعر في تفاسيرهم مع تفاوتهم في ذلك بين القلة والكثرة، وقد اختلفت آراء العلماء في مسألة الاستشهاد بالشعر وخاصة في التفسير وسأشير بإيجاز إلى هذا الخلاف:

“ فالمانعون من الاستشهاد بالشعر احتجوا بأمور أهمها أن الاستشهاد بالشعر معناه أن يكون الشعر أصلاً للقرآن والله عز وجل قد ذم الشعراء فقال تعالى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ ٢٢٥ ﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ ٢٢٦ ﴾ (١)

كما نقر الرسول ﷺ من الشعر فقال ﷺ: (لأن يمتلي جوف أحدكم قبحاً فيريه خير له من أن يمتليء شعراً) (٢) “ وبما نقل الفضل بن زياد عن الإمام أحمد أنه سئل عن القرآن يمثل له اثر رجل بيت من الشعر فقال: ما يعجبني “ (٣)

ورد العلماء على هؤلاء المنكرين قولهم بأنهم لا يجعلون الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال:

^١ - سورة الشعراء : ٢٢٤ : ٢٢٦ .

^٢ - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: الأدب ، باب : ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصد عنه ذكر الله والعلم والقرآن ؛ ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١٦ ص ٤٤١ ح ٦١٥٤ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب: الشعر جـ ٤ ص ٧٤ ح ٢٢٥٧ .

^٣ - الإتيان في علوم القرآن للشيخ الإمام العلامة أبي الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر السيوطي - ط . دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، جـ ١ ص ٢٢٥ ينصرف .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٢) .

" وما ذكروه من الحديث مردود بأن الرسول ﷺ كان يسمع الكثير من شعراء المسلمين ويستزيدهم، بل ويأمرهم بالرد على المشركين . وأما ما نقل عن الإمام أحمد فيحتمل المنع ويحتمل الكراهة، وموجه لمن صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها " .^(٣)

وأكثر علماء التفسير أجازوا الاستشهاد بالشعر و استندوا إلى كثرة احتجاج الصحابة والتابعين على غريب القرآن ومشكلته بالشعر:

قال ابن عباس: الشعر ديوان العرب ؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه. وقال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب.

وقال أبو عبيد الله في فضائله عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد يعني كان يستشهد به على التفسير .

وقال السيوطي: " قلت قد روينا عن ابن عباس كثيراً من ذلك وأوعب ما روينا منه مسائل نافع بن الأزرق، وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب "الوقف" والطبراني في معجمه الكبير، وقد رأيت أن أسوقها هنا بتمامها لتستفاد. ثم ذكر السيوطي سنده كاملاً إلى أن قال: بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة ابن عويمر: قم بنا إلى هذا يجترئ على تفسير القرآن بما لا

^١ - سورة الزخرف: آية ٣.

^٢ - سورة الشعراء: آية ١٩٥.

^٣ - الإتيان في علوم القرآن: ج ١ ص ٢٢٥، ودلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني - ط . السعادة بالقاهرة ، ص ٢٥ بنصرف.

علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسر لنا، وتأتينا بمصادفة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين، فقال ابن عباس: علا عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرنى عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾^(١) قال: العزون: خلق الرفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبید بن الأبرص وهو يقول:

فَجَاءُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنْبَرِهِ عَزِينًا^(٢)

قال: أخبرنى عن قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣) قال: الوسيلة الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنبرة وهو يقول:

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمُ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْهَلِي وَتَخْضَبِي^(٤)

قال: أخبرنى عن قوله: ﴿شُرْعَةٌ وَمَنْهَاجًا﴾^(٥) قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لَقَدْ نَطَقَ الْمَأْمُونُ بِالصَّدْقِ وَالْهَدَى وَبَيَّنَ لِلْأَلامِ دِينًا وَمَنْهَجًا^(٦)

^١ - سورة المعارج: آية ٣٧.

^٢ - البيت من الواقر وهو للمهلهل بن ربيعة فى تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري، ٢٨٢-٣٧٠ هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبواء والنشر ج٥ ص ١٠١، ولم أجده فى ديوان المهلهل.

^٣ - سورة المائدة: جزء من آية ٣٥.

^٤ - البيت من الكامل وهو لعنبرة بن شداد فى ديوانه - ط. دار صادر بيروت، الأولى ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م ص ٣٣.

^٥ - سورة المائدة: جزء من آية ٤٨.

^٦ - البيت من الطويل، وهو لأبى سفيان الحارث بن عبد المطلب فى الإتيان فى علوم القرآن، النوح السادس والثلاثون فى معرفة غريبه ج١ ص ٢٥٦.

قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ إِذَا أُمِرَ وَيَنْعَه ﴾^(١) قال: نضجه وبلاغه .
قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:
'إذا ما مشيت وسط النساء سأودت كما اهتز غصن ناعم النبت يانع'^(٢)

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾^(٣) قال: في
اعتدال واستقامة ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت ليبد بن
ربيعة وهو يقول:

'يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد'^(٤).

وظل السيوطي يسوق أمثلة كثيرة من أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس
وإجابته عنها مستشهدا بالشعر حتى بلغت ستاً وعشرين صفحة من كتابه
الإتقان.

"وقد سار الكثير من المفسرين على نهج ابن عباس وغيره من الصحابة
والتابعين في استشهادهم بالشعر؛ فلم تخل كتب أعلام المفسرين من عرض
مباحث العلوم العربية والاستشهاد عليها بالشعر، ومنهم من قضى زمناً
طويلاً في الاشتغال بالعلوم العربية؛ ولهم فيها مؤلفات قيمة في مختلف
فروعها؛ كالزمخشري وأبي حيان وغيرهم، وقد امتازت تفاسيرهم بكثرة
استشهادهم بالشعر".^(٥)

^١ - سورة الأنعام: جزء من آية ٩٩.

^٢ - البيت في الإتقان في علوم القرآن بلا نسيئة النوع السادس والثلاثون ج ١ ص ٢٥٦.

^٣ - سورة البلد : آية ٤ .

^٤ - البيت من المنسرح للبيد ، ينظر: ديوان ليبد بن ربيعة ، دار صادر - بيروت
محرف لادل ص ٥٠ .

^٥ - أساس البلاغة والمفصل والكشاف للزمخشري ، والبحر المحيط لأبي حيان.

ف نجد ابن جرير الطبري يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع متبعاً في هذا ما أثاره ابن عباس في ذلك ، وكذلك الزمخشري في تفسيره الكشف ، وأبو حيان في البحر المحيط، فقد امتازت تفاسيرهم بكثرة استشهادهم بالشعر .

والقاريء لتفسير السراج المنير الذي بين أيدينا يجد أنه من المفسرين الذين يرون الاستشهاد بالشعر على معاني القرآن الكريم؛ فنجده بكثرة من الاستشهاد به والاستناد إليه في تدعيم آرائه، وتصحيح ما اختاره من آراء غيره ، وهذا جلي في تفسيره، وقد أخذ استشهاده بالشعر عدة اتجاهات أهمها ما يأتي:

١- إعراب ألفاظ القرآن الكريم.

٢- بيان ما اشتملت عليه الآيات القرآنية من الخصائص البلاغية.

٣- بيان المعاني اللغوية لمفردات القرآن.

٤- توجيه القراءات.

٥- بيان المعاني التي استخلصها من آيات القرآن.

و سأعرض فيما يلي هذه الاتجاهات بالأمثلة :

١- إعراب ألفاظ القرآن الكريم:

يتعرض الخطيب الشربيني للإعراب عند تفسيره للآيات القرآنية ، وكثيراً ما يستشهد عليه بالشعر ؛ ومن نماذج ذلك:

● قوله في إعراب ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مِنْهَا﴾^(١) : "والضمير للحفرة ، أو النار ، أو الشفا؛ وأنه لتأنيث ما أضيف إليه ؛ كقول الشاعر:

^١ - سورة آل عمران: جزء من آية ١٠٣.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٣٧١ .

كما شرقت صدرُ القناة من الدُم^(١).

● ومن نماذج ذلك أيضا قوله في إعراب قوله - تعالى - :
﴿كَافَّةً﴾^{(١)(٢)}: "حال من السلم ؛ لأنها توثت كما توثت الحرب ؛ كما قال
القائل:

أَبَا خِرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضُّبُعُ
السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ تَكْفِيكَ أَنْفَاسَهَا جَزَعُ"^(٣)

● ويقول في تفسير ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾^{(٤) (٥)}: "أى ما انتتمتم عليه
من الدنيا وغيره ، مجزوم بالعطف على الأول ؛ أى: ولا تخونوا ، أو
منصوب بأن مضمرة بعد الواو على جواب النهى ؛ أى: لا تجمعوا بين
الخيانتين ؛ كقوله:

^١ - عجز بيت ، وصدره : "وتشرق بالقول الذى قد أدعته" وهو من الطويل ، قاله
الأعشى ؛ ينظر: ديوان الأعشى ، دار صادر - بيروت ، حرف الميم ص ١٨٣ .

^٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٠٨ .

^٣ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢١٥ .

^٤ - البيهقي من البسيط ، فالهما العيلين من مرداس السلمى ، وجدت الأول فى شرح
شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصارى ٧٠٨ - ٧٦١ هـ ،
ط. المكتبة العصرية - بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٢١٣ ، وشرح شواهد
الكشاف ج٤ ص ٤٣٨ ، والثانى فى تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد
مرتضى الحسينى الزبيدى ، مطبعة حكومة الكويت ، ج٥ ص ٣٩٤ .

^٥ - سورة الأنفال: جزء من آية ٢٧ .

^٦ - ينظر: السراج المنير ج٢ ص ٣٢٨ .

«لَا تَنْهَ عَنْ خَلْقٍ وَتَلَّى مِثْلَهُ»^(١).

● ويقول عند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿لِيُغْفِرَ لَكُمْ﴾^(٢) (٣): "اللام متعلقة بیدعو؛ أي: لأجل غفران ذنوبكم؛ كقوله:

«دَعَوْتُ لِمَا نَلْنِي مَسُورًا فَلَبَّيْ فَلَبَّيْ يَدِي مَسُورٌ»^(٤)

● "ويقول عند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيُسْقِينِ﴾^(٥) (٦): "يجوز: والذي يطعمني ويسقين أن يكون مبتدأ وخبره محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه، وكذا الذي بعده، ويجوز أن تكون أوصافاً (للذي خلقني) ودخول الواو جائز؛ كقوله:

«إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكَنْبِيبَةِ فِي الْمَرْزُوحِ»^(٧).

وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلوات مستقلة باقتضاء الحكم^٨.

^١ - صدر بيت، وعجزه "عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ" وهو من الكامل، قاله أبو الأسود الدؤلي، في شرح شعور الذهب ص ٢٦٢، ومعنى اللبيب لابن هشام جـ ٢ ص ٤١٦.

^٢ - سورة إبراهيم: جزء من آية ١٠.

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٢٥١.

^٤ - البيت من المنقارب، وهو لرجل من بني أسد؛ ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ.ط. مكتبة الخانجي - القاهرة، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الثانية، جـ ٢ ص ٩٢، وشرح نواهد الكشاف جـ ٤ ص ٤٠٧.

^٥ - سورة الشعراء: آية ٧٩.

^٦ - ينظر: السراج المنير جـ ٥ ص ٢٨.

^٧ - البيت من المنقارب، وهو بلا نسبة في خزانة الأدب للبغدادي جـ ١ ص ٤٥١.

وهكذا سار الخطيب الشربيني على هذا النهج في تفسيره يستدل على إعراب النظم القرآني بالشعر القديم ، وتلك بعض أمثلة يوجد غيرها الكثير في تفسيره. ^(١)

٢- بيان ما اشتملت عليه الآيات من الخصائص البلاغية:

يرجع الخطيب الشربيني إلى شواهد من الشعر لبيان النكات البلاغية التي تشتمل عليها التعبيرات القرآنية ؛ ومن أمثلة ذلك:

● يقول الخطيب الشربيني عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ^(٢) : (٣) "فإن قيل: كيف أضاف الجناح إلى الذل، والذل لا جناح له؟ أجيب: بوجهين: الأول: أنه أضيف الجناح إلى الذل؛ كما يقول حاتم الجود ، فكما أن المراد هناك حاتم الجود؛ فكذا هنا المراد: اخفض لهما جناحك الذليل . الثاني: أن مدار الاستعارة على الخيلان ؛ فهنا تخيل الذل جناحاً خفيفاً؛ كما جعل لبيد للشمال يداً، وللقرة زماماً في قوله:

وُغْدَاه رِيحٌ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةٌ إِذَا أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا ^(٤)
فأثبت للشمال يداً، وللقرة زماماً في يد الشمال ؛ فكذا هنا. ومن ظريف ما حكى أن أبا تمام لما نظم قوله:

لَا تَسْقَى مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذْتُ مَاءَ بَكَايِ ^(٥)

^١ ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٦، ٥٧، ٤٣٦، ج ٢ ص ١٠٠، ١٠١، ٢٤٢، ٢٠٤، ٢٦٢، ٤٤٦، ج ٣ ص ٢٧٣، ٣٩٤، ج ٥ ص ٢٨، ٦٧، ٩٥، ١٠٩، ١٥٥، ١٨٥، ٢٧٠، ج ٦ ص ٢٧٣، ٣٩٤، ج ٨ ص ٦٨، ١٠٠، ٤٤٤ .

^٢ سورة الإسراء : جزء من آية ٢٤ .

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ٤٢٥، ٤٢٦ .

^٤ - البيت من الكامل ، وهو لبيد في ديوانه ، حرف الميم ص ١٧٦ .

جاءه رجل بقصعة وقال له: أعطني شيئا من ماء الملام ؛ فقال له: حتى تأتيني بريشة من جناح النمل؛ يريد أن هذا مجاز استعاره لذلك . وقال بعضهم:

رَأْسُوا جَنَاحِي ثُمَّ يَلُوهُ بِالنَّدَى فَلَمْ أَسْتَطِعْ مِنْ حُبِّهِمْ أَنْ أَطِيرَ^(٢)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾^(٣) يقول^(٤): " أى يسقط ، وهذا من مجاز كلام العرب ؛ لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه : قرب ودنا من السقوط ؛ كما تقول العرب : دارى تتظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها؛ فاستعير الإرادة للمشاركة ؛ كما استعير لها الهم والعزم فى قوله:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَغْدِلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ^(٥)

وقول للآخر:

إِنْ دَهْرًا يَلْفًا شَمَلَى بِجَمَلٍ لَزِمَانٌ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ^(٦)

^١ - البيت من الكامل ، لأبى تمام فى مدح محمد بن حسان الضبى ، فى شرح ديوان أبى تمام لإبلىا الحاوى - ط : دار الكتاب اللبناني - بيروت ، الأولى ١٩٨١ م ، ص ١٧ .

^٢ - البيت من الطويل ، ذكره أبو حيان فى البحر المحيطة بلا نسبة ج ٦ ص ٢٦ ، وقال: "رأسوا - من أرضهم" .

^٣ - سورة الكهف: جزء من آية ٧٧ .

^٤ - ينظر : المراج المثير ج ٤ ص ٧٢ .

^٥ - البيت من الوافر ، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (ر ، و ، د) ج ٣ ص ١٨٩ .

^٦ - البيت من الخفيف ، وهو لحسان بن ثابت - رضى الله عنه - فى أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (ل ، ف ، ف) ص ٤١٢ .

ففى البيت الأول دليل على استعارة الإرادة للمشاركة ، وفى الثانى دليل على استعارة الهم لها .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^(١) يقول^(٢)

"بإدخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار، وأدخلت "إن" على كل واحد من جزءى الجملة لزيادة التأكيد ؛ ونحوه قول جرير :

إِنَّ الْخُلَيْفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَّيْلُهُ سَرَّيَالُ مَنْكَ بِهِ تُرْجَى الْخَوَائِمُ"^(٣)

● وفى قوله: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾^(٤) يقول^(٥): " ويجوز أن يكون الجمع لله - تعالى - وللملائكة ، أو للتعظيم على عادة مخاطبات الأكابر سيما الملوك ؛ كقوله:

ألا فارحمونى يا إله محمد^(٦)

وقوله:

فَإِنْ شِئْتَ حَرَمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ^(٧)

- ^١ - سورة الحج: جزء من آية ١٧.
- ^٢ - ينظر : السراج المنير ج٤ ص ٢٨٥ .
- ^٣ - البيت من البسيط ، وهولجرير فى خزائن الأدب ج١٠ ص ٣٦٤ - ٣٦٨ ، وشرح شواهد الكشاف ج٤ ص ٥٣٢ .
- ^٤ - سورة المؤمنون: جزء من آية ٩٩.
- ^٥ - ينظر : السراج المنير ج٤ ص ٣٥٨.
- ^٦ - صدر بيت ، وعجزه (فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهل) ذكره الزمخشري فى تفسيره سورة المؤمنون (قال رب ارجعون) ، ينظر : شرح شواهد الكشاف ج٤ ص ٤٩٦ .
- ^٧ - صدر بيت ، وعجزه "وإن شئت لم أطعم نفاحاً ولا برداً والبيت من الطويل للعرجى فى تهذيب اللغة ج٤ ص ١٠٥ ، والنقاح: الماء العذب ، والبرد: النوم ينظر : شرح شواهد الكشاف ج٤ ص ٣٦٩ .

أو القصد تكرير الفعل للتأكيد ؛ لأنه في معنى ' أرجعني' كما قيل في: قفا،
واطرقا فإنهما بمعنى: قف قف ، واطرق اطرق " .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾^(١)
يقول^(٢): " تنبيه: علم مما تقرر أن كشف الساق كناية عن الشدة؛ قال الراجز:

"عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا وَمِنْ طِرَادِي الطَّيْرِ عَنْ أَرْزَاقِهَا
فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمَاءٌ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عَرْقِهَا"^(٣)

وقول الطائي:

أخو الحرب إنْ عَضَّتْ بِهِ الحربُ عَضُّهَا وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحربُ شَمَرًا^(٤)

وقال آخر:

قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدَّتْ الحربُ بِكُمْ فَجَدُّوا^(٥)

وقال أبو عبيدة: إذا اشتد الأمر أو الحرب ؛ قيل: كشف الأمر عن ساقه،
والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج إلى الجد شمر عن ساقه؛ فاستعير
الساق والكشف عنها في موضع الشدة " .

^١ - سورة ن: جزء من آية ٤٢ .

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٦٥ .

^٣ - البيت من الرجز، للعجاج في تفسير البحر المحيط لأبي حيان جـ ٨ ص ٣١٠، و
في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بلا نسبة جـ ١٨ ص ٢٣٨ .

^٤ - البيت من الطويل ؛ لزيد الخيل بن مهلهل الطائي في الحماسة البصرية جـ ١
ص ٢٥٣، وشرح شواهد الكشاف جـ ٤ ص ٣٢٢ .

^٥ - البيت من الرجز، بلا نسبة في تفسير البحر المحيط جـ ٨ ص ٣١٠، وفي الجامع
لأحكام القرآن، وقال: (قد كشفت عن ساقها فشدوا) جـ ١٨ ص ٢٣٨ .

وهذه بعض نماذج من المواضع الكثيرة التي استشهد فيها الخطيب الشربيني بالشعر على معاني القرآن الكريم البلاغية، وعلى هذا النمط سار في عشرات من آيات القرآن الكريم^(١).

٣- بيان المعاني اللغوية لمفردات القرآن:

كثيراً ما يرجع الخطيب الشربيني إلى شواهد الشعر القديم عند تفسيره لمعاني المفردات ؛ ومن أمثلة ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾^(٢) يقول ما نصه^(٣) : " وقيل استوى بمعنى : استولى ؛ كما قيل :

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ "^(٤) "

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِتًا ﴾^(٥) يقول^(٦) : " قال ابن عباس : مقتدراً مجازياً قال الشاعر :

وَذِي ضَعْفٍ (أى: رب صاحب حقد) كَفَفْتُ الضَّعْفَ عَنْهُ

وَكُنْتُ عَلَى إِسَاعَتِهِ (أى: إساءتى لذى الضغن) مُقْبِتًا "^(٧).

^١ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٢٤٠، ٢٤٤، ٣١٥، ٤٠٢، ٤٤٣، جـ ٣ ص ٣٨٢، جـ ٤ ص ٣٦٢، ٤٧٥، جـ ٥ ص ٢٢٣، جـ ٦ ص ٤٦٠.

^٢ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٩.

^٣ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٧٦.

^٤ - البيت من الرجز ، ينسب لبعيث ؛ في كتاب الأرملة و الأمكنة للسَّيِّح أبي على المرزوقي الأصفهاني - ط دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، باب عظم شأن القرآن جـ ١ ص ٤٤.

^٥ - سورة النساء: جزء من آية ٨٥.

^٦ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٥٠١.

^٧ - البيت من الوافر، لأبي قيس بن رفاعه، في نازح العروس جـ ٩ ص ٥١.

● ويقول في معنى "سنة" في قوله - تعالى -: ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ ﴾^(١) : "وهي ما يتقدم النوم من الفتور، الذي يسمى النعاس ؛ قال ابن الرقاع العاملي:

وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ (أى: أصابه) النُّعَاسُ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَاتِمٍ"^(٢)

● وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾^(٣) يقول الخطيب الشربيني^(٤): "أى: يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه . والرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً؛ قال الشاعر:

فَلَا كُلَّ مَا تَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ كَأَنَّ وَلَا كُلَّ مَا تَرْجُو مِنَ الشَّرِّ وَاقِعٌ"^(٥)

● كما قال عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾^(٦): "أى: خلقناها لأجلهم ، فملكتناهم إياها يتصرفون فيها تصرف الملاك ، أو منهم لها ضابطون ماهرون ؛ ومنه قولهم:

^١ - سورة البقرة: جزء من آية ٢٥٥.

^٢ - ينظر: السراج المنير ج١ ص ٢٦٤، ٢٦٥ .

^٣ - البيت من الكامل وهو لعدي بن الرقاع في لسان العرب مادة "ن ، ع من "، ج٦ ص ٢٣٣ - ط. دار صادر ، ومترج شواهد الكشاف وقال: (فرقت في عينيه سنة) ج٤ ص ٥١٧ .

^٤ - سورة الكهف: جزء من آية ١١٠.

^٥ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٩٢، ٩٣.

^٦ - البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - ط. دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ج ٦ ص ٧٧٠.

^٧ - سورة يس: جزء من آية ٧١.

^٨ - ينظر: السراج المنير ج٦ ص ١٣٩ .

"أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا"^(١)
والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا"
والشاهد في قوله: ولا أملك رأس البعير؛ أي: لا أضبطه؛ والمعنى: لم
تخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدر على ضبطها بل خلقناها
مذلة"^(٢).

● وعند تفسيره لمعنى "الفطور" في قوله - تعالى -: ﴿هل ترى من
فطور﴾^(٣) يقول الخطيب الشربيني^(٤): "والفطور جمع فطر؛ وهو الشق؛
يقال: فطره فانفطر، منه فطر ناب البعير كما يقال: شق ومعناه: شق اللحم
وطلع، قال المفسرون: الفطور: الصدوع والشقوق؛ قال القائل:
صدعت القلب ثم ذرات فيه هواك فليتألم الفطور"^(٥).

وهذه بعض نماذج من مواضع كثيرة يستشهد فيها الخطيب الشربيني

بالشعر على تفسير معاني المفردات اللغوية في الآيات القرآنية^(٦)

^١ - البيتان من المنسرح، وهما للربيع بن ضبع الغزاري، وجدت الأول في خزنة
الأدب جـ ٧ ص ٣٨٤، وفي لسان العرب مادة "ض ب ن"، جـ ١٣ ص ٢٥٩، والثاني
بحثت عنه فلم أجده.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٦ ص ١٣٣.

^٣ - سورة الملك: جزء من آية ٣.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٨ ص ٢٩.

^٥ - البيت من الواهر، وهو لعبيد الله بن مسعود في لسان العرب جـ ١ ص ٨٠ (ذ، ر، هـ)
وناج للعروس جـ ١ ص ٢٣٣.

^٦ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٤٥، ٧٣، ٩١، ١١١، ١٧٨، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٣،
٢٤٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٤٣، ٤٦١، مجـ ٢ ص ٢٧٧، ٢٢٩، مجـ ٣
ص ١٥٥، ١٥٣، مجـ ٤ ص ٩، ١٨، ١٤٠، ٢٣٠، ٣١٠، ٤٧٦، مجـ ٥
ص ٨٠، ٥٨، ٤٦، ٤٩، ٣٣، ٥٣، ٢٠٦، مجـ ٨ ص ٢٩.

٤- توجيه القراءات:

ومن النماذج التي استدل فيها بالشعر على القراءات:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾^(١) يقول^(٢): " وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب الراء على الحال من القاعدين أو الاستثناء، والباقون بالرفع صفة للقاعدين ؛ لأنه لم يقصد به قوماً بأعيانهم ، بل أراد به الجنس ؛ كما في قوله:
 وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّثِيمِ يُسَبِّحُنِي^(٣) ."

- وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا يَشْعُرْكُمْ ﴾^(٤) يقول^(٥):
 "وقرأ أبو عمرو بسكون الراء، وروى عن الدوري^(٦) اختلاس الضم وكسر الهمزة من 'أنها' ابن كثير وأبو عمرو على الابتداء ، وقالوا: تم الكلام عند قوله - تعالى - : 'وما يشعركم' والباقون بالفتح ؛ فهي بمعنى لعل ؛ وهو شائع في كلام العرب: انت السوق أنك تشتري لنا شيئاً بمعنى لعلك، ومنه قول عدى بن زيد:

^١ - سورة النساء: جزء من آية ٩٥.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ١ ص ٥٠٩.

^٣ - صدر بيت من الكامل ، وعجزه 'فمضيت ثمت قلت لا يعنيني' وهو لرحل من سلول في خزنة الأدب جـ ١ ص ٣٥٢ ، ومعنى اللبيب جـ ١ ص ١٠٢ ، ولسان العرب جـ ٢ ص ٨١ (ث م م).

^٤ - سورة الأنعام: جزء من آية ١٠٩.

^٥ - ينظر: السراج المنير جـ ٢ ص ١٤٨.

^٦ - هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهيب بن عدى بن صهيبان، ويقال صهيب، أبو عمر الدوري، الأزدي، البغدادي، النحوي، الدوري الضرير، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه ، ثقة، ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات ، توفي في ٢٤٦ هـ ؛ ينظر: طبقات القراء لابن الجزري جـ ١ ص ٢٥٥.

أَعَاذُ مَا يَدْرِيكَ أَنْ مَنِيَّتِي إِلَى مَسَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ^(١) -

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَتَّقٍ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) يقول^(٣) : " وقرأ قبل بآيات الباء بعد القاف وقفاً ووصلاً ، واختلف المعربون في ذلك على وجهين : أجودهما : أن إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب ؛ وأنشدوا عليه قول قيس بن زهير :
أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَتَمَّى بِمَا لَأَقْتُ لِبَنِي بَنِي زِيَادِ^(٤)

وقول الآخر :

هَجَوْتُ زَيْبَانَ ثُمَّ جَنْتُ مَعْتَدِرًا عَنْ هَجْوِ زَيْبَانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعْ^(٥)

وقول الآخر :

إِنْ الْعَجُوزُ غَضِبَ فَطَلَقْنِي وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَلْقُ^(٦) -

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴾^(٧) يقول^(٨) : " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة برفع اللام من يجعل ؛ وفيه وجهان : أحدهما : مستأنف . والثاني : أنه معطوف على جواب الشرط ؛

١ - البيت من الطويل ، وهو للمعلوط السعدي في تاج العروس (ف ، د ، د) ج ٨ ص ٤٨١ ، ولسان العرب ف ، د ، د ج ٣ ص ٣٣٠ و ه ، ج ، م ج ١٢ ص ٦٠٢ .

٢ - سورة يوسف : جزء من آية ٩٠ .

٣ - ينظر : السراج المنير ج ٣ ص ٩٩٤ .

٤ - البيت من الوافر ، وهو لقيس بن زهير في خزنة الأندلس ج ٩ ص ٥٢٤ .

٥ - البيت من البسيط ، وهي لزبان بن العلاء في تاج العروس ج ٣ ص ٩ .

٦ - لم أجده .

٧ - سورة الفرقان : جزء من آية ١٠ .

٨ - ينظر : السراج المنير ج ٤ ص ٤٤٤ .

الشرط ؛ لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جوابه الجزم والرفع^(١) ؛ كقوله:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم^(٢)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَأُطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُؤْمِنِي ﴾^(٣) يقول^(٤) : "وقرأ حفص 'أُطْلِعْ' بنصب العين ؛ وفيه ثلاثة أوجه أحدهما: أنه جواب الأمر في قوله 'ابن لي' فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه على قاعدة البصريين كقوله:

يا ناقة سيري عنقا فسيحا إلى سليمان فتستريح^(٥)

وهذا موافق لمذهب البصريين .

وهكذا بفعل الخطيب الشربيني في مواضع كثيرة ؛ إذ يستشهد بالشعر على توجيه القراءات^(٦) .

^١ - الصحيح عند علماء النحو أنه إذا وقع بعد جزاء الشرط فعل مضارع مقرون بالفاء أو الواو يجوز فيه ثلاثة أوجه : الجزم بالعطف على فعل الشرط والنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية أو الواو المعية ، والرفع على الاستئناف ؛ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العجلي البغدادي المصري المولود في سنة ٦٩٨ هـ والمتوفي سنة ٧٦٩ هـ ، ط. دار التراث ، القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م العشرون ، باب: عوامل الجزم ، العطف على الجواب - بالفاء أو الواو ، ج ٤ ص ٣٩ ، أما القاعدة التي استدل بها فتطبيق إذا كان الشرط ماضياً والجواب مضارعاً ؛ ينظر: المصدر نفسه ، فصل جواز رفع الجواب ج ٤ ص ٣٥ .

^٢ - البيت من البسيط ، لزهير بن أبي سلمى بمدح به هرم بن سنان في ديوانه ، حرف الميم ص ٩١ - ط. دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

^٣ - سورة شاعر: جزء من آية ٣٧ .

^٤ - ينظر: السراج المنير ج ٦ ص ٣١١ .

^٥ - البيت من الرجز ، لأبي النجم العجلي في شرح شذور الذهب ص ٣٥٠ واللسان (ن) ، ف، ح ج ٣ ص ٦٣ .

٥ - بيان المعاني التي استخلصها من الآيات:

استند الخطيب الشربيني أيضا إلى الشعر في المعاني التي يستخلصها من آيات القرآن الكريم ؛ ومثال ذلك:

● عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجعل الله فيه خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(٢) يقول ^(٣) : " أي: فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك ، وليكن نظركم ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير ؛ فلعل أن يرزقكم الله - تعالى - منهن ولذا صالحا أو يعطفكم الله عليهن - وقد بينت الآية إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونهيت على معينين:

أحدهما: أن الانسان لا يعلم وجوه الصلاح.

والثاني: أن الانسان لا يكاد يجد محبوبا ليس فيه ما يكره ؛ فليصبر على ما يكره لما يحب؛ وأنشدوا في هذا المعنى:

وَمَنْ لَمْ يَغْمُضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَائِبٌ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا وَلَمْ يَسْكَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبًا ^(٤)

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ^(٥) يقول ^(٦) : " أي: لا يعامل معاملة المحب "الفرحين"

^١ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٣٦ ، ج ٢ ص ٢٢٩ مج ٤ ص ١٥٤ ، ١٨١ مج ٨ ص ١١٢ .

^٢ - سورة النساء: جزء من آية ١٩ .

^٣ - ينظر: السراج المنير ج ١ ص ٤٥٣ .

^٤ - البيتان من الطويل ذكر الاول منهما في أساس البلاغة ص ٣٢٩ مادة (ع ، م ، ض) والثاني لم أجده .

^٥ - سورة القصص: جزء من آية ٧٦ .

أى البطريين الأشربيين الراسخين فى الفرح بما يعنى الذين لا يشكرون الله - تعالى - بما أعطاهم ؛ فإن فرحهم يدل على سقوط الهمم ؛ كما قال - تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَفَرَّحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ {الحديد: ٢٣} وقال القائل فى ذلك :
 "ولست بمفراح إذا الدهر سرنى"^(٢)

وقال آخر :

"أشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انقالا"^(٣)

فلا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن ، فأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب - لم تحدثه نفسه بالفرح .

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾^(٤) يقول^(٥) : " أى : من ذلك الحب ؛ فهو حب حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، لا تقدرون تدعون أن ذلك خيال سحرى بوجه من الوجود . وفى هذه الآية وأمثالها حث عظيم على تدبر القرآن واستخراج ما فيه من المعانى الدالة على جلال الله - تعالى - وكماله ، وقد أنشد هنا الأستاذ القشيري فى تفسيره - وعيب على من أهمل ذلك - :

يَا مَنْ تَصَدَّرَ فِي دَسْتِ الْإِمَامَةِ فِي مَسَائِلِ الْفَقْهِ إِمْلَاءً وَتَدْرِيسًا
 غَفَلْتَ عَنْ حُجَجِ التَّوْحِيدِ تَحْكُمُهَا شَيْدَتُ فِرْعَا وَمَا مَهَّدَتْ تَأْسِيمًا"^(٦)

^١ - ينظر : السراج المنير ج٥ ص ١٧١ .

^٢ - صدر بيت وعجزه : ولا جازع من صرقه المنقلب : وهو لذي الرمة فى شرح موائد الكشاف ج٤ ص ٣٣٩ وهو من الطويل ، ولم أجده فى ديوان لذي الرمة .

^٣ - البيت من الوافر ، وهو للمتنبى فى ديوانه حرف اللام ج٣ ص ٢٢٤ .

^٤ - سورة يس : جزء من آية ٣٣ .

^٥ - ينظر : السراج المنير ج٦ ص ١٠٩ .

تأسر.....حنا^(١)

● وعند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٢) يقول^(٣) : " فلما شاهدنا حدوث هذه الأشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة؛ علمنا أن الفاعل لذلك هو الله - تعالى - فصح بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله - تعالى - : "الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر" قال الشاعر :

فلا السعد يقضى به المشتري ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السماء وقاضى القضاة تعالى وجل^(٤)

● وأيضاً عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٥) يقول^(٦) : " وهو إخراج جميع الحيوانات التي أكلتها الأرض وأفسدتها؛ بخرجها - سبحانه - في الوقت الذي يريده على ما كان كل منها عليه عند الموت كما أخرج تلك الأرزاق، لا فرق بين هذا وذلك غير أنكم لا تتأملون ؛ فيا فوز من شكر، وبيا هلاك من كفر، فموتوا أنفسكم بالخيرات لعلها تنقاد ؛ كما قيل :

١ - البيتان للقسري ؛ ينظر : تفسير لطائف الإشارات، للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن محمد القسري ، ٣٧٦-٤٣٥ هـ ؛ تحقيق د/إبراهيم بسبوسى عط . الهيئة العامة للكتاب الثانية ١٩٨١ م ج٣ ص ٢١٦ ، والبيتان من البسيط .

٢ - سورة الزمر : جزء من آية ٥٢ .

٣ - ينظر : السراج المنير ج٦ ص ٢٦٩ .

٤ - البيتان ذكرهما الرازي في التفسير الكبير بلا نسبة ج ٢٦ ص ٢٥١ .

٥ - سورة الملك : جزء من آية ١٥ .

٦ - ينظر : السراج المنير ج٨ ص ٣٦ .

هِيَ النَّفْسُ مَا عَوَّدَتْهَا تَتَعَوَّدُ" (١) .

^١ - لم أجده وهو من الطويل .

سمات عامة لمنهج في التفسير

من العلامات و الملامح البارزة لتفسير الخطيب الشربيني الآتى :

الدعاء عند انتهائه من تفسير بعض الآيات:

● فعند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَبَدَعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا ﴾^(١) يقول^(٢) : " جعلنا الله - تعالى - وأحبينا من أهل ولايته بمحمد ﷺ و آله وصحابته "

● وعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ يَرثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾^(٣) يقول^(٤) : " اللهم بجاه محمد ﷺ أن تجعلنا ووالدينا وأحبينا من أهله " .

● وأيضاً عند انتهائه من تفسير قوله - تعالى - : ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٥) يقول^(٦) : " يقول مصنف هذا الكتاب: قد أفنيت نفسي في خدمة العلم، ومطالعة الكتب، ولا رجاء لى فى شيء إلا أنسى فى غاية الذلة والقصور، والكريم إذا قدر عفا، فأسألك يا أكرم الأكرمين و أرحم الراحمين وسائر عيوب المعيوبين أن تفيض سجال رحمتك على و على والدى وأولادى وإخوانى وأحبائى، وأن تخصنى و إياهم بالفضل و التجاوز و الجود و الكرم " .

١ - سورة الأنبياء: جزء من آية ٩٠ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٧ .

٣ - سورة المؤمنون: جزء من آية ١١ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٣٢٨ .

٥ - سورة هود: آية ٤ .

٦ - ينظر: السراج المنير ج٣ ص ٦٦ .

الدعاء عند انتهائه من تفسير السورة:

- فعند انتهائه من تفسير سورة الروم يقول^(١): "وها أنا أسأل الله - تعالى - القريب المجيب أن يغفر ذنوب من كتب هذا ، وهو محمد الشربيني الخطيب، و يفعل ذلك بوالديه وأولاده ومشايخه وكل محب له وحبیب".
- وأيضاً عند انتهائه من تفسير سورة الشعراء يقول^(٢): " اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها " .

عنايته بالمواعظ:

كثيراً ما يتعرض الخطيب الشربيني للمواعظ والرفائق، والترغيب والترهيب ، ولعل ورعه وتقواه وزهده هو الدافع الذي جعله يعنى بهذه الناحية:

- فعند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ فَلْيَبْتَ فِي الْمَجْنِ بَضْعَ سِنِينَ ﴾^(٣) يقول^(٤): "قال محمد بن عمر الرازي في تفسيره^(٥): و الذي جربته من أول عمري إلى آخره أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله - تعالى - صار ذلك سبباً للبلاء و المحنة و الشدة و الرزية، و إذا عول على الله - تعالى - ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه ، فهذه التجربة قد استمرت من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت إلى السابع و الخمسين ، فعند ذلك استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله - تعالى - و إحصانه".

١ - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ .

٢ - ينظر: السراج المنير ج ٥ ص ٦٣ ، ص ٦٤ .

٣ - سورة يوسف: جزء من آية ٤٢ .

٤ - ينظر: السراج المنير ج ٣ ص ١٦١ .

٥ - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ج ١٨ ص ١١٦ .

● وعند انتهائه من تفسير سورة النحل يقول^(١):

" قال الرازي^(٢): "في آخر هذه السورة : يقول مصنف الكتاب: الحق عزيز، والطريق بعيد، والمركب ضعيف، والقرب بُعد، والوصل هجر، والحقائق مصونة، والمعالي في غيب الغيب مكنونة، والأسرار فيما وراء أفعال الغرة مخزونة، وبيد الخلق القيل والقال، والكمال ليس إلا لله - تعالى - ذي الإكرام والإجلال".

● وعند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَةَ مَرْكَانٍ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى صُرٍّ مَسَّةٍ ﴾^(٣) يقول^(٤): "و أما المؤمن إذا ابتلى ببليّة أو محنة، وجب عليه رعاية أمور:

أولها: أن يكون راضياً بقضاء الله - تعالى - غير معترض بالقلب واللسان عليه، وإنما وجب عليه ذلك؛ لأنه - تعالى - مالك على الإطلاق، ومالك بالاستحقاق، فله أن يفعل في ملكه ما شاء، ولأنه - تعالى - مالك على الإطلاق، وهو منزّه عن فعل العيب؛ فكل ما فعله فهو حكمة و صواب، فيجب عليه الصبر وترك القلق، فإن أبقى عليه تلك المحنة فهو عدل، وإن أزالها عنه فهو فضل.

وثانيها: أنه في ذلك الوقت إن اشتغل بذكر الله - تعالى - والتّناء عليه بدلاً من الدعاء، كان أفضل لقوله ﷺ حكاية عن الله - تعالى -: (من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين)^(٥) ولأن

١ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣٩٣.

٢ - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي جـ ٢٠ ص ١١٥.

٣ - سورة يونس: جزء من آية ١٢.

٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ١٤.

٥ - أخرجه الترمذي في سننه جـ ٥ ص ٢٩ - كتاب: فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ح ٢٩٢٦، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب -

الاشتغال بالذكر اشتغال بالحق ، والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس ،
و لا شك أن الأول أفضل.

وثالثها: أنه — تعالى — إذا أزال عنه تلك البلية وجب عليه أن يبالغ في
الشكر، وأن لا يخلو عن ذلك الذكر في السراء و الضراء، و أحوال الشدة و
الرخاء، فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول البلاء، و حينئذ يكون المؤمن
على الضد من الكافر؛ لأن الكافر عندهم في الشهوات، و الإعراض عن
العبادات .

عنايته بأقوال الصوفية:

الخطيب الشربيني لا يفسر الآيات تفسيراً إشارياً يمثل الفلسفة الصوفية،
إلا أنه يستطرد أثناء التفسير إلى مواعظ و حكم الصوفية:

● ومثال ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ^(١) يقول ^(٢): " تنبيه: اختلف الناس كيف صار الإقبال على الطاعات سبباً لزوال ضيق القلب والحزن فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات يتتور باطنه و يشرق عليه ، وينفسح وينشرح صدره + فعند ذلك يعرف قدر الدنيا و حقارتها + فلا يلتفت إليها ."

● و أيضاً عند تفسيره لقوله — تعالى —: ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ ^(٣) يقول ^(٤): "لأن قيامهم بعد نومهم يتقلبون نيقاً و ثلاثمائة سنة مثل من

و أخرجه الدارمي في — كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل كلام الله على سائر الكلام
جـ ٢ ص ٣١٣ ح ٣٣٥٦ وقال محققه: إسناده ضعيف .

^١ - سورة الحجر: آية ٩٨.

^٢ - ينظر: السراج المنير جـ ٣ ص ٣١٢.

^٣ - سورة الكهف: جزء من آية ٢١.

^٤ - ينظر: السراج المنير جـ ٤ ص ٢٠.

مات ثم بعث ؛ قال بعض العارفين : علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت .

● وعند تفسيره لقوله — تعالى — : ﴿ فلما حضروه قالوا أنصتوا ﴾^(١) يقول^(٢) : أي : اسكتوا ، وميلوا بكمياتكم ، واستمعوا ؛ حفظاً للأدب على بساط الخدمة وفيه تأدب مع العلم في تعلمه . قال النقشيري^(٣) : فاهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار .

الإحالة على ما سبق :

● فعند انتهائه من تفسير الآية ١٦٠ من سورة الأعراف يقول^(٤) : " وقد سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة " .

● وعند تفسيره لسورة النحل يحيل تفسير الآية ١١٥ على تفسيرها في سورة البقرة ؛ فيقول^(٥) : " وقد تقدم تفسير قوله — تعالى — : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٦) في سورة البقرة فلا إفادة في تفسير ذلك " .

١ - سورة الأحقاف: الآية ٢٩ .

٢ - ينظر : السراج المنير جـ ٧ ص ٢٧ .

٣ - هو عبد الكريم بن هولزن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القسري ، أبو الفاسم ، زين الإسلام ، عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول وعلم التصوف ، من كتبه : التفسير في التفسير وهو تفسير كبير ، ولطائف الإشارات وهو تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم ، توفي بنيسابور وما زال قبره قائماً بها يزوره الناس للتشرك ؛ معجم المفسرين لعادل نويهض جـ ١ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

٤ - ينظر : السراج المنير جـ ٣ ص ٢٧٢ .

٥ - ينظر : السراج المنير جـ ٣ ص ٣٨٤ .

٦ - سورة النحل : آية ١١٥ .

● وأيضًا عند تفسيره لسورة الكهف يحيل تفسير (الحمد) في أولها على ما ذكره في سورة الفاتحة ؛ فيقول^(١): «الحمد لله»^(٢) تقدم الكلام عليه مستقصى في أول الفاتحة ".

^١ - ينظر: السراج المنير ج٤ ص ٥.

^٢ - سورة الكهف: جزء من آية ١.

نتائج البحث

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فقد انتهيت بفضل الله وحمده من البحث الذي تناولت فيه منهج الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير، وأشكر الله ﷻ أن كان بحثي في التفسير، أشرف العلوم، إذ كنت أحاول أن أقف على بعض من أسرار الكثرة التي يعجز المرء أن يلم بجزء منها لو أمضى عمره يستخرجها.

وقد برزت لي من خلال دراستي لموضوع البحث عدة نتائج وهي:

- ١- نبوغ الخطيب الشربيني العلمي وتفوقه في الإفتاء والتدريس.
- ٢- جمع الخطيب الشربيني بين العلم والعمل فعرف بالورع والزهد وكثرة العبادة.
- ٣- سعة إطلاعه على العلوم الشرعية ويتضح ذلك من عرضه للسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وعرضه لأقوال المفسرين والفقهاء.
- ٤- درايته الواسعة بعلوم اللغة العربية ويتجلى ذلك في تعدد المعاني اللغوية التي يذكرها موضحاً بها مفردات القرآن، ووجوه الإعراب الدقيقة، التي يحمل عليها المعاني القرآنية ويوجه بها القراءات المتواترة، وعنايته الفائقة ببيان الأسرار البلاغية ودقته في تلخيص هذه المعاني.
- ٥- تفسيره يجمع بين المأثور والرأي، وطريقته في التفسير هي الغالبة على مؤلفات من سبقوه من المفسرين، وقد حاول الاستفادة من جل التفاسير فأتى تفسيره مفيداً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل،

سهل الأسلوب، واضح المعاني.

- ٦- ميله لمذهبه الشافعيّ.
- ٧- يبدأ تفسير كل سورة ببيان سر إطلاق اسمها العلم عليها وإذا كان للسورة أسماء متعددة فقد يتعرض لبيان سبب إطلاقها على السورة كذلك.
- ٨- يتناول تأويل البسملة في كل سورة تفسيراً يتناسب و روح السورة ومقصدها وموضوعها.
- ٩- عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة وعرضه لأراء الفرق المختلفة من المعتزلة والمشبّهة والقدرية وغيرهم ودقّة مناقشاته لأرائهم وانتصاره لمذهب أهل السنة والجماعة.
- ١٠- تحريره الصحة فيما ينقل من أسباب النزول.
- ١١- تحريره الصحة فيما يستدل به من الأحاديث النبوية فيقتصر على الصحيح والحسن، وينبه على غيرهما.
- ١٢- اقتصاره على القراءات السبع المشهورة وعنايته الفائقة بكيفية الأداء الصوتي لها وتوجيهها إلى المعاني القرآنية.
- ١٣- تحريره الصحة فيما ينقل من أراء واعتداله في نقده أراء العلماء مستنداً في نقده إلى أدلة صحيحة.
- ١٤- دقته البالغة في استخلاص المناسبات بين السور والآيات.
- ١٥- قلة اهتمامه بالتفسير العلمي للآيات القرآنية.
- ١٦- كثرة ما نقله من الاسرائيليات التي لم يتناولها بتضعيف أو تصحيح، خاصة في القصص الذي غلب على تفسيره.
- ١٧- دفاعه عن عصمة الأنبياء وإبطال الروايات التي تخل بها.
- ١٨- تأثره الواضح بطريقة الفخر الرازي الكبير مفاتيح الغيب فنقل عنه الكثير في مختلف مباحث التفسير.

- ٢٩- يلتقى مع المهاييمى والبقاعى فى عنايتهما بـ:
- المناسبات والصلوات بين الآيات.
 - تفسير البسملة تفسيراً مختلفاً فى كل سورة عن الأخرى.
 - إبراز حكمة تسمية السور بما سميت به.
- ويلتقى مع القاضى زكريا فى تتبعه بالأحاديث الموضوعية التى ذكرها القاضى البيضاوى تبعاً للزمخشري فى نهاية كل سورة فى فضائل السور.
- ٢٠- عنايته الفائقة بالشعر العربى فنجده يكثر من الإستشهاد به على المعانى القرآنية.
- ٢١- كثرة مصادر الخطيب الشربيني فى تفسيره تبين لنا مدى الجهد الذى بذله فى جمع هذا التفسير وإخراجه، فالمطالع له يشعر أنه فى سباحة ممتعة مفيدة بين مختلف مباحث التفسير، ويجد نفسه مطلعاً على مختلف العلوم الشرعية وبين ألوان التفسير بالمأثور والرأى، والتحليلي والموضوعي.
- ٢٢- بالتتبع والدراسة لتفسيره اتضح أنه ليس مجرد ناقل وملخص بل هو ناقد مدقق، وكان هذا واضحاً فى موقفه من الأقوال والآراء التى أخذها عن مصادره المختلفة، حيث ظهرت براعته فى عرض الآراء ودقة تلخيصها ونقدها، فلم يغتر بالاعتزاليات التى أوردها الزمخشري فى تفسيره بل فندها وردَّ عليها كما تتبع الأحاديث التى ذكرها البيضاوى تبعاً للزمخشري فى نهاية كل سورة فى فضلها وبين أنها موضوعة باتفاق أهل العلم.
- ٢٣- يهتم بالمنهج الموضوعي الذى يجمع بين الآيات التى تتعلق بموضوع واحد ويبان ما بينها من اتفاق واختلاف.
- ٢٤- يهتم ببيان المشكل وإزالة ما يتوهم من خلاف ظاهر.
- ٢٦- يختتم بعض الآيات القرآنية بالدعاء.

٢٧ - اختتم التفسير جميعه بقوله: وهذا آخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير فدونك تفسيراً كأنه سبيكة عسجد، أو در منضد، ثم أكد باختصار على منهجه الذي عرضه في بداية التفسير ثم أطال الدعاء ثم اختتم قائلاً: قال المؤلف رحمه الله تعالى: * وكان الفراغ من تأليفه يوم الإثنين المبارك، ثالث عشر صفر الخير، من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد مؤلفه فقير رحمة ربه القريب محمد بن أحمد الشربيني الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه، وستر في الدارين عيوبه والمسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين، والمرسلين والصحابة أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين" (١)

٢٨ - لم يف بما اشترطه على نفسه في اقتصاره على الصحيح والحسن من الأحاديث والآثار؛ إذ استل بأحاديث ضعيفة ولم ينبه عليها وأخرى لم أعثر عليها في كتب الحديث التي نسبها إليها ولا فيما وقفت عليه من كتب الحديث وكذا التفاسير.

٢٩ - لم يكن دقيقاً فيما نسب من بعض الأقوال لغيره من العلماء؛ فبالاضطلاع على هذه الأقوال في مصادرها الأصلية وجدت بعضها مختلفاً عما ذكره الخطيب الشربيني، والقليل لم أعثر عليه في كتب من نسبها إليها ولعله نقله عن غيرهم من العلماء الذين نسبوه إليهم.

^١ - السراج المنير: ج ٨، ص ٤٧٩؛ ص ٤٨١ ينصرف.

وعلى الجملة.... فقد جاء تفسيره سهل العبارة، واضح المعاني، مفيداً، بعيداً عن خلط التفسير بما لا يتصل به، غير مسرف فيما يتناوله من النواحي العلمية، وأراه مرجعاً مهماً يعتمد عليه كل طالب علم.

وبعرضي لهذه النتائج أكون قد أتممت بفضل الله رسالتي، ولعلني بتوفيق من الله عز وجل أكون قد قاربت الصواب فيما قمت به من بحثه، وقد حاولت بذل طاقتي منها وما وسعني الجهد راجية من الله عز وجل التوفيق، فإن أصبت فذلك ما أرجوه، وإن تكن الأخرى فما هو إلا جهد باحثة متطلعة إلى الكمال، والكمال لله وحده.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله؛ وصلى الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ومن سار على نهجهم من العلماء العاملين الذين قضوا حياتهم المباركة في تفسير القرآن.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها في السورة	رقم الصفحة
	❖ سورة الفاتحة		
١	﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	١	24
٢	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	32
٣	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	32
	❖ سورة البقرة		
١	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	38
٢	﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ...	٥	43
٣	﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ...	٦	43
٤	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	١٢	49
٥	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا...	١٤	52
٦	﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾	٣٧	81
٧	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ...	٣٩	87
٨	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا....	٤٨	142
٩	﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾	٥٩	102
١٠	﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ...	٦٠	102
١١	﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ...	٩٤	124
١٢	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا...	١٠٦	134
١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا..	١٦٨	176
١٤	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ...	١٧٣	178
١٥	﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ إِذَا خَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ...	١٨٠	181
١٦	﴿ إِنَّمَا مَعْلُودَاتُ فَمَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا...	١٨٤	186
١٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ...	٢١٥	220
١٨	﴿ وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٢٧	٢١٥
١٩	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾	٢٢٨	٢٨٦
20			٢٥٩

٢٣٤	١	﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا...﴾
٤٤	٢	❖ <u>سورة آل عمران</u>
٢٣٤	٣	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
٨٤	٤	﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
٤٥	٥	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ...﴾
٤٤	١	﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ...﴾
	٢	❖ <u>سورة النساء</u>
٢٣٥	٣	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾
٥٠	٤	﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ...﴾
٢٣٦	٥	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ...﴾
٢٩١	١	﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾
	٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾
٥٠	٣	❖ <u>سورة المائدة</u>
	٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾
٢٦٢	٥	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾
١١٩	١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾
	٢	﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾
٢٢٧	٣	❖ <u>سورة الأنعام</u>
٥٤	٤	﴿أَوْ دَمًا مَسْكُوحًا﴾
	٥	❖ <u>سورة الأعراف</u>
٤٧	١	﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا...﴾
	٢	﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾
١٤٩	٣	❖ <u>سورة الأنفال</u>
٢٢٩	٤	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ...﴾
١٢٠	٥	﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾
	١	❖ <u>سورة التوبة</u>
٤٣	٢	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا...﴾
	٣	❖ <u>سورة هود</u>
٤٧	٤	﴿كِتَابَ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ...﴾

١٧١	٤	﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	
٣٣٢	١٠٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ... ﴾	١
		❖ <u>سورة إبراهيم</u>	
٥٢	١٤	﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾	١
١٨٤		❖ <u>سورة الحجر</u>	٢
٣٣٣	٢٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ... ﴾	٣
٢٣٧	٤٠	﴿ إِنَّا عِبَادُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾	
	٩٨	﴿ فَصَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾	١
١٢٧		❖ <u>سورة النحل</u>	٢
٢٨٠	٤٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ... ﴾	٣
٢٦٥	٨٠	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ مَسْكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ... ﴾	٤
	١١٥	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ... ﴾	
١٨٩	١٢٦	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ... ﴾	١
		❖ <u>سورة الكهف</u>	
٢٩٧	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ... ﴾	١
١٢٢	١٢	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى... ﴾	٢
	٤٧	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً... ﴾	٣
١٧٥		❖ <u>سورة مريم</u>	
	٦٤	﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا... ﴾	١
١٥٢		❖ <u>سورة طه</u>	
٧٣	٣٢	﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾	١
	١١٦	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا... ﴾	٢
١٥٤		❖ <u>سورة الأنبياء</u>	
٢٦٧	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي... ﴾	١
		❖ <u>سورة الحج</u>	٢
٢٩٧	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ... ﴾	
٣٠١	٧٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا... ﴾	١
٣٠١		❖ <u>سورة المؤمنون</u>	٢
٣١٤	٩٩	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾	

٣٠٩	١٠٢	﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	١
٣٠٨		❖ <u>سورة الشعراء</u>	٢
٣٠٨	١٣	﴿ وَيَضْحِكُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ... ﴾	٣
٣٠٨	٢١	﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي... ﴾	٤
	٢٢	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بنِي إِسْرَٰئِيلَ... ﴾	٥
٢٠١	٧٩	﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾	٦
	١٩٥	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾	٧
١٩٩	٢٢٤	﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾	٨
	٢٢٥	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾	٩
١٢١	٢٢٦	﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾	١٠
١٢١		❖ <u>سورة القصص</u>	١
	٥٦	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ... ﴾	٢
١٥٦		❖ <u>سورة العنكبوت</u>	٣
١٥٤	٨	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ... ﴾	١
١٥٤		❖ <u>سورة لقمان</u>	٢
	٢	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾	٣
٢٢٨	٣	﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾	١
		❖ <u>سورة السجدة</u>	٢
١٥٢	٥	﴿ يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ... ﴾	٣
	١١	﴿ قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى... ﴾	٤
١٥٢	١٢	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ... ﴾	١
		❖ <u>سورة الأحزاب</u>	٢
٢٩٣	٤٨	﴿ وَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَذَعِ إِذَا هُمْ... ﴾	١
١٥٦		❖ <u>سورة مباح</u>	٢
	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي... ﴾	٣
٤٩		❖ <u>سورة فاطر</u>	٤
١٩١	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ... ﴾	١
		❖ <u>سورة يس</u>	٢
٢٩٨	٢	﴿ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾	٣

	٨٣	﴿ فُسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾	١
٣٠٩		❖ <u>سورة الزمر</u>	٢
	٤٢	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ... ﴾	
٣٣٣	٥٣	﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ... ﴾	١
٢٦٤		❖ <u>سورة غافر</u>	
	٥٨	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	١
١٥٤		❖ <u>سورة الزخرف</u>	٢
٢٦٤	٣	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	٣
		❖ <u>سورة الأحقاف</u>	٤
١٥٧	٢٩	﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾	
	٣٣	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... ﴾	١
١٢٤		❖ <u>سورة محمد</u>	٢
١٢٣	١	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾	
١٧١	٢	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا... ﴾	١
		❖ <u>سورة النجم</u>	
١٠٣	١	﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى ﴾	١
٢٠١		❖ <u>سورة الرحمن</u>	٢
	٢	﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾	٣
١٥٣	١٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾	
	٧٨	﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	١
٥٠		❖ <u>سورة الواقعة</u>	٢
	١	﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾	
١٥٣	٨٢	﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾	١
٥٢		❖ <u>سورة الحديد</u>	
	١	﴿ سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ... ﴾	١
٣١٠		❖ <u>سورة المجادلة</u>	
	٣	﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾	١
٢٢٨		❖ <u>سورة الحشر</u>	٢
٢٢٨	١	﴿ سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ... ﴾	

٢٢٨	٧	﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ... ﴾	١
٢٣٩		❖ <u>سورة المعارج</u>	
	٣٧	﴿ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشَّمَالِ عَزِيزٍ ﴾	١
٢٠٠		❖ <u>سورة المزمل</u>	٢
٢٧٨	٢	﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٣
٢٥١	٣	﴿ نَصَفَهُ أَوْ انْقَصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾	٤
	٤	﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾	
٣٠٦	١٠	﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾	١
		❖ <u>سورة القيامة</u>	٢
١٧٧	٣	﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾	٣
	٢٢	﴿ وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا ﴾	
١٨٤	٢٣	﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَظَرَةٌ ﴾	١
		❖ <u>سورة الانشراح</u>	
٢٩٢	٤	﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سُلَاسِلًا وَأَغْطَالًا وَسَعِيرًا ﴾	١
٢٦٦		❖ <u>سورة النبا</u>	
٥٥	٢٨	﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾	١
		❖ <u>سورة التكوثر</u>	
٤٣	٢٤	﴿ وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَرِيرٍ ﴾	١
		❖ <u>سورة الانشقاق</u>	٢
٣١١	١	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾	٣
	٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾	
٣٠٧	٨	﴿ فَمَنْوَفٌ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَمِينًا ﴾	١
		❖ <u>سورة الطارق</u>	
٢٤٢	١٢	﴿ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ ﴾	١
		❖ <u>سورة البلد</u>	
٣٠٧	٤	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾	١
		❖ <u>سورة الضحى</u>	
٨٦	٣	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	١
		❖ <u>سورة التين</u>	

١٥٣	١	﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾	١
٣٠٠		❖ <u>سورة الزلزلة</u>	
٣٠٠	١	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	١
		❖ <u>سورة العاديات</u>	
٢٧٩	٦	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	١
		❖ <u>سورة القارعة</u>	٢
٥٦	١	﴿الْقَارِعَةُ﴾	٣
	٨	﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾	
١٥٥	٩	﴿فَأَمَّهُ هَآوِيَةٌ﴾	١
١٥٥		❖ <u>سورة الهمزة</u>	
١٩٦	٢	﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾	١
		❖ <u>سورة الكوثر</u>	
٣٠٧	١	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	١
٣٠٧		❖ <u>سورة النصر</u>	٢
	١	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾	
	٣	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾	١
		❖ <u>سورة الفلق</u>	
	١	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾	١
		❖ <u>سورة الناس</u>	٢
	٤	﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾	
	٥	﴿الَّذِي يُوسَسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾	
		❖	

فهرس الأحاديث والآثار

م	صدر الحديث - الأثر	الصفحة
١	أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ليلة...	١٨٩
٢	أبى وأبوك في النار...	٥٩
٣	احتبس جبريل ﷺ عن النبي ﷺ حين سأله قومه...	١٩٠
٤	إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد...	٦٤
٥	إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: عليكم ما قلت...	١٩٥
٦	إذا قال العبد: الله، قال الله: دخل حصني...	١٣٥
٧	إذا قضى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاتاً...	٧٧
٨	إذا كتبواكم فعليكم بالنبل...	٥٥
٩	استعوا فإن الله - تعالى - كتب عليكم السعي...	٦٥
١٠	أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل...	٢٦١
١١	أما بنو هاشم وبنو عبد المطلب فشيء واحد...	٢١١
١٢	أمنى جبريل عند البيت ؛ مرتين فصلى بي الظهر...	٦٨
١٣	إن الله - تعالى - يقبل الصدقة ويربها...	٦٠
١٤	إن الله أعطى كل ذي حق حقه...	٢٣٢
١٥	إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض...	١٣٦
١٦	أن النبي ﷺ طب؛ أي: سحر...	١٩٦
١٧	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة...	٥٨
١٨	إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي...	١٤٣
١٩	أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا...	١٩١
٢٠	إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون القمر...	٢٥١
٢١	إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض...	٦٧
٢٢	إني لأستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة...	١١٧
٢٣	أهدى للنبي ﷺ طبق من تين ؛ فأكل منه...	٢٤٢

٢٤	أوتيت خواتيم البقرة من كنز تحت العرش...	١٣٥
٢٥	أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس...	٢١٩
٢٦	بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه...	٥٩
٢٧	تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً...	٧٠
٢٨	جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر كذلك...	٩١
٢٩	الحج عرفة ؛ فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج...	٦٩
٣٠	خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً...	٢١٠
٣١	خذوا عني مناسككم...	٦٤
٣٢	دعي الصلاة أيام أقرائك...	٢٠٩
٣٣	الربا وإن كثرت قل...	٦٠
٣٤	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان...	٧٥
٣٥	السورة التي تذكر فيها البقرة فسقاط القرآن...	١٣٦
٣٦	غزونا مع رسول الله ﷺ...	٢٠٢
٣٧	فضلنا على الناس بثلاث...	٦٦
٣٨	في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض...	٥٤
٣٩	قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة...	١١٦
٤٠	قضى رسول الله ﷺ في دية الخطأ...	٢١٢
٤١	قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا...	٥٧
٤٢	كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فذنت إليه اليهود...	١٩٦
٤٣	كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين...	١٩٣
٤٤	كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان...	١٣٦
٤٥	كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﷺ...	١٩٤
٤٦	كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ...	٢١٣
٤٧	لا تحدثوا حلقاً في الإسلام ليس في المائدة منسوخ...	٢٣٤

٦٢	لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا العممة على بنت أخيها...	٤٨
٣٠٨	لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً فيريه...	٤٩
٥٩	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء...	٥٠
٥٣	لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة...	٥١
٢٠٣	ليت شعري ما فعل أبو أبي...	٥٢
٢١٨	ليس من البرّ الصيام في السفر...	٥٣
٥٥	ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه...	٥٤
١٩٣	ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بها...	٥٥
١٤١	ما أنزل على القرآن إلا آية وحرفاً حرفاً...	٥٦
٢٣٢	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء...	٥٧
٥٣	ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة...	٥٨
٢٣٧	المائدة آخر القرآن نزولاً...	٥٩
١٥٨	المستغفر بلسانه المصير بقلبه كالمستهزئ بربه...	٦٠
١٤٣	معنى 'الم' أنا الله أعلم ، ومعنى 'الر' أنا الله أرى...	٦١
١٢٥	من سن سنة سيئة...	٦٢
٣٣١	من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته...	٦٣
١٣٧	من قال سبحان الله العظيم وبحمده...	٦٤
١٩	من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ...	٦٥
١٤٢	من قرأ 'طس' كان له من الأجر عشر حسنات...	٦٦
١٣٨	من قرأ 'قل هو الله أحد'...	٦٧
١٣٩	من قرأ 'قل هو الله أحد' بعد صلاة الصبح...	٦٨
١٣٩	من قرأ 'قل هو الله أحد' عشر مرات بنى الله له قصرًا...	٦٩
١٣٩	من قرأ 'قل هو الله أحد' في مرضه...	٧٠
١٤٠	من قرأ آل عمران أعطى بكل آية منها أمناً...	٧١
١٣٥	من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه...	٧٢

١٤١	من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين....	٧٣
١٤١	من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات...	٧٤
٣٧	من قرأ سورة الواقعة كل ليلة...	٧٥
٥٦	من نوقش الحساب هلك...	٧٦
٨٠	الميت يعذب في قبره بما نيح عليه...	٧٧
٢٤٣	نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة...	٧٨
٢٦٢	هذان حرام على ذكور أمتي حلّ لإتائها...	٧٩
٢٤٣	هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي...	٨٠
١٣٣	هي شفاء لكل داء...	٨١
٥٥	وأعدوا لهم ما استطعتم ألا إن القوة الرمي ثلاثا...	٨٢
١٣٧	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن...	٨٣
٦٤	والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله...	٨٤
١٨٩	يا جبريل ما منعك أن تزورتنا أكثر...	٨٥
١٤٣	يا داود إن لكل كتاب سرًا...	٨٦
٦٢	يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة...	٨٧
٥٨	يدخل المنيك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم...	٨٨

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١	ابن الأثير	٣٨
٢	ابن الأتبارى	٢٢٣
٣	ابن القيم	٢٤٤
٤	ابن المبارك	٢٤٤
٥	ابن تيمية	١٨٨
٦	ابن جريج	٣٦
٧	ابن حزم	٢٤٤
٨	ابن دقيق العيد	١٨٨
٩	ابن عادل	١٤٦
١٠	ابن عباس	٢٤
١١	ابن عمر	٢٤
١٢	ابن كثير	٢٣
١٣	ابن ماجه	٢٦
١٤	ابن مسعود	٢٤
١٥	أبو الأسود الدؤلى	١٦٩
١٦	أبو البقاء	٢٥
١٧	أبو الحسن البصرى	٢٠٦
١٨	أبو العالية	٢٣٨
١٩	أبو العباس أحمد بن عماد المهدى	١٦٢
٢٠	أبو بكر الرازى	٢٠٦
٢١	أبو بكر بن العربى	٢٠٦
٢٢	أبو جعفر النحاس	٢٢٣
٢٣	أبو جعفر بن الزبير	١٥٠

٢٢	أبو حيان	٢٤
٢٢٣	أبو داود السجستاني	٢٥
١٦٢	أبو علي الفارسي	٢٦
١٧٤	أبو عمرو	٢٧
٢٤	أبو هريرة	٢٨
٢١٣	أبو حنيفة	٢٩
٢٦	أحمد بن حنبل	٣٠
٢٥	الأخفش	٣١
٢٠٧	الكلوسي	٣٢
١٨١	ورث	٣٤
٢١٥	الأوزاعي	٣٥
٢٥	البخاري	٣٦
١٨٤	الجزئي	٣٧
٢٣	البغوي	٣٨
٢٢٠	البقاعي	٣٩
٢٢	البيضاوي	٤٠
٢٢	البيهقي	٤١
٢٧	الترمذي	٤٢
٢٦	جابر	٤٣
٢٤	الجلال المحلى	٤٥
٢٢	حفص	٤٦
١٧٣	خلف	٤٧
١٧٦	الدوري	٤٨
٣٢٣	الرازي	٤٩
٢٢	الزجاج	٥٠

٢٥	الزمخشري	٥١
٢٢	الزهرى	٥٢
٣٥	السدى	٥٣
٢٤	سعيد بن جبير	٥٤
٨٣	سفيان الثوري	٥٦
٢١٦	سيبويه	٥٧
٢٥	السيوطي	٥٨
٩٢	شعبة	٥٩
١٧١	الطبراني	٦٠
٢٧	الطبري	٦١
٢٣	عائشة	٦٢
٢٣	عزالدين بن عبد السلام	٦٣
١٤٩	العسقلاني	٦٤
٢٧	عطاء بن أبي رباح	٦٥
٨٣	عكرمة	٦٦
٨٣	على بن أبي طالب	٦٧
٢٣	على بن أحمد المهاملي	٦٨
١٢٨	على بن عبد الكافي السبكي	٦٩
١٦٧	الفراء	٧٠
٢٥	قالون	٧١
١٨١	قتادة	٧٢
٢٤	القرطبي	٧٣
٢٠٧	القشيري	٧٤
٣٣٣	قنبل	٧٥
١٧٦	الكمالي	٧٨

٢٠٩	مالك	٧٩
٢٤	مجاهد	٨٠
٤١	محمد الشنقيطي	٨١
٢٦	مسلم	٨٢
٢٢٣	مكي	٨٣
١٧٣	نافع	٨٤
٢٦	النسائي	٨٥
٢٢	النفسي	٨٦
١٥٠	النيسابوري	٨٧
٢٢٣	هبة الله بن سلامة	٨٨
١٧٣	الواحدي	٨٩
١٠٠	وهب ابن منبه	٩٠

فهرس الأبيات الشعرية

م	الشعر	صفحة
١	أبا أبا خر أبا خراشة أما أنت ذا نفر	٣١٣
٢	أخوال الحرب إن عضت به الحرب عضهاون شمرت عن ساقها الحرب شمر	٣١٨
٣	إذا ما مشيت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم النبت ياتع	٣١١
٤	أشد الغم عندي في سرور	٣٢٦
٥	أصبحت لا أحمل السلاح ولا	٣٢١
٦	إلى الملك القرم وابن الهمام	٣١٤
٧	إن الخليفة إن الله مزبلة	٣١٧
٨	إن الرجال لهم إليك وسيلة	٣١٠
٩	إن العجوز غضب فطلقني	٣٢٣
١٠	إن دهرًا يلف شملي بجمال	٣١٦
١١	تخوف الرجل منها تامكا	٢٧٧
١٢	تسقتني ماء العلام فأننى	٣١٥
١٣	تعتى كتاب الله أول ليلة	٣٩
١٤	دعوت لما نالني مسورا	٣١٤
١٥	راشوا جناحي ثم بلوه بالندى	٣١٦
١٦	المسلم تأخذ ما رضيت به	٣١٣
١٧	صدعت القلب ثم ذرات فيه	٣٢١
١٨	عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومن طراوى الطير عن أرزاقها	٣١٨
١٩	غفلت عن حجج التوحيد تحكمها شيدت فرعا وما مهدت تأسيسا	٣٢٧
٢٠	غمز الرداء إذا تبسم ضاحكا	٢٩٥
٢١	فجأعوا يهزعون إليه حتى	٣١٠
٢٢	فصدقتها وكذبتها	١٧٧
٢٣	فلا السعد يقضى به المشتري	٣٢٧
٢٤	فلا كل ما ترجو من الخير كلن ولا كل ما ترجو من الشر واقع	٣٢٠
٢٥	فمن يلقي في بعض القرينات رحله فأم القرى ملقى رحالي ومناجى	٣٤
٢٦	في سنة قد كشفت عن ساقها	٣١٨

٢٧	قد استوى بشر على العراق	من غير سيف ودم مهراق	٣١٩
٢٨	قد شمرت عن ساقها فشدوا	وجدت الحرب بكم فجذوا	٣١٨
٢٩	لقد نطق المأمون بالصدق والهدى	وبين للآلام ديناً ومنهجاً	٣١٠
٣٠	لى الشطر الذى ملكت يمينى	ودونك فاعتجر منه بشطر	٢٩٦
٣١	هجوت زبآن ثم جلت معتذرا	عن هجو زبآن لم تهجو ولم تدع	٣٢٣
٣٢	والذنب أخشاه إن مررت به	وحدى وأخشى الرياح والمطرا	٣٢١
٣٣	وإن أتاه خليل يوم مسألة	يقول لا غائب مالى ولا حرم	٣٢٤
٣٤	ولكنه حكم رب السماء	وقاضى القضاة تعالى وجل	٣٢٧
٣٥	ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو غائب		٣٢٦
٣٦	ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها ولم يسلم له الدهر صاحباً		٣٢٦
٣٧	يا عين فلا يكت أريد إذ	قمنا وقام الخصوم فى كبد	٣١١
٣٨	يا من تصدر فى دست الإمامة فى مسائل الفقه إملاء تدريساً		٣٢٧
٣٩	يا ناق سبرى عتقا فسيحاً	إلى سليمان فتستريحاً	٣٢٥
٤٠	يرجى المرء ما إن لا يراه	وتعرض لكون ألداء الخطوب	٣٣
٤١	يريد الرمح صدر أبى براء	ويغل عن لواء بنى عقيل	٣١٦
٤٢	يتزاعنى ردائى عبد عمرو	رويدك أخا عمرو بن بكر	٢٩٥

فهرس أنصاف الأبيات الشعرية

م	الشعر	الصفحة
١ كما شَرَقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ من الدَّمِ	٣١٣
٢	لا تَنَّهُ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ	٣١٣
٣	هِيَ النَّفْسُ مَا عَوَدَتْهَا تَتَعَوَّدُ	٣٢٨
٤	وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَى	٣٢٦
٥	وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ بِسَبْتِي	٣٢٢
٦ اذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ	٣٧
٧	أَقْلَى اللُّومِ عَازِلٌ وَالْعَتَابِينَ	١٨٣
٨	أَلَا فَارْحَمُونِي يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ	٣١٧
٩	رَسَمَ دَارٍ وَقَفْتُ فِي ظِلِّهِ	٣٧
١٠	فَإِنْ شَفِيتُ حَرَمْتَ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ	٣١٧
١١	لَعَمْرِكَ مَا مَا بَانَ مِنْكَ لِمَنْ ضَارِبٍ	٣٣

فهرس المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير للدكتور محمد بكر إسماعيل، ط. دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي - ط. مكتبة الراشد الرياض - الرابعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٤- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ط. دار التراث.
- ٥- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدا لله المعروف بابن العربي ٤٦٨-٥٤٣ هـ راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبدا لقادر عطا ، طبعة دار الفكر.
- ٦- أساس البلاغة للزمخشري ط دار صادر ، بيروت ، ١٣٤٤هـ - ١٩٧٩ م.
- ٧- أسباب النزول الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى (٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م) ، تعليق وتخريج الدكتور مصطفى ديب البغا ، ط. دار ابن كثير، دمشق - بيروت ، الثالثة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.
- ٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبن الأثير ، ط. دار الشعب ١٩٧٠ م.
- ٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المخنار الحكي الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، ط. دار الفكر بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد بن المخنار الحكي الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، ط. دار الفكر بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١١- الاتقان في علوم القرآن للشيخ الامام العلامة أبي الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- 14- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق: علي البجاوي ط. دار الجيل بيروت ١٩٩٢ م.
- 15- الإسرائيلية في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي أستاذ علوم القرآن والحديث بالأزهر ، المتوفى سنة ١٩٧٧م ، ط. مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة الرابعة سنة ١٤١١هـ - سنة ١٩٩٠م .
- 16- الأعلام لخير الدين الزركلي، ط. دار العلم للملايين بيروت - لبنان ، الرابعة ١٩٧٩.
- 17- الأغاني للأصفهاني لعلي بن الحسين محمد القرشي ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ - ط. دار الشعب تحقيق: إبراهيم.
- 18- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، قرطبه : د. عبد الحي الفرماوي ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٣ هـ - ١٩٩٤ م
- 19- البداية والنهاية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط. دار النقوى - القاهرة.
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار الجيل بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨.
- 20- التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
- 21- التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي ٧٤٠ - ٨١٦ هـ ، حققه وقنم له ووضع فهرسه إبراهيم الإبياري، ط. دار الريان للتراث.
- 22- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، السادسة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

- ٢٣- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. دار الفكر بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٢٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط. دار الحديث القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٥- الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لعلي باشا مبارك ط دار الكتب والوثائق القومية ، الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- ٢٦- الدخيل في التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد ، ط. المطبعة الأميرية مصر.
- ٢٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام الشيخ الخطيب الشربيني، خرج أحاديثه وعلق عليه أحمد عزو الدمشقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢٨- السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري المعروفة بسيرة ابن هشام ط. المكتبة القيمة، القاهرة.
- ٢٩- السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور سورة الإخلاص ج٦ ص ٧٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤ هـ - ١٤٢٤ م الثانية.
- ٣٠- الضعفاء الكبير للحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ، حققه ووثقه: د. عبد المعطي أمين قلجعي ، ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م الأولى.
- ٣١- الفائق في غريب الحديث للزمخشري، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٣٢- القاموس المحيط للفيروز آبادي، ط. دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

- ٣٣- القرآن العظيم للحافظ ابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ ط دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي.
- ٣٤- الكامل للإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ تحقيق أحمد الدالي مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
- ٣٥- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العنسي المتوفى ٢٣٥ هـ ضبطه وصححه ورقمه محمد عبد السلام شاهين ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م الثانية.
- ٣٦- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخورزمي ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ، وبآخره تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات " للعالم المنقذ محب الدين أفندي ، ط. دار الفكر ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م الأولى.
- ٣٧- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١ طبعة دار المعرفة. بيروت - لبنان .
- ٣٨- الباب في علوم الكتاب لابن عادل - ط. دار صادر بيروت، لبنان ، الأولى.
- ٣٩- المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .
- ٤٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفي سنة ٥٤١ هـ ، ط. دار ابن حزم بيروت - لبنان ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٤٥- المستدرک علی الصحیحین للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمنأوى في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء ،

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الثانية.

- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ، شرحه وصنع
فهارسه أحمد محمد شاكر ط. دار الحديث - القاهرة ١٢٢٦ هـ -
٢٠٠٥ م.

٤٦- المصباح المنير لأحمد بن محمد على المقرئ الفيومي المتوفى
سنة ٧٧٠ هـ المطبعة الأميرية مصر ، الطبعة الثانية ١٩٠٩ م وط. دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٧- المصنف للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ومعه
كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرزاق
الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط. المكتب الإسلامي - لبنان
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الثانية.

٤٨- المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ ت
٣٦٠ هـ ، تحقيق : صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل ، ط. دار الحديث
القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٤٩- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ -
٣٦٠ هـ ، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، الثانية.

٥٠- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إعداد الدكتور إميل بدیع
يعقوب، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

٥١- المنتخب في القرآن الكريم، لجنة القرآن والسنة ، ط. المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية

٥٢- المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية للملا علي بن سلطان محمد
القاري وبهامشها شرح شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري على
المقدمة الجزرية لأبي الخير محمد الجزري ، ط. شركة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م.

- ٥٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهني - ط . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض ، الثالثة ١٤١٨ هـ .
- ٥٤- النحو والصرف في خدمة النص القرآني، أبحاث وقضايا لغوية، أ.د/ محمد المختار محمد المهدي، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالآزهر، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م.
- ٥٥- النشر في القراءات العشر للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد النمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، مخرج آياته : الشيخ زكريا عميران ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، الأولى.
- ٥٦- اليزيدي القارئ النحوي، دراسة نحوية قرآنية للدكتور محمد أحمد علي سحلول، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م مطبعة الحسين الإسلامية.
- ٥٧- إنباء الرواه على أنباء النحاة للنفطى ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٦ م .
- ٥٨- إيضاح المكنون عن أسامى الكتب والفنون لاسماعيل باشا البغدادى طبعة دار الفكر ١٩٨٢، مصورة عن طبعة استانبول ١٩٤٧ م.
- ٥٩- بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، تحقيق : عبد المجيد طعمة حابى، ط. دار المعرفة - بيروت لبنان ، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٦٠- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت.
- ٦١- تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، العصر العثمانى، ترجمة عمر صابر عبد الجليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ م.

٦٢- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي وضعه في أزهى عصور الإسلام منذ تأسيسها إلى وفاته عام ٤٦٣ هـ ، ط. دار العربي بيروت - لبنان .

٦٣- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري ٥٨٥ - ٦٥٤ هـ تحقيق د/حنفي محمد شرف - ط. المجلس الأعلى للثنون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٦٤- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن المتوفي ٧٢٥ هـ، وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفي ٥١٦ هـ ، ط. دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٦٥- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن المتوفي ٧٢٥ هـ وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي المتوفي ٥١٦ هـ ، ط. دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٦٦- تفسير القرآن العزيز المسمى تفسير عبد الرزاق للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ١٢٦ - ٢١١ هـ ، تحقيق :عبد المعطي أمين قلجى ، ط. دار المعرفة بيروت - لبنان ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٦٧- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحفظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ ط عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٦٨- تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ لابن حجر العسقلاني، ط. دار المعرفة بيروت الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٦٩- تهذيب التهذيب للإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن خليل بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ - ط. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكني ١٣٢٥ هـ.

٧٠- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، ٢٨٢-٣٧٠ هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

٧١- جمع الجوامع - الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ -، تخريج وتعليق وضبط: خالد عبد القادر شبل، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٢- حاشية محي الدين شيخ زاده محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى الحنفى المتوفى سنة ٩٥١ هـ على تفسير القاضى البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين ط. دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٧٣- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الثانية.

٧٤- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ط. دار السعادة بالقاهرة.

٧٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر بن الحسين البيهقي ٣٨٤ - ٤٥٨ هـ، تحقيق: عبد العاطي قلجى، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٦- ديوان أبي الطيب المتنبى بشرح أبي البقاء العكبرى المسمى بالتيبان في شرح الديوان، ط. مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.

- ٧٧- ديوان الأعشى ، دار صادر - بيروت.
- ٨٧- ديوان جميل ، شعر الحب العذري ، جمع وتحقيق وشرح د.حسين نصار - ط. مكتبة مصر.
- ٧٩- ديوان زهير بن أبي سلمى - ط. دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٨٠- ديوان عنتر بن شداد - ط. دار صادر بيروت ، الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- ٨١- ديوان كثير عزة ، شرح عدنان زكي درويش ، ط. دار صادر - بيروت ، الأولى ١٩٩٤ م.
- ٨٢- ديوان ليبيد بن ربيعة ، دار صادر - بيروت.
- ٨٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الأتوسي البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ، طبعة دار الكتب بيروت - لبنان الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٨٤- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، خرج آيائه وأحاديثه ووضع حواشيه : احمد شمس الدين ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م الأولى.
- ٨٥- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن القاصح العذري البغدادى وهو شرح حرز الأمانى ووجه التهاني لأبي محمد بن أبي القاسم بن أحمد الرعينى الأندلسى الشاطبى ، ط. دار الفكر - بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٨٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها فى الأمة ، تخريج: محمدناصر الدين الألبانى ، ط. المكتب الإسلامى - بيروت - دمشق الرابعة ١٣٩٨ هـ.

- ٨٧- سنن ابن ماجه للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٧ - ٢٧٥ هـ تحقيق : محمد مصطفى عبد الباقي ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٨٨- سنن أبى داود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٨٩- سنن للترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ط. دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٩٠- سنن الدارقطنى للإمام الحافظ على بن عمر الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ علق عليه وخرج أحاديثه مجدى بن منصور بن سيد الشورى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م الثانية.
- ٩١- سنن النسائى بشرح الإمامين السيوطى والسندى ، ط. دار الحديث - القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م الأولى.
- ٩٢- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى شمس الدين ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، طر مؤسسة الرسالة - بيروت السابعة.
- ٩٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى ١٠٨٩ هـ طبعة المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٧٩ م.
- ٩٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلى الهمدانى المصرى المولود فى سنة ٦٩٨ هـ والمتوفى سنة ٧٦٩ هـ ط. دار التراث ، القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م العشرون.
- ٩٥- شرح المفصل للعلامة يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى ١٤٣ هـ. ط عالم الكتب بيروت .
- ٩٦- شرح ديوان أبى تمام لإيليا الحاوى - ط. دار الكتاب اللبنانى - بيروت ، الأولى ١٩٨١ .

- ٩٧- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لأبن هشام الأنصاري
٧٠٨ - ٧٦١ هـ ط المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت الأولى ١٤١٩ هـ -
١٩٩ م.
- ٩٨- شرح طيبة النشر في القراءات العشر للإمام شهاب الدين أبي بكر أحمد
بن محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي المتوفى نحو سنة ٨٣٥ هـ ،
ضبطه وعلق عليه : الشيخ أنس مهرة ن ط.دار الكتب العلمية بيروت -
لبنان ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م الأولى.
- ٩٩- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
٢٠٦ - ٢٦١ هـ حققه ورقمه ووضع فهرسه محمد فؤاد عبد الباقي ، ط.
دار الحديث - القاهرة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م الأولى.
- ١٠٠- طبقات المفسرين للذاوودي ، ط. دار الكتب العلمية بيروت
١٩٨٠ م.
- ١٠١- عمل اليوم والليلة لأبي بكر بن السني، ٣٦٤ هـ ، تحقيق : عبد القادر
أحمد عطا ، ط. مكتبة الكلية الأزهرية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م.
- ١٠٢- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد
الجزري المتوفى ٨٣٣ هـ على نشره برجستراسر طبعة دار الكتب العلمية
بيروت الثالثة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- ١٠٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني شيخ
الإسلام قاضي القضاة أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد
المولود ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ وثق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه
ووضع فهرسه : طه عبد الرؤوف سعد ، ط . دار الغد العربي - القاهرة
١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م الأولى.
- ١٠٤- قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس لأبي اسحق الثعلبي -
ط.عيسى الحلبي ص ٢٨١ .

- ١٠٥- كتاب الأزمنة و الأمكنة للشيخ أبي علي المرزوقي الأصفهاني - ط
دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.
- ١٠٦- كتاب الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني ط.هيئة
الكتاب، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٠٧- كتاب الحماسة البصرية للعلامة صدر الدين علي بن أبي الفرج بن
الحسن البصري المتوفى ٦٥٦ هـ ، تحقيق د/عادل جمال سليمان ط. وزارة
الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة. .
- ١٠٨- كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ومشمئل علي
السيرة النبوية ، عني بتصحيحه وطبعه انوار سخوب ، طبع مصورا عن
كتاب طبع في مدينة لينن المحروسة بمطبعة بريل ١٢٢١ هـ من منشورات
مؤسسة النصر - طهران.
- ١٠٩- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للشيخ العلامة محمد بن علي بن
علي بن محمد النهاوي ، الحنفي ، المتوفى سنة ١١٥٨ هـ ، وضع
حواشيه: أحمد حسن يسبح ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت ، الأولى
١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
- ١١٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة
الناس للمفسر، المحدث ، الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي،
المتوفى ١١٦٢ هـ ، أشرف علي طبعه وتصحيحه والتعليق عليه : أحمد
القلاش، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت ، لبنان، الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
- ١١١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن
عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلي والمعروف
بحاجي خليفة ١٠١٧ هـ - ١٠٦٧ م ، ط. دار الفكر ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م.
- ١١٢- لسان العرب للعلامة ابن منظور، ط. دار صادر بيروت -
لبنان، الثالثة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

- ١١٣- لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان و د/عبد الصبور شاهين، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١١٤- لطائف الإشارات للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن محمد القشيري ٣٧٦-٤٣٥ هـ ، تحقيق د/إبراهيم بسيوني ، ط الهيئة العامة للكتاب الثانية ١٩٨١ م.
- ١١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ط دار المعرفة بيروت لبنان .
- ١١٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧ هـ ، تحرير :الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر - ط . مكتبة القنسي - القاهرة.
- ١١٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد ، الطبعة الثانية ١٢٩٩ هـ.
- ١١٨- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، عنى بترتيبه محمود خاطر، ط. دار الحديث - القاهرة .
- ١١٩- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتنبى القاهرة.
- ١٢٠- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ١٤٤ - ٢٠٧ هـ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ط . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، 1422هـ - ٢٠٠١م ، الثالثة.
- ١٢١- معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ للدكتور عيسى شحاتة عيسى ط. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ٩٩٨ م .
- ١٢٢- معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري المتوفى سنة ٣١١ هـ شرح وتحقيق : د. عبد الجليل شلبي خرج أحاديثه :

- الأستاذ على جمال الدين محمد ، ط. دار الحديث — القاهرة ١٤٢٦ هـ —
٢٠٠٥ م.
- ١٢٣ — معجم القراءات للدكتور عيد اللطيف محمد الخطيب، ط . دار سعد
الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق — القاهرة ، الأولى ١٤٢٢ هـ —
٢٠٠٢ م.
- ١٢٤ — معجم المطبوعات العربية والمعرية ليوسف إلياس سرركيس، مكتبة
الثقافة الدينية القاهرة.
- ١٢٥ — معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر لعادل
نويهض ط مؤسسة نويهض الثقافية، الثالثة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨.
- ١٢٦ — مفاتيح الغيب للرازي طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة
الأولى ١٤١١ هـ — ١٩٩٠ م.
- ١٢٧ — مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، ط .
دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- ١٢٨ — منهاج السنة النبوية لابن تيمية العباس تقي الدين أحمد بن عبدا
لحليم، تحقيق د. محمد رشاد سليم ط. مكتبة بن تيمية — القاهرة ١٤٠٩ هـ —
١٩٨٩ م الثانية.
- ١٢٩ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط. عيسى
الحلبي وشركاه.
- ١٣٠ — نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ خرج آياته وأحاديثه ووضع
حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، ط. دار الكتب العلمية — بيروت —
لبنان ١٤٢٥ هـ — ١٩٩٥ م الأولى.
- ١٣١ — هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون
لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة دار الفكر .

رقم الصفحة	الموضوع
٣	إهداء...
٤	شكر وتقدير...
٥	تقديم للرسالة...
٦	أولاً: التعريف بالموضوع وبيان أهميته ...
٦	ثانياً: أسباب اختياره ...
٧	ثالثاً: خطة البحث ومنهجه ...
١٢	التمهيد...
١٢	١- التعريف بمفردات العنوان : التفسير ، المنهج ...
١٦	٢- التعريف بالمفسر ، ومنهجه وبيان مدى التزامه المنهج الذي شرطه على نفسه في تفسيره " السراج المنير في معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير " ...
٣٥	٣ - تأثره بمن سبقه من المفسرين ...
٤٥	الفصل الأول: منهجه في التفسير ويتكون من عشرة مباحث:
٤٦	المبحث الأول: ذكره للمأثور:
٤٦	المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن ...
٥٨	المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة ويتكون من فرعين:
٥٨	الفرع الأول: اتجاهاته في الاستشهاد بالسنة...
٧٨	الفرع الثاني: درجة الحديث الذي يستشهد به...

٨٨	المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين...
٩٤	المطلب الرابع: الدخيل في تفسيره...
١٢٥	المبحث الثاني: الأسلوب الموضوعي في تفسيره...
١٣٣	المبحث الثالث: منهجه في تفسير البسملة...
١٣٦	المبحث الرابع: منهجه في أسماء السور
١٤٢	وفضائلها...
١٥٠	المبحث الخامس: تفسيره للحروف المقطعة...
١٥٥	المبحث السادس: عنايته بالمناسبات بين السور والآيات...
١٦٩	المبحث السابع: عنايته بالقرآءات...
١٩٣	المبحث الثامن: اتجاهاته في أسباب النزول...
٢١٣	المبحث التاسع: منهجه الفقهي
٢٢٨	وموقفه من النسخ...
٢٤٧	المبحث العاشر: موقفه من التفسير العلمي...
٢٥١	الفصل الثاني: الجانب العقائدي في تفسيره...
٢٧٧	الفصل الثالث: توظيفه علوم اللغة في التفسير ويشتمل على سنة مباحث:
٢٧٩	المبحث الأول: الدلالة المعجمية في استنباط المعنى...
٢٨٦	المبحث الثاني: الدلالة الصرفية...
٢٩٠	المبحث الثالث: الدلالة النحوية...
	المبحث الرابع: توظيفه دلالة السياق في استنباط المعنى...
٣٠٠	

	المبحث الخامس: توظيفه الدلالة الصوتية في استنباط المعنى...
٣١٣	
	المبحث السادس: كثرة استشهاده بالشعر...
٣١٥	
	الخاتمة...
٣٣٦	
	نتائج البحث...
٣٤٢	
	الفهارس...
٣٤٧	
	١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة...
٣٤٨	
	٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة...
٣٥٥	
	٣- فهرس الأعلام...
٣٥٩	
	٤- فهرس الأشعار...
٣٦٤	
	٥- فهرس المراجع والمصادر...
٣٦٧	
	٦- فهرس الموضوعات...
٣٨١	